

جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

الإنسان: الكليات والجزئيات في القرآن الكريم دراسة دلالية

إعداد

سلام محمد ياسين الحيحي

إشراف

أ. د. يحيى عبد الرؤوف جبر

قُدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2011م

الإبسان: الكليات والجزئيات في القرآن الكريم دراسة دلالية

إعداد

سلام محمد ياسين الحيحي

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ 23 / 1 / 2011م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة

1. أ. د. يحيى جبر / رئيساً ومشرفاً

2. أ. د. حسن سلوادي / ممتحناً خارجياً

3. أ. د. خليل عودة / ممتحناً دخلياً

لتوقيع



الإهداء

إلى الذي طالما بقيت في عينيه وأمدني بالأمل... أبي الغالي

إلى روحها ترفرف في جنان الرحمن... أمي

إلى التي ما فتئت تحترق لتنير دروبنا... خالتي

إلى أشقاء الروح وظلالها الدافئة... إخوتي وأخواتي

إلى رفيق دربي... بكلّ الحبّ والوفاء... جعفر

أهدي هذه الأطروحة

سلام

الشكر والتقدير

الشكر لله وحده الذي كان لي خير معين ونصير.

ثم أقدم أسمى آيات الشكر والعرفان إلى الأستاذ الدكتور يحيى عبد الرؤوف جبر الذي مهّد لنا طريق العلم والمعرفة، وأضاء بعلمه وتوجيهاته المباركة عقولنا. فلك مني كلّ التقدير والوفاء.

كما أتقدم بعظيم الشكر والامتنان إلى عضوي لجنة المناقشة، اللذين تفضّلا بقبول مناقشة هذه الأطروحة وإثرائها بتوجيهاتهم النيرة.

وأتوجّه بجزيل الشكر إلى كلّ العاملين في مكتبة جامعة النجاح الوطنية، ومكتبة بلدية طولكرم، ومكتبة دار الحديث لما قدّموه لي من تسهيلات.

الإقرار

أنا الموقّعة أدناه، مقدّمة الرسالة التي تحمل العنوان:

الإنسان: الكليّات والجزئيّات في القرآن الكريم

دراسة دلاليّة

أقرّ بأنّ ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنّما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمّت الإشارة إليه حيثما ورد، وأنّ هذه الرسالة ككل، أو أيّ جزء منها لم يقمّ من قبل لنيل أيّة درجة أو لقب علميّ أو بحثيّ لدى أيّة مؤسسة تعليميّة أو بحثيّة أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's name:

اسم الطالبة:

Signature:

التوقيع:

Date:

التاريخ:

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
ج	الإهداء
د	الشكر والتقدير
هـ	الإقرار
و	فهرس المحتويات
ح	الملخص
1	مقدمة
6	تمهيد
11	الفصل الأول: ألفاظ أطوار خلق الإنسان في القرآن الكريم.
12	المبحث الأول: ألفاظ أطوار الإنسان قبل الولادة.
24	المبحث الثاني: ألفاظ أطوار الإنسان بعد الولادة.
38	الفصل الثاني: الألفاظ الجامعة للإنسان.
41	المبحث الأول: حقل الألفاظ الضامنة للجنس البشري.
71	المبحث الثاني: حقل الألفاظ الدالة على الإنسان وأفراده وعلاقاته.
105	الفصل الثالث: ألفاظ أعضاء جسم الإنسان وأجزائه.
108	المبحث الأول: ألفاظ مكونات جسم الإنسان.
116	المبحث الثاني: ألفاظ أعضاء جسم الإنسان التي تعدّ مداخل للحسّ.
131	المبحث الثالث: ألفاظ أعضاء جسم الإنسان الباطنة.
140	المبحث الرابع: ألفاظ أعضاء جسم الإنسان الظاهرة.
161	الفصل الرابع: قضايا لغوية.
162	أولاً: الاشتراك اللفظي.
177	ثانياً: الاشتراك المعنوي.
180	ثالثاً: الألفاظ التي لم ترد إلا مجموعة.
182	رابعاً: اشتقاق الأفعال من أعضاء جسم الإنسان.
183	خامساً: الألفاظ الدالة على الإنسان بكلياته وجزئياته بين العربية والسامية.
184	الخاتمة
186	قائمة المصادر والمراجع
b	Abstract

الإنسان الكليّات والجزئيّات في القرآن الكريم

دراسة دلاليّة

إعداد

سلام محمّد ياسين الحيحي

إشراف

أ. د. يحيى عبد الرؤوف جبر

الملخص

تبحث هذه الدراسة في الألفاظ الدالّة على الإنسان بكليّاته وجزئيّاته في القرآن الكريم، إذ قسّمت البحث إلى أربعة فصول، صدرتها بمقدّمة، وتمهيد، عرضتُ فيهما عناية القرآن الكريم بالإنسان والحديث عنه واهتمامه بتفصيل جوانب حياته بدءاً من خلقه ومسيرته في الحياة الدنّيا. وتناولتُ في الفصل الأوّل: ألفاظ أطوار الإنسان قبل الولادة؛ النطفة، ثمّ العلقة، ثمّ المضغة، ثمّ العظام، ثمّ اللّحم، ثمّ التسوية، ثمّ النّفخة. وبعد الولادة؛ الطّفولة، ثمّ الصّبا، ثمّ البلوغ، ثمّ المراهقة، ثمّ الرّشد، ثمّ الكهولة، ثمّ الشيخوخة وتأصيلها اللّغويّ.

ويحوي الفصل الثّاني الألفاظ الجامعة للإنسان: فقسمته إلى حقلين دلاليّين: حقل الألفاظ الضامنة للجنس البشريّ، ويضمّ أربع مجموعات دلاليّة هي أولاً: آل / أهل / عشيرة / قبيلة / ذريّة. ثانياً: شعّب / أمة. ثالثاً: بشر / ناس. رابعاً: فريق / عصابة / تلة / نفر / رهط / قوم / طائفة / حزب. المبحث الثّاني: حقل الألفاظ الدالّة على الإنسان وأفراده وعلاقاته (ألفاظ القرابة) أولاً: جماعات قرابيّة مباشرة: أب / أم / أخ / أخت / ابن / ابنة. ثانياً: جماعات قرابيّة غير مباشرة: عمّ / عمّة / خال / خالة / بنت أخ / بنت أخت / جدّ / حفيد / بنت خال / بنت خالة / بنت عمّ / بنات عمّة. ثالثاً: قرابة بالعرف: زوج / زوجة / بعلّ / عشير.

أمّا الفصل الثّالث فهو بعنوان: ألفاظ أعضاء جسم الإنسان وأجزائه. وجاء في أربعة مباحث: المبحث الأوّل: ألفاظ مكوّنات جسم الإنسان كالدمّ واللّحم والعظم والروّح. والمبحث الثّاني: ألفاظ أعضاء جسم الإنسان التي تعدّ مداخل للحسّ كالعين والأذن والأنف واليد والجلد. والمبحث الثّالث: ألفاظ أعضاء جسم الإنسان الباطنة كالقلب والسنّ والرّحم والحنجرة والوريد

والوتين والفؤاد والحلق. والمبحث الرابع: ألفاظ أعضاء جسم الإنسان الظاهرة وهي كثيرة كالوجه والرأس والخذ والرجل وغيرها...

والفصل الرابع خصصته لمناقشة قضايا لغوية، استعرضت فيها التطور الدلالي للألفاظ من خلال العلاقات التي تنتظم المفردات موضوع الدرس تحتها كالمشترك اللفظي والمعنوي، والألفاظ التي جاءت مجموعة، والأفعال التي اشتقت من أعضاء جسم الإنسان، والألفاظ الدالة على الإنسان بكليّاته وجزئياته بين العربية والسامية. ثم تقدّم خاتمة تجمل فيها أهم ما توصلت إليه من نتائج.

وتكتسب هذه الدراسة أهمية خاصة من كونها تناولت التطور الألفاظ الدالة على الإنسان بكليّاته وجزئياته في القرآن الكريم، فعلى الرغم من وجود دراسات تناولت هذا الموضوع، إلا أنّ أحداً لم يدرسها من منظور دلاليّ دراسة شاملة تتصف بالعمق والاستقلال، فلقلّة من كتب بالتفصيل والبيان اللغوي ما دفعني إلى هذه الدراسة. ولقد اعتمدتُ فيها المنهج التكامليّ.

ومن أبرز النتائج التي توصلتُ إليها بعد الغوص في النصّ القرآنيّ، واستخراج الألفاظ الدالة على الإنسان بكليّاته وجزئياته، أنّ القرآن الكريم ارتقى بدلالة بعض الألفاظ، كما تبين اهتمام القرآن بالعقد الاجتماعيّ في حديثه عن الجماعات الإنسانيّة مع عدم إهماله للفرد.

المقدّمة

الإنسان كائن كرّمه الله عزّ وجلّ بجملة خصائص مميّزة، فاق بها جميع الخلائق والكائنات، واعتلى في سلّم المراتب والدرجات إلى القمّة الرّقيّة من التفضيل والتكريم، وليس كالإسلام في مدى التقدير البالغ والاهتمام والعناية والحرص الذي أحاط به الإنسان؛ ليجعله سيّد الخلائق بلا منازع، وليجعله آية قدرة الله وكماله وجلاله سبحانه.

الإنسان لغة: من " أنسَ: الإنسان: آدم ويعني بالإنسان: آدم -على نبينا وعليه الصلاة والسلام- ويقال للمرأة إنسان. والجمع (يقع على المذكر و المؤنث): ناس وأناسي¹. وفي اشتقاقه خلاف بين اللّغويين؛ " فقل إنّه من النّسيان ويجمع على أناسي وأناس، أمّا النّاس فمأخوذة من النّوس وهي الحركة². وفي ذلك يقول ابن فارس: "الإنسان لغة: من (أنس) الهمزة والنون والسين أصل واحد، وهو ظهور الشيء، وكلّ شيء خالف طريقة التوحّش، وقالوا: الإنسان خلاف الجنّ، وسمّوا لظهورهم، ويقال: إنسان وإنسانان وأناسي³. ويوافق الزبيديّ كلامه في تاج العروس⁴.

أمّا الإنسان في حقيقة أصله ووجوده؛ فهو الكائن البشري الذي يعود أصله إلى التراب، قال تعالى: " ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون"⁵، وجيء به من تراب انتماءً إلى أبي الخلق آدم عليه السلام؛ الذي بدأ خلقه من طين ثم تحوّل بإرادة من الله إلى صورته الوافية الحسنة، ذات التركيبة البشرية المتميزة التي تتسم بكل خصائص التكامل.

أنزل الله القرآن الكريم بلسان عربيّ مبين، فحفظ به اللّغة من الإهمال أو النسيان، ونال من الدراسات المتعمقة المتفحصّة لاستكشاف ما لم يكن معروفًا. حيث يلقي القارئ في التنزيل العزيز آياتٍ كريماتٍ تشمل ذكر الإنسان بكليّته وأفراده؛ فهو حديث إلى الإنسان عن الإنسان،

¹ ابن منظور: لسان العرب، ط1. بيروت: دار صادر 230/1-231. مادة (أنس).

² الفيومي، أحمد بن محمد بن عليّ: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. المكتبة العلمية. (د.ت). ص30-31.

³ ابن فارس: المقاييس في اللّغة. تحقيق عبد السلام هارون. بيروت: دار الجبل. 1999م. 145\1. مادة (أنس).

⁵ ينظر: الزبيديّ: تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق: مجموعة من المحققين. دار هداية. 186\8. مادة (أنس).

⁵ سورة الروم. آية 20.

كونه آية من آيات الله في خلقه، "فاتسم حديث القرآن عن الإنسان بالفردية والجماعية، اللتين أسبغهما الله تعالى عليه لتوصلاه إلى الطموح الذي يؤدي إلى تطوره و رقيه"¹.

تعيش الباحثة في موضوعها مع إنسان القرآن الكريم، في كل آية من آياته التي تحدثت عنه؛ فإذا بها تفيض بالدلالات المحملة بالكثير من المعاني. من هنا قامت بدراسة الإنسان؛ الكليات والجزئيات في محكم التنزيل، دراسة دلالية إحصائية، وبناءً عليه قسّمت البحث إلى أربعة فصول؛ صدرتها بمقدمة. و تناولت في **الفصل الأول**: ألفاظ أطوار الإنسان قبل الولادة؛ النطفة، ثم العلقه، ثم المضغة، ثم العظام، ثم اللحم، ثم التسوية، ثم النفخة. و بعد الولادة؛ الطفولة، ثم الصبا، ثم البلوغ، ثم المراهقة، ثم الرشد، ثم الكهولة، ثم الشيخوخة. وتأصيلها اللغوي.

ثم بحثت في **الفصل الثاني**: الألفاظ الجامعة للإنسان: أولاً: الألفاظ الضامنة للجنس البشري: شعوب، و أمة، و قرن، و قبائل، و أهل، و ذرية، و آل و غيرها. وثانياً: الألفاظ الدالة على الإنسان و أفراده و علاقاته؛ كالأب و الأم و الاخ و الاخت، و العمّ و الخال، و العمّة و الخالة... و زوج، و بعل، و عشير.

ثم أفردت في **الفصل الثالث** للحديث عن ألفاظ أعضاء جسم الإنسان و أجزائه. أولاً: مكونات أساسية في جسم الإنسان؛ كالدّم، و الجلد، و العظم، و الرّوح، و اللّحم. ثانياً: أعضاء تعدّ مداخل للحسّ، مثل: الأنف، و اللسان، و العين، و اليد، و الأذن. ثالثاً: أعضاء ظاهرة؛ وهي كثيرة؛ كالבطن، و الرّجل، و الظهر، و الصّدر، و البنان، و الذّراع، و العنق، و غيرها... ورابعاً: أعضاء باطنة؛ كالرّحم، و الفؤاد، و الأمعاء، و الوريد، و الحلق، و الحنجرة، و السنّ.

وخصّصت **الفصل الرابع** لمناقشة: قضايا لغوية؛ تستعرض فيه تطوّر دلالات الألفاظ و اختلافها؛ كالاشتراك اللفظي، و الاشتراك المعنوي، و الألفاظ التي لم ترد إلا مجموعة، و مقارنة هذه الألفاظ بالسامية و العربية.

¹ عاشور، السعيد: الإنسان في القرآن الكريم. القاهرة: دار الغريب. 2002. ص. 50.

ثم قدّمت الباحثة خاتمةً أجملت فيها أهمّ ما توصلت إليه من نتائج عن الموضوع، و أتبعها بثبت المصادر و المراجع التي أفادت منها في دراستها للموضوع.

إنّ اللّغويين القدامى على كثرة ما ألفوه في الإنسان و خلقه، وأصله، فتناولت دراساتهم الإنسان في القرآن من ناحية شرعية كخلق، وتكريمه، ومن ناحية اقتصادية، وأخرى طبية. ولم يكن بوسعهم استيفاء جميع ما يتّصل بالإنسان وأعضائه في القرآن الكريم، كدراسة في صميم اللّغة والألفاظ ودلالاتها، والتأصيل لها، وهذا ما تحاول الباحثة جاهدة تحقيقه في هذه الدراسة، منطلقاً من القرآن الكريم، ومضيفاً الألفاظ التي تعبّر عن الإنسان نفسه، وعن جماعته من عشيرة وقبيلة وشعب ونحوها. وإن كانت تلتقي مع الدراسات السابقة؛ لكن بالشيء اليسير، كمرحلة خلق الإنسان؛ إلا أنّ أحداً من العلماء لم يتناولها كدراسة في الألفاظ ودلالاتها في القرآن الكريم.

على الرّغم من وفرة الدراسات التي تناولت خلق الإنسان؛ إلا أنّ أحداً لم يدرس الإنسان في القرآن الكريم، من حيث الكليات و الجزئيات دراسة دلالية إحصائية. فلعلّ من كتب بالتفصيل و البيان اللغوي الذي أرادت الباحثة أن تفصّل فيه، اختارت الباحثة هذا الموضوع ليكون موضوع دراستها.

يحاول البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما ألفاظ أطوار خلق الإنسان الواردة في القرآن الكريم؟
- ما الألفاظ الدالّة على الإنسان بكليّته (كمفردة ضامنة)؟
- ما الألفاظ الدالّة على الإنسان بمفرده؟
- ما أعضاء جسم الإنسان و أجزاءه التي ذكرت في القرآن الكريم؟
- هل اختلفت دلالة المفردات الدالّة على الإنسان في القرآن الكريم؟

تتطلب هذه الدراسة اتباع المنهج التكاملي؛ الذي يتمثل في استقراء ما ورد من تلك الألفاظ في آيات القرآن الكريم، بتقسيم البحث إلى حقول دلالية كلية وجزئية، واستخراج دلالتها من المعاجم اللغوية، ومن ثمّ البحث عن دلالتها واستنباطها من كتب التفسير، وبيان التطور الذي لحق بهذه الألفاظ.

يعدّ خلق الإنسان وأحواله وأعضائه من الموضوعات التي عني بها بعض اللغويين العرب القدامى، من أمثال: الأصمعيّ عبد الملك بن قريب في (الكنز اللغوي في اللسان العربي)، والزرجاني، وثابت بن أبي ثابت، وأبي الحسن بن الحسين. ومنهم من أفرد باباً من كتابه لهذا الموضوع: كابن السكيت في كتابه (كنز الحفاظ في تهذيب الألفاظ) ، وأبو منصور الثعالبي في (فقه اللغة وسرّ العربية) ، وابن سيده في (المخصّص) وغيرهم، لكنهم لم يدرسوا الإنسان في القرآن الكريم. أما العلماء المحدثون فمنهم من تحدّث عن الإنسان في القرآن الكريم؛ دراسة شرعية أو تكريمية أو طبية، وغيرها. ومن هذه الدراسات:

- كتاب (الإنسان في القرآن الكريم) لعبّاس محمود العقّاد ، وتحدّث فيه عن إنسان القرآن وإنسان القرن العشرين، وعن عمره ومذهب التطور، والإنسان في علم الحيوان، وفي علوم الأجناس البشرية.

- كتاب (الإنسان في القرآن الكريم) لمحمد لطفي الصبّاح ، ويضم بحوثاً كتبها المؤلف عن الإنسان في نظر الإسلام، بدأ بحقيقة الإنسان كما يعرضها القرآن معتمداً على ما كتبه سيّد قطب، وتحدّث عن موقف الإسلام من المال وأهميته في حياة الإنسان.

- كتاب (الإنسان في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف) لأحمد أبي شلطة، وجاء كتابه في بابين؛ الأول قسمه لثلاثة فصول تحدّث في الفصل الثالث عن الدلالة اللغوية لكلمة الإنسان، ومفهومه في القرآن الكريم والحديث الشريف، وبعض مشتقاته. والباب الثاني من ثمانية فصول؛ تناول فيها مبدأ الإنسان وأصله، وتكريمه، وإعداده للخلافة، والابتلاء والقدر، والموت.

- كتاب (الإنسان في القرآن الكريم ديني علمي طبي تربوي) للسَّعيد عاشور؛ وتناول فيه الإنسان، وعقيدته في الوجود، ونشأته في الكون، ومسيرته في الدنيا، ومصيره في الآخرة.
- كتاب (الإنسان في القرآن الكريم من البداية إلى النهاية) ، لعبد الكريم الخطيب، تحدّث فيه عن الإنسان والميلاد العظيم، والإنسان في مسيرة الحياة، والرحلة إلى الخلود، والعالم الأخرى وما فيه.
- كتاب (الإنسان في القرآن الكريم طبيعته وتصوره، منزلته في الكون) لمحمد الشيخ طبشات، تناول فيه تكريم الإنسان، والصلاة، والإنسان والقيم، والمصير والوجود والخلود.

التمهيد

يعدّ الإنسان أكثر الكائنات الحية تميّزاً؛ لتفرّده الفكريّ بين جميع الكائنات التي تدبّ على سطح الأرض، ومن أوضح الدلالات على أفضليّة الإنسان وتميّزه على غيره في هذا الكون، وأنه سيّد الكائنات أن أهله الله في الأرض خليفة، وهذا اختيار ربّاني عظيم له مدلول كبير، والذي يذكر بأفضليّة الإنسان إن كان مؤمناً صادقاً عاملاً، ما يناط به من عظيم الأمانة والمسؤولية التي ناعت بحملها السماء والأرض والجبال.

لذا عني القرآن الكريم بالإنسان عناية كبرى، وحرص على هدايته وسعادته بما يرشده إليه من مناهج لإصلاح ذاته، وذات مجتمعه، وللبريئة كلّها. فالقرآن حديث إلى الإنسان عن الإنسان؛ إذ إنّ الديانات السماوية جاءت قاصدة الإنسان، موجهة الخطاب الإلهي له وحده. فلا عجب من وجوده بتصوّراته المختلفة في القرآن الكريم.

تباينت الدراسات التي تناولت الإنسان؛ فمنها النفسية والاجتماعية والتشريحية والطبيّة والفلسفية، وكثرت المؤلفات حول هذا الكائن المتميّز العجيب. ولكن يبقى للقرآن الكريم تفرّده وتميّزه في هذا المجال؛ الذي شمل تكوين الإنسان وخلقته من تراب، قال تعالى: {قَالَ لَهُر

صَاحِبُهُر وَهُوَ يُحَاوِرُهُر أَكْفَرْت بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تَرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ

رَجُلًا ﴿٧٧﴾¹، وجعله الله في أحسن صورة ونفخ فيه من روحه المقدّسة، قال تعالى: {ثُمَّ

سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ} ² ونظّم بقاءه بالتزاوج والتناسل، قال تعالى: {وَمِنَ آيَاتِهِر

أَن خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ

فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾³. وكرّمه؛ إذ وهبه الله نعمة العلم والمعرفة، وزوّده

بالباقات والموهب، وأسجد له الملائكة تكريماً وتشريفاً، قال عزّ وجلّ: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ

¹ الكهف: آية 37.

² السجدة: آية 9.

³ الروم: آية 21.

أَسْجُدُوا لِأَدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤﴾¹، وأنعم
 عليه بالاستخلاف في الأرض، قال تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَأِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي
 الْأَرْضِ خَلِيفَةً²}. وقومه؛ فجبله على التوحيد الخالص، وحمله أمانة التكليف، قال تعالى:
 {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ تَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ
 مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٦﴾³، وسخر له ما في السماوات
 والأرض، قال تعالى: {أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
 وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَهُ ظَهْرَةَ وَبَاطِنَةً⁴، وحذره من الشيطان الرجيم، قال تعالى:
 الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ⁵، وحرره وأنشأ أهلاً للكمال والنقص،
 ومنحه التمييز والاختيار، وابتلاه بالسراء والضراء، قال تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ
 الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ⁶}.

والقارئ المتمعن في آيات القرآن الكريم يراه فصل للإنسان مسيرته في الدنيا وغاية
 وجوده ورسالته الدنيوية، ومصيره في الآخرة، فالحياة البرزخية واليوم الآخر، والجنة والنار.
 وسخر له ما في السماوات والأرض، وخلق الأرض وجعلها مذللة سهلة؛ ليمشي في مناكبها،
 ويجوب أقطارها، ويأكل من ثمارها، ويشرب من مائها، ويستظل بظلها، ويتمتع بملذاتها في
 حدود ما بينه له.

¹ البقرة: آية 34.

² البقرة: آية 30.

³ الأحزاب: آية 72.

⁴ لقمان: آية 20.

⁵ البقرة: آية 268.

⁶ محمد: آية 31.

وهكذا، فقد أولى القرآن عناية بالغة بالإنسان؛ و"فرّق بين خلقه للنبات والدوابّ والبهائم، عن الإنسان، إذ لم يمرّ آدم في طوره الأول من النبات خلية إلى الدوابّ، أو من الدوابّ إلى البهائم"¹. فلم يسبق القرآن كتاب تناول الإنسان بهذه الصورة، وبهذا التفصيل البين، بل "إنّ القرن العشرين لم يضع الإنسان في موضع أكرم له، وأصدق في وضعه من موضعه عند أهل القرآن"²، وكان لارتفاع القرآن بالدين عن عقائد الكهانة والألغاز، إلى عقائد الرشد والهداية، وإعمال العقل والفهم، الأثر الكبير في تصحيح صورة الإنسان؛ أكرم الخلائق.

والإنسان كلمة جامعة؛ فهو أطوار في بطن أمه؛ يبدأ بالنطفة وتمرّ بأطوار مختلفة حتى يصبح طفلاً يقذف به الرحم، ويتّضح هذا في قوله عزّ و جلّ: {ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً

فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ }³. وأطوار بعد ولادته وخروجه من بطن أمه حتى مرحلة الشيخوخة. ويجد المتمعن في آيات خلق الإنسان "كلها جاءت في سياق العظة والاعتبار، والاستدلال بها على القدرة الإلهية على البعث"⁴ قال تعالى: " فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ

خُلِقَ ﴿١﴾ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٢﴾ تَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٣﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٤﴾

فإنّ الإنسان مكونات فهو مخلوق ابتداء، وفي تصميم خلقه جعله الله يتنفس الهواء برئتيه، ويهضم الطعام بمعدته، ويلمس ويمسك الأشياء بيديه، ويمشي على الأرض برجليه، ويسمع الأصوات بأذنيه، ويرى الموجودات بعينيه، وينطق الكلام بلسانه، ويشمّ الروائح بأنفه، حتى

¹ عابدين، سامي: أصل الإنسان في القرآن الكريم. ط1. بيروت: دار الحرف العربي. 2005. ص 15.

² العقّاد، عبّاس: الإنسان في القرآن الكريم. بيروت: دار الكتاب العربي. 1969. ص. 190.

³ المؤمنون، آية 14.

⁴ عبد الرحمن، عائشة: القرآن وقضايا الإنسان. ط 4. بيروت: دار العلم للملايين. 1981. ص 21.

⁵ الطّارق: آية 5- 8.

يتمكّن من فهم الكون المحيط به، واستغلاله واستثمار طاقاته لصالحه¹. إذ لا بدّ له من مقوّمات ومكوّنات حتى يقوم برسالته وهذه المكوّنات أساسية ماديّة وغير ماديّة؛ كالدّم، والجلد، والعظم، والروح، واللّحم. والأعضاء التي تعدّ مداخل للحسّ؛ كالأنف، واللسان، والعين، واليد، والأذن. والأعضاء الظاهرة، وهي كثيرة؛ كالבطن، والرجل، والظهر، والصدر، والذراع والبنان، والعنق... وغيرها. والأعضاء الباطنة؛ كالأرحام، والأفئدة، والأمعاء، والوريد، والحلق، والحنجرة، والسنّ... وغيرها. هذا الإنسان المحدود في أعضائه وجوارحه ومشاعره، يملك طاقات ضخمة تجعله سيّد ما حوله، بل تجعله ملكاً واسع النفوذ والسّلطان². بذلك يُدرس الإنسان في القرآن الكريم بجزئياته.

أمّا الإنسان بكلّياته؛ فوضع القرآن الإنسان في موضعه الصحيح؛ حين جعل تقسيمه أنّه (ذكر - أنثى)، وجعل بقاءه مرتبطاً بالتّزاوج والتّناسل، وأنّه ينتمي بشعوبه وقبائله إلى الأسرة البشرية، التي لا تفاضل بين أبنائها بغير العمل الصالح وبغير التقوى، يقول عزّ وجلّ: {يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا} إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾³، وهذا التّعّدّد جاء لإحكام صلة التّعارف فيما بينهم.

كما اهتمّ القرآن بذكر الإنسان الفرد ونوعه؛ الذكر والأنثى، والعلاقات بينهما من أب، وزوج، وغلام، وأخ، وأخت... كما ذكر أسماءه في تطوره من طفل إلى فتى وغلام وكهل وشيخ. والجنس البشري ومفرداته الضامنة (المشتملة) كالقبيلة، والشعب، والآل، والعشيرة... وغير ذلك. وهذا كله سيكون موضوع البحث.

⁶ ينظر: السّعيد، عاشور: الإنسان في القرآن الكريم. القاهرة: دار غريب. 2002. ص 33.

¹ ينظر: السّعيد، عاشور: الإنسان في القرآن الكريم. ص 39.

³ الحجرات: آية 13.

سوف يبقى القرآن الكريم إلى ما شاء الله المعجزة الخالدة، وسوف يبقى ما دامت
السموات والأرض غنيا بنفسه، عزيزا بقدسيته، وضآءً بآياته، التي كلما مضى عليها الزمن
ازدادت إشراقا وبهاء، بما يثبت على الأيام قوته ومسايرته لسنن الكون.

تمضي الباحثة لتلقي الضوء على الكون الأكبر الذي خلقه جلّ في علاه؛ نعيش مع
إنسان القرآن الكريم بعيداً عن صفاته الروحية والمادية، وطباعه الحسية والمعنوية. بادئ ذي
بدء تتعرض لألفاظ أطوار الإنسان قبل الولادة وبعد الولادة.

الفصل الأول

ألفاظُ أطوارِ خلقِ الإنسانِ في القرآنِ الكريمِ

المبحثُ الأولُ: ألفاظُ أطوارِ الإنسانِ قبلَ الولادة.

المبحثُ الثاني: ألفاظُ أطوارِ الإنسانِ بعدَ الولادة.

قال تعالى: { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ﴿١٤﴾ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٥﴾ } المؤمنون 12- 14

المبحث الأول

ألفاظ أطوار الإنسان قبل الولادة

اتّصفت نظرة القرآن الكريم للإنسان بأنّها نظرة متكاملة وشاملة؛ إذ أعلّمته بحقيقته في أصله، وأطوار خلقه، وغاية وجوده، ورسالته في الحياة. قال تعالى: { مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۗ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ۗ }¹، فتحدّث القرآن الكريم عن أطوار خلق الإنسان، وهذه الأطوار لا تشمل خلق آدم ولا حواء، ولا عيسى ابن مريم؛ بصفتها خروج عن سنّة التّزاوج؛ لتلقت الأذهان إلى إرادة الله وعظيم قدرته. وأول هذه الأطوار النّطفة، ثمّ العلقة، فالمضغة، فالعظام واكتسائها باللّحم، ثمّ النّشأة خلقاً آخر.

النّطفة:

يؤصّل ابن فارس معنى لفظة (نطفة) فيقول: "النون والطاء والفاء أصلان أحدهما جنسٌ من الحليّ، والآخر نُدوةٌ وبللٌ، ثمّ يُستعارُ ويُوسّعُ به، والنّطفةُ هي الماء الصّافي"². ويعرّفها ابن منظور في اللّسان³ ويوافقه الزّبيديّ في قوله: "نَطَفَ: النّطفة، بالضمّ، الماء الصّافي قلّ أو كثر، فمن القليل نطفةُ الإنسان، وقال الأزهريّ: والعرب تقول للمُويهة القليلة نطفةً، وللماء الكثير نطفةً، وهو بالقليل أخصّ. والنّطفة ماء الرّجل الذي يتكوّن منه الولد. ج نطفٌ"⁴، ووردت النّطفة بمعنى الماء القليل في غير موضع، إذ يقول العسكريّ: "قيل: ما أطيّبَ المياه؟ قال: نطفة زرقاء، من سحابة غراء، في صفاة زلّقاء"⁵. وقال (صلى الله عليه وسلم): "بينما أنا نائم رأيتني أطوفُ بالكعبة، فإذا رجلٌ آدم سبطُ الشّعْر بين رَجْلين ينطفُ رأسه"⁶، ويقصد بها الماء القليل وهو

¹ نوح: الآيتان 13-14.

² ابن فارس: مقاييس اللّغة. 440\5. مادة (نطف).

³ ابن منظور: لسان العرب. 187\14. مادة (نطف).

⁴ الزّبيديّ: تاج العروس من جواهر القاموس. 505\12. مادة (نطف).

⁵ العسكريّ، أبو هلال: جمهرة الأمثال. بيروت: دار الفكر. 1988. ج1. ص246.

⁶ ابن الجوزيّ، أبو الفرج عبد الرحمن: كشف المشكل من حديث الصّحّيحين. تحقيق: علي حسين البواب. الرّياض: دار الوطن. 1997. ج1. ص53.

العرق. وقد يقع على الكثير منه كما في الحديث عن النبي، قال: " إن الله عز وجل استقبل بي الشام واستدبر بي اليمن، ثم قال لي: يا محمد إنني جعلت لك ما تُجاهك غنيمة ورزقا، وما خلف ظهرك مدداً، والذي نفسي بيده لايزال الله يزيد الإسلام وأهله، وينقص الشر وأهله حتى يسير الرّكّاب بين النّطفتين لا يخشى إلا جوراً، قيل: يارسول الله وما النّطفتان؟ قال: بحر بين المشرق والمغرب، والذي نفسي بيده ليلبغن هذا الدّين ما بلغ اللّيل"¹. وبالعودة إلى معاجم اللّغة يتبيّن أنّ هناك علاقة بين (نطف) و(ندف): "ندف: النون والذال والفاء كلمة صحيحة، نقول: ندفت السماء بمطرٍ مثل نطفت، والندفة: القليل من اللّبن"² وهذا المعنى نجده أيضاً في تاج العروس³. ولا غرابة في هذا الكلام والتوافق في المعنى؛ فالذال هي المقابل المجهور للطاء.

ويتّضح ممّا سبق أنّ النّطفة لفظة كانت تستعمل للدلالة على الماء القليل والكثير، فارتقى القرآن الكريم بدلالة هذه اللفظة فأصبحت تدلّ على ماء الرّجل القليل، الذي منه يكون الولد. فالألفاظ لم تُخلق لتُحبس في خزائن من الرّجاج أو البلور.... ولكنها وجدت ليرتدّ تداولها والارتقاء بدلالاتها⁴.

وتشكّل النّطفة المرحلة الأولى من مراحل تشكّل الجنين في بطن أمّه، وهذه التسمية تسمية كيميائية فالماء يؤلّف الجزء الأكبر منها ويحيط بها. فوردت لفظة (نطفة) في القرآن الكريم في اثني عشر موضعاً منها: قوله تعالى: {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ حَصِيمٌ مُّبِينٌ} ⁵ فجاءت هذه الآية عندما ذكر الله الاستدلال على وجوده وقدرته بأجرام الأفلاك في قوله تعالى: "خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ"

¹ السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن: جامع الأحاديث. 134 - 135.

² ابن فارس: مقاييس اللّغة. 5 410. مادة (ندف).

³ الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس. 24|395. مادة (ندف).

⁴ أنيس، إبراهيم: دلالة الألفاظ. ط7. مصر: مكتبة الأنجلو المصرية. 1993. ص106.

⁵ النحل: آية 4.

﴿٢﴾¹ وأتبعه بالاستدلال على الله بالإنسان، فهي إشارة إلى الاستدلال ببدنه وأحوال نفسه على الصانع الحكيم، فقد كان نطفة قذرة، وجماداً لا حسَّ له ولا حركة².

وفي قوله تعالى: { قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا } ﴿٧٧﴾³، وقوله تعالى: { يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنْ أَلْبَعَثْنَا فَإِنَّا خَلَقْنَكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ }⁴. في الآية الأولى وردت لفظة (نطفة) في سياق الحديث عن خلق الله سبحانه وتعالى للإنسان، الذي لم يكن عبثاً؛ بل خلقه للعبودية، فوجب أن يحصل للمطيع ثواب وللمذنب عقاب، فهياً الإنسان حياةً صالحةً للتكليف. إذ بدأ الله خلق الإنسان من تراب؛ ذلك أنه يُخلَق من المنى ودم الطمث و هما يتوالدان من الأغذية، التي هي إما من حيوان أو نبات، وغذاء الحيوان أيضاً يعود في أصله إلى النبات، الذي يتولد من الأرض والماء، فصَحَّ قوله بخلق الإنسان من تراب⁵. والآية الثانية من سورة الحج جاءت في سياق ذكر مراتب أو أطوار خلق الإنسان.

أما قوله تعالى: { ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ } ﴿٢٣﴾⁶ خلق الله الإنسان أولاً طيناً، ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة في أصلاب الآباء، فقفذه الصلب بالجماع إلى رحم المرأة، فصار الرحمُ قراراً مكيناً لهذه النطفة، والمراد بالقرار؛ موضع القرار وهو المستقر فسمّاه بالمصدر، ثم وصف الرحم بالمكانة؛ التي هي صفة المستقرّ فيها كقولك طريق سائر أو لمكانتها في نفسها؛ لأنها تمكّنت من حيث هي وأحرزت⁷.

¹ النحل: آية 3.

² ينظر: الرّازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي: التفسير الكبير. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 2000. ج19. ص 168.

³ الكهف: آية 37.

⁴ الحج: آية 5.

⁵ ينظر: الرّازي: التفسير الكبير. 107 \ 21.

⁶ المؤمنون: آية 13.

⁷ الرّازي: التفسير الكبير. 74 \ 23.

وجاءت (النُّطفة) في موضع آخر في سياق الحديث عن تتاسل الإنسان، بعد هبوط آدم وحواء إلى الأرض، وبرمجتهما الخالق عزّ وجلّ ليكونا قادرين على مواصلة تكوّن الجنس البشريّ، وهذا من باب التذكير والإخبار قبل اكتشاف المخابر، في قوله تعالى: { وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا }¹.

وفي سياق ذكر إنكار الإنسان وجوده بنعم خالقه، في قوله تعالى: { أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ }²، بعد خلق الإنسان من نُطفة، فإذا به ناطق فاهم، وهذا الإبداع أعجب من إبداع الجسم والخلق، و"خصيم" أي ناطق، وإنما ذكر الخصيم مكان النطق لأنه أعلى أحوال الناطق، فإنّ الناطق مع نفسه لا يبين كلامه مثل ما يبينه وهو يتكلم مع غيره، والمتكلم مع غيره إذا لم يكن خصماً لا يبين ولا يجتهد مثل ما يجتهد إذا كان كلامه مع خصمه. و"مُبين" أي إشارة إلى قوّة عقله، والمبين بان عنده الشيء فأبانه لغيره، { مِنْ نُطْفَةٍ } إشارة إلى ما كان عليه، و { خَصِيمٌ مُبِينٌ } إشارة إلى النطق والإبانة، وهذا ما يميّزه عن غيره من المخلوقات.

وللنُّطفة أنواع: "نُطفةُ الرَّجُل": وهي الحيوانات المنويّة الموجودة في داخل مني الرَّجُل، ونُطفة الأنثى هي البويضة التي يفرزها المبيض مرّة واحدة في الشهر، ونُطفة الأمشاج هي البويضة الأنثى المختلطة والملقحة بماء الرَّجُل"³.

وقد اختلف العلماء في كون النُّطفة أمشاجاً أي مختلطة في قوله تعالى: { أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيِّ يَمَنِ }⁴ وقوله: { إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ

¹ فاطر: آية 11.

² يسن: آية 77.

³ مصطفى، أحمد: الموسوعة الذّهبيّة في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبويّة. ط1. القاهرة: دار ابن الجوزي. 2005. ص267.

⁴ القيامة: آية 37.

سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾¹ حيث بيّن الأكثرون أنّ الأمشاج اختلاط نُطفة الرّجُل بنُطفة المرأة، وهي عبارة عن انتقال هذا الجسم (النُطفة) من حال إلى حال؛ من نُطفة مشجّت بدم وهو دمّ الحيضة، فقد بيّن الرّازي هذا بقوله: "ذلك أنّ المرأة إذا تَلَقَّت ماء الرّجُل وحبّلت أمسك حيضها فاختلفت النُطفة بالدمّ، ثمّ جعله الله سميعاً بصيراً ليبيّته"².

وفي قوله تعالى: { قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ﴿٤﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿١٦﴾ }³

استفهام إنكاري للتوبيخ، غرضه التحقير؛ فخلق الله الإنسان من النُطفة، وهي شيء حقير مهين. والآية نزلت في عُتْبَةَ بن أبي لهب، والمراد ذمّ كلّ غنيّ ترَفّع على فقير بسبب الغنى والفقير، {قُتِلَ الْإِنْسَانُ} جملة دعائيّة؛ أي الدعاء على الإنسان ما أكفره! تعجّب من إفراطه في كفران نعمة الله، إذ قدره أطواراً؛ نُطفة ثمّ علقه إلى آخر خلقه.

في هذه المرحلة تَلَقَّح البويضة وتبدأ انقسامات متعدّدة، إذ تعرف هذه المرحلة بمرحلة الانقسام، وتحوّل البويضة الملقّحة (النُطفة الأمشاج) إلى ما يشبه التوتة، ثمّ تنتقل فتصير مثل الكرة المجوّفة وتسمّى الكرة الجرثوميّة، ويبقى قُطرُ النُطفة الأمشاج حتى بعد أن تصبح كرة جرثوميّة لا يزيد عن ربع مليمتر. وهذه المرحلة تأخذ أسبوعاً كاملاً حتى تَعَلَّق هذه النُطفة الأمشاج بجدار الرحم بواسطة الخملات، التي تحوي وعاء لمفاوي وشریان ووريد، وتحوّل حينئذٍ إلى المرحلة التي تليها وهي العلقّة.⁴

العلقّة:

تمتّل العلقّة المرحلة الثانية من رحلة الجنين في رحم أمّه، وهذه التسمية من قبيل التسمية التشريحية المجهرية. وجاء في اللسان: "العلق: الدمّ، وقيل هو الدم الجامد الغليظ، وقيل: الجامد

¹ الإنسان: آية 2.

² ينظر: الرّازي: التفسير الكبير. 209 \30.

³ عبس: الأيتان 17 - 18.


⁴ ينظر: البار، محمد علي: خلق الإنسان بين الطبّ و القرآن. الدار السعودية للنشر والتوزيع. ص365.

قبل أن يببس، وقيل: هو ما اشتدَّت حرته، والقطعة منه علقَة¹، ويعرفها الزبيدي: "العلقَة: دُوَيْبَة، وهي دويذة حمراء تكونُ في الماء، تَعَلِّقُ بالبدنِ وتمتصُّ الدّمَ"²، ولعلَّ هذا هو المعنى الأصلي، وإنما سمِّي الدم الموصوفُ بذلك لشبهه بها إذ يكون لونها أحمر كالدم، فالمظهر الخارجي للجنين يشبه الدم المتخثر الجامد الغليظ. وفي هذا المعنى أنشد طرفة بن العبد³:
(البحر الكامل)

ربلات خيلٍ ما تزال مغيرةً يقطن من علق على الثّثات

رأى طرفة خيلاً مرّةً فأنشد هذا فوصفها وهي مهاجمة على حين غرّة، حيث كان الدّم يقطر من الشعر الموجود في مؤخرة رجل الفرس.

وقد وردت لفظة (العلقَة) في القرآن الكريم ستّ مرّاتٍ، قال تعالى: {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ

عَلَقٍ} ⁴ وهي من أوّل ما نزل من القرآن الكريم على هادي البشريّة محمد (صلى الله عليه وسلم). إذ خصّ الله سبحانه وتعالى الإنسان بالذكّر من بين جميع المخلوقات، إمّا لأنّه أشرف ما على وجه الأرض، أو لأنّ التّنزيل إليه، وفي هذا تفخيم لخلق الإنسان ودلالة على عجب فطرته، وفي لفظة الإنسان معنى الجمع، و{مِنْ عَلَقٍ} على وجه الجمع، لأنّ الله خلق الإنسان {مِنْ نُطْفَةٍ ثُمّ مِنْ عَلَقَةٍ} ⁵ ويتفق في هذا التفسير الزمخشري والرازي⁶.

وفي الآيات الخمس الأخرى وردت لفظة (العلقَة)؛ لتمثّل المرحلة الثانية من نموّ الجنين، ويبدأ العلوق منذ اليوم السابع للتقيح، إذ تعلق النطفة بجدار الرّحم، وتحاط بالدّم المتجمّد، وتبدأ

¹ ابن منظور: لسان العرب. 19 \ 361. مادة (علق)

² الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس. 13 \ 344. مادة (علق)

³ طرفة بن العبد: شرح ديوان طرفة بن العبد. تحقيق وشرح: رحاب عكاوي. ط1. بيروت: دار الفكر العربي. 1993. ص144.

⁴ العلق: آية 2.

⁵ غافر: آية 67.

⁶ ينظر: الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر: الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 4 \ 781. والرازي: التفسير الكبير. 32 \ 16.

بالتطوّر، وهناك تتعرّض الكرة الجرثوميّة لمجموعة تعلّقات بالجدار الخلفيّ للرّحم. فالتعلّق الأوّل يكون عن طريق الخلايا الآكلة التي تتغرز في غشاء الرّحم، ثمّ التعلّق بواسطة الخلايا المخلاويّة التي تتكوّن من أهداب وخمائل تربط بين الحلقة وجدار بيت الرّحم، ومن ثمّ تتحوّل إلى خملات المشيمية¹؛ تتغرز في غشاء المشيمة التي تعدّ عضواً دائرياً مسطحاً الشّكل يتّصل بالجنين عن طريق الحبل السّريّ في الرّحم، ويتمّ خروجها من جسم الأمّ في مرحلة الولادة، وتعمل على حماية الجنين وتغذيته، وتثبيت الحمل، وذلك عن طريق إفراز هرمون البروجسترون الذي يساعد على استمرار الحمل، وتتضمّن أيضاً عملية الإخراج؛ فنقوم بإخراج الموادّ السامّة الناتجة عن عملية الأيض عن طريق المشيمة. ثمّ التعلّق بواسطة المعلاق، الذي يستطيل ليصبح الحبل السّريّ الذي يربط بين الجنين والمشيمة²، إذ وصف القرآن الكريم هذه الأغشية التي تحيط بالجنين حتى يكتمل نموّه بالظلمات الثلاث: { تَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ }³ وهذه الظلمات ما هي إلاّ أغشية تحيط بالجنين في أطوار تكوينه، كان المفسّرون قديماً يعتقدون أنّ الظلمات الثلاثة هي: البطن، والرّحم، والمشيمة، حيث يمثّل الرّحم مكان الخلق، إلا أنّ العلماء في العصر الحديث اكتشفوا أنّ الرّحم مكوّن من ثلاثة أغشية هي: غشاء السّلى (الأمينوسي)، الذي يحيط بالجنين مباشرة، وغشاء الكوريون، الذي يتّصل بالمشيمة لإمداد الجنين بالغذاء، والغشاء الساقط، يقوم بتثبيت الجنين بجدار الرّحم، ويسمّى الساقط؛ لأنّه يسقط مع آلام الوضع. فكلّ غشاء وظائفه المهمّة بالنسبة لنموّ الطّفل والحفاظ عليه في المراحل المختلفة وتغذيته⁴.

¹ ينظر: الجاعوني، تاج الدين محمود: الإنسان هذا الكائن العجيب؛ أطوار خلقه وتصويره في الطبّ والقرآن. ط1. عمّان: دار عمّار. ج1. 1993. ص149.

² ينظر: البار، محمد علي: خلق الإنسان بين الطبّ والقرآن. الرياض: الدار السعودية للنشر والتوزيع. 1984. ص368.

³ الزّمر: الآيتان 6-7.

⁴ ينظر: ضيف الله، سليمان ضيف الله: خلق الإنسان كما تعرضه آيات القرآن الكريم. إشراف: عبد الجليل عبد الرحيم. رسالة جامعية. الجامعة الأردنية. 1986. ص36.

في هذه المرحلة تنمو الطبقة الداخلية لخلايا الكرة الجرثومية إلى طبقات ثلاث مختلفة في الأسبوع الرَّحْمِيّ الثالث: طبقة الخلايا الداخلية التي ستخلق منها مكونات الجلد والمخ والجهاز العصبي المركزي، وبعض الأجهزة كعدسات العين، والأذن الداخلية. وطبقة الخلايا الوسطى، التي سينتج منها الهيكل العظمي والعضلات والقلب والأوعية الدموية. وطبقة الخلايا الخارجية، التي سيتكوّن منها الجهاز الهضمي والجهاز البولي والقناة السمعية والأذن الوسطى والكبد.¹

وصف علماء الأجنة هذه المرحلة بأنّها "مرحلة الالتصاق و الانغراز"²، في نهاية هذه المرحلة تُشكّل طبقة الخلايا الوسطى الكتل البدنيّة، وعندئذٍ تكون العلقّة قد تحوّلت إلى مُضغّة.

المُضغّة:

وردت لفظة (مُضغّة) في القرآن الكريم ثلاث مراتٍ في آيتين:

قال تعالى: { فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تُّرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عُلُقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ³ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى }³، وقوله تعالى: { ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا⁴ }.

والمُضغّة لغة من: "مَضَغَ يَمْضَغُ و يَمْضِغُ مَضْغًا: لآك. والمُضغّة: القطعة من اللحم لمكان المضغ، وقال خالد بن جنبة: المُضغّة من اللحم قَدَرٌ ما يُلقِي الإنسانُ في فيه، ومنه قيل: في الإنسان مُضغَتان إذا صلّحتا صلح البدن: القلب واللسان. والجمع مُضغٌ"⁵. و" المُضَاغَة: ما

¹ ينظر: محمد تايه. مطابقة علم الأجنة لما ورد في القرآن و السنة. مجلة الرسالة. المعهد الأكاديمي لإعداد المعلمين العرب كلية بيت بيرل. المحرر لطفي منصور. ص 445.

² دفضع، بسّام: الكون والإنسان بين العلم والقرآن. ط1. بيروت: دار اليمامة. ص 167.

³ الحج: آية 5.

⁴ المؤمنون: آية 14.

⁵ ابن منظور: لسان العرب. 13 \ 129. مادة (مضغ).

يبقى من المَضْع في الفم¹ " فإذا صارت القطعة التي خُلق منها الإنسان لحمًا فهي مُضْغَة، وفي هذا المعنى أنشد زهير بن أبي سلمى²:

تَلْجِحُ مُضْغَةً فِيهَا أُنْيُضُ أَصَلَّتْ فَهِيَ تَحْتَ الْكَشْحِ دَاءُ
عُصِصَتْ بِنَيْئِهَا فَبَشِمَتْ مِنْهَا وَعِنْدَكَ لَوْ أُرِدْتَ لَهَا دَوَاءُ

في هذه المرحلة التي تبدأ في اليوم العشرين أو الواحد والعشرين منذ التلقيح، تظهر أول كتلة بدنية في أواخر الأسبوع الثالث، وعندها يكون قد بدأ طور جديد في تكوين الجنين، حيث يبدو الجسم بلا معالم، ثم تأخذ في النمو إلى أن تبدو للعين المجردة كالغضروف، أو قطعة لحم ممضوغة، حتى تتحول من مضغ غير مخلقة - غير واضحة المعالم - إلى مضغ مخلقة واضحة المعالم، ذات أطراف يسهل تمييز كل منها. فيبدأ العمود الفقري في التكوّن، وينمو الجهاز العصبي، وتظهر بداية الجهاز التنفسي، والجهاز البولي والتناسلي في شكل كتلة بدنية من قمة الجنين إلى مؤخرته. وتظهر حويصلة العين ثم حويصلة السمع، ويتحول المعلاق إلى الحبل السري وتظهر الأوعية الدموية بوضوح.³

أما عن مصير هذه المضغَة في قوله تعالى: { ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنَبِّئَنَّ لَكُمْ وَنُقَرِّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى }⁴ فتارة تستقر في رحم المرأة ولا تسقطها، وتارة تسقط، فإذا استقرت في الرحم أخذها ملك بكفه فقال: يا ربّ مخلّقة أو غير مخلّقة؟ فإن قيل غير مخلّقة، لم تكن نسمة، وقذفتها الأرحام دماً، وإن قيل مخلّقة قال: أي ربّ، ذكر أو أنثى، شقيّ أو سعيد، ما الأجل، وما الأثر، وبأيّ أرض يموت؟⁵

¹ الأصفهاني، الراغب: معجم مفردات ألفاظ القرآن. تحقيق: نديم مرعشلي. بيروت: دار الفكر. ص489.

² ابن أبي سلمى، زهير: ديوانه. اعتنى به وشرحه: حمدو طماس. ط2. بيروت: دار المعرفة. 2005. ص14. تلجج: تردد. المضغ: قطعة اللحم. أنيض: الذي لم ينضج بعد. بشمت: أتخمت.

³ ينظر: الجاعوني: الإنسان هذا الكائن العجيب أطوار خلقه في الطبّ و القرآن. 183١..

⁴ الحج: آية 5.

⁵ ينظر: ابن كثير، أبو الفداء دمشقي: تفسير القرآن العظيم. بيروت: دار الفكر. 208١3.

العظام:

قال تعالى: { فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا

ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾¹، يبين ابن فارس دلالة العظم قائلاً: " العين والطاء والميم أصل واحدٌ صحيحٌ، يدلُّ على كبر وقوَّة، ومن الباب العظمُ المعروف، وسمِّي بذلك لقوَّته وشدَّته"².

في هذه المرحلة التي تستغرق الأسبوع الخامس والسادس والسابع، لا تتكوّن العظام على نحوٍ موحّد في الجسم كلّهُ، فالأنسجة العظمية تظهر بالتعاقب، وتنتقل في أطوار، ولا ينتهي نموّها إلا في مرحلة متأخّرة جدّاً، إذ يتخلّق أنموذج غضروفيّ لهذه العظام تدريجيّاً في الجسم كلّهُ، وينتشر على هيئة هيكلٍ عظميٍّ في الجنين، ويكون العظمُ الأولي³.

والعظام التي تتكوّن في الهيكل العظميّ تنقسم إلى قسمين: عظام غشائية؛ تنمو مباشرة على رقائق غشائية، وأهم ما يمثّلها عظام الجمجمة ما عدا قاعها. وعظام غضروفية؛ تتكوّن من الغضاريف ثمّ تمتلئ بالعظام تدريجيّاً، ويمثّلها قاع الجمجمة، وبقية عظام الجسم مكوّنة من عظام غضروفية، حيث أثبت العلم في وقت متأخّر أنّ خلايا العظام غير خلايا اللحم، كما أثبت أنّ العظام هي التي تتكوّن أولاً في الجنين⁴.

اللحم:

قال تعالى: { فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا

ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾⁵ تفيد الفاء في قوله تعالى: " فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ

¹ المؤمنون: آية 3.

² ابن فارس: مقاييس اللغة. 355 ١4. مادة (عظم).

³ ينظر: الأغر، كريم نجيب: إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام وما جاء في علم الوراثة و الرضاعة وبدء الخلق. بيروت: دار المعرفة. ص

⁴ ينظر: المرجع السابق: ص323.

⁵ المؤمنون: آية 14.

لَحْمًا " التعاقب السريع للمرحلتين: مرحلة العظام، ومرحلة كسوتها بالعضلات. وتبدأ هذه المرحلة في الأسبوع الثامن، ويظهر تميّز واضح لعضلات الجذع والأطراف والرأس، ويغلب على الجنين وقتئذٍ مظهر العضلات بعد أن كان يغلب عليه مظهر العظام¹.

قال ابن فارس في اللفظ ومعناه: " اللام والحاء والميم أصلٌ واحدٌ صحيحٌ، يدلُّ على تداخل، كاللحم الذي هو متداخل بعضه في بعض، ولحم كلِّ شيءٍ لَبَنٌ²، وإذا صار بين عظام الجسم لحمٌ يُلحَمُ به.

نفخ الرّوح:

يأتي استكمالاً لأطوار خلق الإنسان المذكورة في الآية: {ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ} ³ والإنشاء هو التصوير والتسوية والتعديل، ثمّ النفخ في الرّوح، و(ثمّ) هنا تفيد التراخي ولا تفيد السببية؛ أي أنّ النفخ في الرّوح جاء في مرحلة متأخرة وليس بسبب الإنشاء والتعديل، وبالتالي لم تكن هذه المرحلة نتيجة المراحل السابقة، فنفخ الرّوح لا يرتبط بتطورات الجنين، بل هو سرّ من أسرار الله يودعه جسم الإنسان، والبحث في حقيقتها أمر في غاية الغموض، والمعطيات الأساسية غير متوافرة للبحث فيها. أمّا في قوله تعالى: {ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ} ⁴، إذ وضّح ابن فارس دلالة التسوية فقال: "سَوَّى: السين والواو والياء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على استقامة واعتدال بين شيئين" ⁵ حيث سَوَّى أعضاء جسم الإنسان وعدلها في المماثلة، لا تفضّل يد على أخرى ولا رجل على أخرى، فسوّاه إنساناً كريماً وعدل به أن

¹ ينظر: الأعرّ: إجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام وما جاء في علم الوراثة و الرضاعة و بدء الخلق. ص 323.

² ابن فارس: مقاييس اللغة. 5 \ 238. مادة (لحم).

³ المؤمنون: آية 14.

⁴ السجدة: آية 9.

⁵ ابن فارس: مقاييس اللغة: 3 \ 112. مادة (سوى).

يجعله حيواناً بهيماً. أمّا في دلالة نفخ فيقول: " النونُ والفاءُ والخاءُ أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على انتفاخ وعلو، ومنه انتفخ الشيء انتفاخاً، والنونُ والفاءُ تدلان على انقطاع الشيء وذهابه"¹.

إذ تبدو على الجنين في هذه المرحلة مظاهر جديدة؛ كاكتمال بناء القلب والكبد والدماغ والسمع والبصر، وتبدأ عضلاته الإرادية بالتحرك، ويتقلّب في رحم أمّه، ويبدأ ظهور الأطراف في أطراف أصابع اليدين والقدمين، وتتضح معالم الشخصية المتميّزة عن جميع البشر.²

والقارئ المتأمل للآيات التي اشتملت على وصف أطوار خلق الإنسان، يجد أنها إعدادٌ لما هو أشرف وأعلى من حياته، وبرهان من براهين الرسالة؛ ليرى فيها آثار الخالق الذي لا تدركه الأبصار ولا الأسماع. ورحلة الجنين في رحم أمّه رحلة شائقة ممتعة حقاً، عرفت البشرية عنها الكثير بعد علم الطبّ وعلم الأجنّة، ولكنّ القرآن الكريم كان أشار إلى ذلك من قبل قرون، فلا بدّ لكلّ عاقلٍ ومدركٍ من وقفة تدبّر وتفكر في هذا الخلق، تملأ النفوس وتشدّ العقول إيماناً وخشوعاً أمام عظمة الخالق جلّ في علاه.

وهكذا فإنّ اللغة العربيّة لها فرادة جليّة، ومازالت ألفاظها مستعملة متقدمة يجمعها محور هو القرآن الكريم، فالألفاظ تردّ في اللغة ذات دلالاتٍ عامّة، ولكنها خصّت في القرآن الكريم بدلالاتٍ محدّدة استعملت في سياقات معيّنة. وما تمّ استعراضه في هذا المبحث من ألفاظ ما هو إلّا نزرٌ يسير من الألفاظ ذات الدلالات القرآنيّة الخاصّة.

¹ ابن فارس: مقاييس اللغة: 458١5. مادة (نفخ).

² ينظر: السعيد، عاشور: الإنسان في القرآن الكريم علمي، طبي، تربوي، ديني. القاهرة: دار غريب. 2002. ص 255.

المبحث الثاني

ألفاظ أطوار الإنسان بعد الولادة

يمرُّ الإنسانُ بعد ولادته واحتضان الأمِّ الكبرى له، بأطوار مختلفة، فقد رتّب القرآن الكريم عمر الإنسان بعد ولادته في ثلاث مراحل: كونه طفلاً، ثمّ أن يبلغ أشده، فشيخاً وحتى يموت، ويتّضح هذا من قوله تعالى: { اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً تَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۗ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ }¹ فالضعف الأوّل هو الماء المهين والنطفة، والآية متصلة بالردّ على من أنكر البعث؛ لأنّ الله الذي يقدر على فعل الأشياء قادر على البعث وإحياء الموتى. لكنّ مسكويه رأى أنّ الموت هو تمام حدّ الإنسان، لأنّه حيّ ناطق مائت، فالموت تمامه وكماله وبه يصير إلى أفاقه الأعلى، ومن علم أنّ كلّ شيء هو مركّب من حدّه، وحدّه مركّب من جنسه وفصوله، وأنّ جنس الإنسان هو الحيّ وفصله هو الناطق والمائت، علم أنّه سينحلّ إلى جنسه وفصوله. لأنّ كلّ مركّب سينحلّ إلى الشيء الذي ركّب منه².

الطفولة:

وردت لفظة (الطفّل) في القرآن الكريم في مواضع عدة منها: قوله تعالى: { ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ۖ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ ۗ وَلِتَبْلُغُوا أَجْلاً مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ }³، وقوله تعالى: { ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ

¹ الروم: آية 54.

² ينظر: مسكويه: تهذيب الأخلاق. تحقيق: قسطنطين زريق. بيروت. 1966. ص 210.

³ غافر: آية 67.

طِفْلًا ثُمَّ لَتَبَلُّغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى¹ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْضِ
الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا²، فقد وردت الآية نفسها في موضعين.

في الآية الأولى يربط القرآن الكريم بين خلق السموات والأرض، وما فيها من بدائع
صنع الله عزّ وجلّ، في حلقات مترابطة فيستعرض آيات الله في الإنسان بعد استعراضها في
الكون والآفاق في قوله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً
وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ
اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾}؛² فيعرض آية الحياة الإنسانية وأطوارها العجيبة، إذ يمرّ
بتطورات جنينية ثم يخرج طفلاً، ويمرّ بمراحل منذ ولادته حتى نهاية أجله، ومن الناس من لا
يستكمل هذه المراحل، فيموت قبل تمامها.

وفي الآية الثانية من سورة الحجّ بيان للمراحل التي تبدأ بمرحلة الطفولة، وعبر
بالمفرد (طفلاً) والمراد بها اسم جنس، فكأنه قال: يخرج كل واحد منكم طفلاً، وهذه المرحلة يتمّ
فيها النموّ والتّزايد في الجسم. ويقول ابن فارس: "الطاء والفاء واللام أصلٌ صحيحٌ مطرّدٌ، ثمّ
يقاس عليه، والأصل المولود الصّغير ويقال طفلاً والأنثى طفلة، وطفلاً الظلام: وهو أوله، وإنّما
سمّي طفلاً لقلته ودقته، وذلك قبل مجيء معظم الليل"³ و الطفّل: الرّخص الناعم من كل شيء،
يُقال: بنانك طفلاً، جاز أن يوصف البنان وهو جمع بالطفّل وهو واحد أو المولود، وقد يكون
الطفّل واحداً أو جمعاً"، والطفّل: بالكسر، الصّغير من كل شيء، أو المولود، كما في الصّباح،
وولد كلّ وحشيّة أيضاً: طفلاً⁴. وقوله تعالى: {وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ
وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ خُمُرَهُنَّ عَلَىٰ

¹ الحجّ: آية 5.

² غافر: آية 64.

³ ابن فارس: مقاييس اللّغة. 1 \ 167. مادة (طفل).

⁴ الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس. 15 \ 333. مادة (طفل).

جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبَدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا تُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾¹، جاءت لفظة الطفل في هذه الآية في سياق أمر المؤمنات بغضّ أبصارهنّ، وعدم إيذاء زينتهنّ أمام أيّ شخص، فذكر الطّف من هؤلاء الفئات المقصودة والمسموح لهنّ بإبدائها أمامهم، حيث وضع الواحد موضع الجمع لأنه يفيد الجنس، وقصد الطفل بذلك لأنهم لا يعرفون العورة ولا يميزون بينها وبين غيرها، فجزى لهنّ ذلك². وقوله تعالى: {وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَعِذُوا كَمَا أَسْتَعِذْنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ³ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾³، والمعنى أنّ الأطفال مأذون لهم في الدخول بغير إذن إلا في العورات الثلاث، فإذا اعتاد الأطفال ذلك ثمّ خرجوا عن حدّ الطفولة بأن يحتلموا أو يبلغوا السنّ التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ، وجب أن يفظموا عن تلك العادة ويحملوا على أن يستأذنوا في جميع الأوقات كما الرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول عليكم إلا بإذن⁴.

فالطفّل يولد على الفطرة؛ فطرة التوحيد الإلهي، وعقيدة الإيمان بالله، ويوسم بالبراءة والطهارة. وينتقل الجنين بولادته من المستقرّ (رحم المرأة) إلى البيئة الخارجيّة، ورحم أمّه الكبرى (الدنيا)، بعد أن كان يعتمد على أمّه في غذائه وتنفسه، وبخروجه يبدأ بالاعتماد على نفسه. وبهذا يتحوّل من وليد إلى رضيع إلى فطيم، فينمو ويكبر ويتطوّر تشكيّله الجسمي وأجهزته ووظائفها، ويزداد وزنه ويمتدّ طوله، وتتغيّر ملامحه وتكثر حركته.

¹ النور: آية 31.

² ينظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. 13 \ 237.

³ النور: آية 59.

⁴ ينظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. 3 \ 259.

رحلة الوليد تبدأ من خروج الجنين من بطن أمه بتكامل أجهزته وأعضائه الجسميّة والفسيوولوجيّة، حيث يمارس أنشطة تناسب مرحلته العمرية كالنوم والمصّ والإخراج، وتمتدّ هذه المرحلة طوال الأسبوع الأوّل والثّاني من عمر الطفل. ويوضّح الزبّيديّ دلالة ولید بقوله: " وُلِدَ: ولید: مَوْلُودٌ: حين يولد، فهو فعيل بمعنى المفعول"¹، وردت في القرآن الكريم في عدّة مواضع منها: قوله تعالى: { قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وُلْدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ } قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ² إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾³ هذه الآية على لسان مريم عليها السّلام حيث تقول كيف يكون هذا الولد منّي وأنا لست بذات زوج ولست بغيا، والسؤال هنا ليس للإنكار بل أرادت الاستفسار³، فالولد إنّما يأتي بالزّواج، ولكن مثل عيسى عليه السّلام معجزة الخالق بمجيئه بلا أب. وجاءت اللفظة في سياق الحديث عن الابتلاء بالأولاد في قوله تعالى: { إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ⁴ }.

أمّا عن الانشغال بالأولاد عن ذكر الله في قوله تعالى: { يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ }⁵. والتفاخر بالأولاد في قوله تعالى: { فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَرْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٢٥﴾ }⁶. والتكاثر بالأولاد في قوله عزّ وجلّ: { أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ }⁷.

¹ الزبّيديّ: تاج العروس من جواهر القاموس. 9 323\ 323. مادة (ولد).

² آل عمران: آية 47. وردت الدلالة نفسها في: النساء 1، والنحل 72، ومريم 20.

³ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. 1 365.

⁴ التغابن: آية 15. ووردت الدلالة نفسها في: الأنفال 28.

⁵ المنافقون: آية 9. وردت الدلالة نفسها في: التغابن آية 14.

⁶ التوبة: آية 55.

⁷ الحديد: آية 20. وردت الدلالة نفسها في: سبأ 35، ومريم 77، والكهف 39، والتوبة 69.

وفي سياق تنزيه الخالق عن الولد في قوله تعالى: {وَأَنَّهُ تَعَلَّى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا} {٢} ¹. وعدم إغنائهم من عذاب الله في قوله: {لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۗ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۗ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} {٧} ².

وعن مشاركة الشيطان في الولد في قوله تعالى: {وَأَسْتَفْزِرُّ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبَ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكِهِمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا} {٤٤} ³. وعن ميراثه في قوله: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۗ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۗ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلِلذَّكَرِ مِثْلُ النِّصْفِ الَّذِي لِلنَّسَاءِ إِذَا هُنَّ عَاقِبُونَ ۗ وَلِلَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرْمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ أَفْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ} {٤} ⁴.

ثم تأتي مرحلة الرضاعة، المتجلية في قوله تعالى: {وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ} ⁶، ولفظة الأَوْلَاد هنا جيء بها لبيان وجوب الإنفاق على الأولاد. والرضيع لفظة تطلق على الطفل فترة رضاعته من ثدي أمه، وتشهد نمواً جسيماً سريعاً، كالجلوس والوقوف والحبو والمشي، ويكتسب الطفل فيها اللغة من والديه. وتمتد

¹ الجن: آية 3، وردت الدلالة نفسها في: البقرة 116، والأنعام 101، ويونس 68، والإسراء 111، ومريم 35-88-92، والأنبياء 26، والمؤمنون 91، والفرقان 2، والزمر 4، والذخرف 81.
² المجادلة: آية 17. وردت الدلالة نفسها في: الممتحنة 3، و سبأ 37، ولقمان 33، وآل عمران 116-10.
³ الإسراء: آية 64.
⁴ النساء: آية 11-12-176.
⁵ الأنعام: 137-140-151، وردت الدلالة نفسها في سورة الإسراء 31، والممتحنة 12، والتكوير 8-9.
⁶ البقرة: آية 233.

هذه الفترة من مولده حتى نهاية السنتين من عمره. وجاءت لفظة أولادهن، التي تعدّ لفظة ضامنة؛ إذ تشمل هذه اللفظة الذكر والأنثى في سنّ الرضاعة وغيره.

الصَّبَا:

يقول ابن فارس في دلالة هذه اللفظة: "الصاد والباء أصل واحد وهو إراقة الشيء"¹. و" صبا يَصْبُو صَبْوًا بالفتح، وَصَبُو كَعْلُوَّ وَصَبِي بالكسر منقوص، والصبيّ: مَنْ لَمْ يُفْطَمْ بعد. وفي التهذيب: قال بعضهم: صَبِيٌّ بمعنى فعولٌ وهو الكثير إتيان للصَّبَا"². وجاءت في اللسان: " صَبَا يَصْبُو صَبْوَةً: أي مال إلى الهوى والفتنة"³، ومن ذلك قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ ﴿١٢﴾} ⁴ فهو الصغير من الذكور، والجمع صَبِيَّةٌ وَصَبِيَّانَ، والأنثى صَبِيَّةٌ والجمع صَبَايَا، واللفظ مشتقّ من الصَّبْوَةِ بمعنى القوة أو اللّهُو.

وقد وردت في القرآن الكريم في موضعين: هما في قوله تعالى: {يَيْحَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ ۗ وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾} ⁵ أي آتاه الله الفهم والعلم والجد والعزم، والإقبال على الخير والإكباب عليه، والاجتهاد فيه وهو صغير حدث. قال عبد الله بن المبارك: قال معمر: قال الصبيان ليحيى بن زكريا: " اذهب بنا نلعب، فقال: ما للعب خلقنا قال فلهذا أنزل الله {وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا} ⁶.

¹ ابن فارس: مقاييس اللغة. 280\3. مادة (صبا).

² الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس. 590\19. مادة (صبو).

³ ابن منظور: لسان العرب. 14 \ 451. مادة (صبا).

⁴ يوسف: آية 23.

⁵ مريم: آية 12.

⁶ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. 114\3.

وفي قوله تعالى: {فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ^ط قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا

{٢٦} ¹، والمعنى المراد في هذه الآية كيف نكلّم "من هو موجود في مهده في حال صباه وصغره، كيف يتكلّم"، قال إنّي عبد الله، فأول شيء تكلم به أن نزّه ربه تعالى وبرأه عن الولد وأثبت لنفسه العبودية لربه².

الغلام:

بيّن ابن منظور دلالة غلام بقوله: "غَلَمٌ: الغُلْمَةُ، بالضمّ: شهوة الضراب. غَلِمَ الرَّجُلُ وغيره، بالكسر، يَغْلِمُ غَلْمًا وَاغْتَلَمَ اغْتِلَامًا إذا هاج، وفي المحكم: إذا غلب شهوة، وكذلك الجارية، وقيل: هو من حين يولد إلى أن يشيب، والجمع أَعْلَمَةٌ وَاغْلَمَةٌ وَاغْلَمَانٌ. وفي حديث عليّ: تجهّزوا لقتال المارقين المغتلمين؛ أي الذين تجاوزوا حدّ ما أمروا به من الدين، وطاعة الإمام، وبغوا عليه وطغوا"³ ويتّضح أنّ الغلام هو الشابّ من الذكور في مقتبل العمر، واللفظ مشتقّ من الاغتلام بمعنى مجاوزة الإنسان حدّ ما أمر به من خير وشر. والمصاحبة اللغويّة لكلمة غلام تدلّ على صغر السنّ والقوّة. وردت في حديث تميم: "فصادفنا البحر حين اغتلم، أي هاج واضطربت أواجه"⁴.

وردت لفظة الغلام في القرآن الكريم مفردة ومثناة ومجموعة. جاءت مفردة في قوله تعالى: {وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَحَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا} ⁵{٨٠}، الغلام هنا الصبيّ البالغ، وبيّن الرازي أنّ لفظ الغلام قد يتناول الشابّ البالغ بدليل أنّه يقال: رأى الشيخ خيراً من مشهد الغلام، فجعل الشيخ نقيضاً للغلام وذلك يدلّ على أنّ الغلام هو

¹ مريم: آية 29.

² ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. 1203.

³ ابن منظور: لسان العرب. 12 \ 440. مادة (غلم).

⁴ الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد: النهاية في غريب الحديث والأثر. تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي. بيروت: المكتبة العلمية. 1979. 382 \ 3.

⁵ الكهف: 80. ووردت الدلالة نفسها في: آل عمران 40، يوسف 19، والحجر 53، ومريم 7-8-20-19، والصافات 101، والذاريات 28.

الشباب، وأصله من الاغترام وهو شدة الشبق وذلك إنما يكون في الشباب¹. ومثناة في قوله: { وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ²، ومجموعة في قوله تعالى: {وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ هُمْ كَأَنَّهُمْ لَوْلُوهُمْ³ } هنا جاءت للإخبار عن "خدم المؤمنين وحشمهم في الجنة؛ كأنهم اللؤلؤ الرطب المكنون، في حسنهم وبهائهم ونظافتهم وحسن ملابسهم، والحقيقة أن الجنة ليس فيها نصب ولا حاجة إلى خدمة؛ وإنما هي إخبار عن نهاية النعيم"⁴.

الفتى:

تطلق على الشباب الكامل من الذكور الذي شب وقوى، واللفظ مشتق من الفتاء بمعنى الشباب تقول: "فتى يفتو والجمع فتيان وفتية، والأنثى فتاة والجمع فتيان، وقولهم في حديث البخاري: الحرب أول ما تكون فتية، قال ابن الأثير: هكذا جاء على التصغير أي شابة، ورواه بعضهم فتية، بالفتح. والفتى والفتاة: العبد والأمة"⁵. حيث وردت في القرآن الكريم في مواضع كثيرة مفردة ومثناة ومجموعة. حيث وردت مفردة في قوله تعالى: {قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ⁶ }، فتى أي شاب في مقتبل العمر⁷.

وتكاد الدلالة نفسها ترد في قوله تعالى: {إِذْ أَوْى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا⁸ }، وقوله: {خُنْ نَقْصُ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَهُمْ هُدًى⁹ } فالمقصود بفتية هنا

¹ ينظر: الرازي: التفسير الكبير: 21 \ 132.

² الكهف: آية 82.

³ الطور: آية 24.

⁴ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. 4 \ 243.

⁵ ابن منظور: لسان العرب. 15 \ 145. مادة (فتى).

⁶ الأنبياء: آية 60.

⁷ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. 3 \ 183.

⁸ الكهف: آية 10.

⁹ الكهف: آية 13.

جماعة من الشبان آمنوا بالله. أمّا في قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتْنِهِ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰ
أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا} ¹ وقوله عز وجل: {فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتْنِهِ
ءَاتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا} ²، فقد سمى الله صاحب موسى
الذي صحبه في البحر فتاه؛ لأنه كان يخدمه في سفره ودليله أن طلب منه الإتيان بالغداء، وهذا
الفتى قيل أنه الخضر. وجاءت مفردة في قوله تعالى: {يوسف وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ
الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْنَهَا عَن نَّفْسِهِ ۗ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۗ إِنَّا لَنَرْنَهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} ³
فتاها أي غلامها.

ومثناة في قوله تعالى: {وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ} ⁴، الإجماع على أنهما غلامان،
كما بيّن ابن كثير هذا في كلامه: "وكان يوسف عليه السلام قد اشتهر في السجن بالجدود
والأمانة وصدق الحديث، وحسن السميت، وكثرة العبادة صلوات الله عليه وسلامه، ومعرفة
التعبير، والإحسان إلى أهل السجن، وعيادة مرضاهم، والقيام بحقوقهم، ولما دخل هذان الفتيان
إلى السجن تألفا به وأحباها حباً شديداً، فالمقصود هنا بالفتيين غلامي الملك" ⁵.

ووردت كلمة فتى بالجمع أيضاً في قوله تعالى: {وَقَالَ لِفَتَيَيْنِهِ اجْعَلُوا بِضَعْتَهُمْ فِي
رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} ⁶، فتيان أي
الغلمان الكياليين الذين عملوا عند عزيز مصر ⁷.

¹ الكهف: آية 60.

² الكهف: آية 62.

³ يوسف: آية 30

⁴ يوسف: آية 36.

⁵ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. 2 \ 478.

⁶ يوسف: آية 62.

⁷ ينظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. 2 \ 441.

أما جمعاً للمؤنث في قوله تعالى: { وَلَا تَكْرَهُوا فِتْيَانَكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ
تَحْصِيئًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا }¹ والمعنى نفسه يقصد في فتياتكم، حيث كان لعبد الله
بن أبي راس النفاق ست جوار، يكرههن على البغاء، وضرب عليهن ضرائب فشكت اثنتان
منهن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية، وكان يُكنى بالفتى والفتاة: عن العبد
والأمة. وفي الحديث: (ليقل أحدكم فتاي وفتاتي، ولا يقل عبدي وأمتي)².

وقد جاءت لفظة الناشئ في قوله تعالى: { أَوْ مَنْ يُنشأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي
الْحِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ }³ أي من يربى ويشب والنشوء: التربية، وقد يكون (يُنشأ) بفتح الياء
وتسكين النون، أي يرسخ وينبت، (فِي الْحِلْيَةِ) أي في الزينة وهن الجوارى زيهن غير
الرجال⁴. ذكر الزبيدي دلالة نشأ في قوله: "نشأ ينشأ: حيي وارتفع، ونشأ ينشأ نشأ ونشأ: ربا
وشب، ونشأت في بني فلان ومنشئي فيهم، نشأ ونشوءاً: شببت فيهم، ونشأت (السحابة) نشأ
ونشوءاً: ارتفعت وبتت، وذلك في أول ما تبدأ. والناشيء: فويق المحتلم، وقيل: هو الغلام
والجارية وقد جاوزا حد الصغر، وكذلك الأنثى ناشيء، بغير هاء أيضاً، وقال ابن الأعرابي:
الناشيء: الغلام الحسن الشباب وعن أبي عمرو: غلام ناشيء، وجارية ناشئة"⁵، فهو البالغ من
الصبيان الذي ارتفع عن حد الصبا إلى الإدراك.

الشباب:

شب لغة " الشين والباء أصل واحد، يدل على نماء الشيء وقوته وحرارة تعزيره، من
ذلك شببت النار أشهباً شباً وشبوباً، وهو مصدر شببت. وكذلك شببت الحرب إذا أوقدتها، ويقال

¹ النور: آية 32.

² ينظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. 3 \ 244.

³ الزخرف: آية 18.

⁴ ينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن. 71 \ 16.

⁵ الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس. 1 \ 463. مادة (شيب).

شَبَّ الغُلامُ شَبَبًا، وأَشَبَّ اللهُ قَرْنَهُ. والشَّبَابُ خِلافُ الشَّيْبِ، جَمعُ شَابٍ، وَذلكَ هُوَ النَّماءُ وَالزِّيادَةُ بِقوَّةِ جِسمِهِ وَحِرارَتِهِ، وَنقولُ شَبَّ عَنِ الطَّوقِ: كَبُرَ وَنَما¹.

في هذه المرحلة يتم كمال النشء والنمو، وهي فترة تتميز بالعطاء والحيوية والنشاط كما ورد في قوله تعالى: {ثُمَّ لَتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ²} قال صاحب الكشاف: " لتبلغوا أشدكم" متعلق بفعل محذوف تقديره ثم ييقنكم لتبلغوا استواء الشباب، وخلق الفهم والعقل، وسهل في تربيته وأعدتكم لتبلغوا أشدكم³. اختلف العلماء حول الأشد؛ فقال بعضهم حتى يحتلم، أو حتى يبلغ ثلاثين سنة، وقيل أربعون سنة، وقيل ستون سنة، وقيل حتى تكتب حسناته وسيئاته⁴. ويصل إنتاج الفرد في هذه المرحلة ذروته؛ فهي مرحلة كفاح وتنافس، وإرساء لقواعد الحياة على أسس ثابتة و صلبة. ولم ترد لفظة الشباب في القرآن الكريم، بل جاء وصف لهذا الطور من حياة الإنسان.

الكهولة:

يُعرَفُ الزَّبِيدِيُّ الكَهْلَ بقوله: " من الرِّجالِ من وَخَطَهُ الشَّيْبُ أَي خَالَطَهُ، قال ابن الأثير: الكَهْلُ من الرِّجالِ مَنْ زادَ على الثَّلاثينَ سنةً إلى الأربعينَ وقيل: هو من ثلاث وثلاثين إلى تمام الخمسين. وقال الأزهري: وإذا بلغ الخمسين فإنه يُقال له كهل⁵، ومن أهم معالم الشخصية في مرحلة الكهولة هي التخفف من الأعمال التي تدعو إلى شدة التنافس والشعور الفردي بأنه حقق الأهداف التي رسمها في بدء حياته، وشعوره بحريته نتيجة لتخففه من أعباء الحياة⁶. وردت لفظة الكهل في القرآن الكريم في آيتين، وكان المقصود بهما عيسى عليه السلام، السلام، في قوله تعالى: {وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ٤٦}

¹ ابن فارس: مقاييس اللغة. 3 \ 177. مادة (شيب).

² الحج: آية 5.

³ الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل. 4 \ 182.

⁴ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. 12 \ 140.

⁵ الزبدي: تاج العروس: 15 \ 670.

⁶ ينظر: السعيد، عاشور: الإنسان في القرآن الكريم علمي، طبي، تربوي، ديني. ص 269.

{1، وقوله تعالى: {إِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ
 أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا^ط وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ
 وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ^ط {2 الآية " خطاب من الله عزّ وجلّ لعيسى عليه السلام، وتذكير
 له بنعم المولى الكثيرة عليه، منها تكليم الناس وهو في المهد وكهلاً، أي تدعو الناس إلى الله في
 صِغَرِكَ وكبرك، وتعني {تُكَلِّمُ} تدعو لأنّ كلامه النَّاسَ في كهولته ليس بأمر عجيب³. وهذا
 ممّا امتنّ به الله على عبده ورسوله عيسى ابن مريم - عليه السلام - ممّا أجراه على يديه من
 المعجزات الباهرات وخوارق العادات.

الشَّيْخُوخَةُ:

يؤصل ابن فارس دلالة شَيْخَ فيقول: " شَيْخَ الشين والياء والحاء كلمة واحدة وهي الشَّيْخُ،
 تقول: هو شَيْخٌ وهو معروف بين الشيوخة والشَّيْخِ والنَّشِيخِ"⁴. وجاءت في اللسان: " شَيْخٌ:
 الشَّيْخُ: الذي استبانته فيه السنّ وظهر عليه الشَّيْبُ، وقيل: هو شَيْخٌ من خمسين إلى آخره، وقيل:
 هو من إحدى وخمسين إلى آخر عمره، وقيل: هو من الخمسين إلى الثمانين، والجمع أَشْيَاخٌ
 وشَيْخَانٌ وشُيُوخٌ وشَيْخَةٌ وشَيْخَةٌ ومَشِيخَةٌ ومَشِيوخَاءٌ ومَشَايِخٌ، وشَيْخَتُهُ: دَعْوَتُهُ شَيْخًا لِلتَّبَجِيلِ،
 وتصغير الشَّيْخِ شَيْخٌ"⁵. تعدّ الشَّيْخُوخَةُ المرحلة التي تظهر فيها آثار الضعف والنقص الجسمانيّ
 الجسمانيّ والعقليّ والحركيّ، وتطلق على الرّجل الكبير الذي تقدّمت به السنّ.

¹ آل عمران: آية 46.

² المائدة: آية 110.

³ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. 116 \ 2.

⁴ ابن فارس: مقاييس اللغة. 3 \ 234. مادة (شيخ)

⁵ ابن منظور: لسان العرب. 3 \ 31 - 32. مادة (شيخ)

وردت لفظة شيخ في القرآن الكريم في أربع آيات هي: في قوله تعالى: {قَالَتْ يَوَيْلَآءِ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا} ¹ وجاءت على لسان سارة زوجة سيدنا إبراهيم عليه السلام، عندما جاءتهم رسل ربنا تبشّروهم بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ².

أمّا في قوله في جواب ابنتي شعيب السلام لموسى حين سألهما عن ورودهما إلى السماء، فقالتا: لا نسقي إلا بعد فراغ من قبلنا، والحال الملجئ لنا أن أبانا شيخ كبير ³، ورد هذا في قوله تعالى: {قَالَ مَا حَطَبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ} ⁴.

وعلى لسان إخوة يوسف في حديثهم إلى عزيز مصر لما تعين أخذ بنيامين وتقرر تركه عند يوسف، لأنهم وجدوا صواع الملك المفقود في رحله فشرعوا يترققون له ويعطفونه عليهم؛ لأنّ أباهم يحبه حباً شديداً ويتسلّى به عن ولده الذي فقده وهو يوسف عليه السلام، كما أنه شيخ كبير في السن ⁵، وهذا في قوله تعالى: {قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ} ⁶.

وتتكمال هذه المراحل لتشكل فيما بينها صورة واضحة عن شخصية الفرد في نشأتها ونموها وتطورها، ونضجها وضعفها وانحلالها، ويتبين هذا في قوله تعالى: {ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طفلاً ثُمَّ لَتَبَلَّغُوا أَشَدَّكُمْ ثُمَّ لَتَكُونُوا شُيُوحًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلَتَبَلَّغُوا

¹ هود: آية 72

² ينظر: الرازي: التفسير الكبير. 18 \ 231.

³ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. 3 \ 385.

⁴ القصص: آية 23.

⁵ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. 2 \ 487.

⁶ يوسف: آية 78.

أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} ¹، إخبار أن الله سبحانه وتعالى هو الذي يقبلكم في هذه الأطوار كلها، فمنكم مَنْ يتوفى قبل أن يوجد ويخرج إلى هذا العالم، بل تسقطه أمه سقطاً، ومنكم مَنْ يتوفى صغيراً وشاباً وكهلاً قبل الشيخوخة²، وقوله: {وَلَتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} وهو يوم القيامة، ولعلكم تعقلون هذه الأحوال العجيبة من أنواع العبر وأقسام الدلائل. فهذه الآية الواردة جاءت في سياق الحديث عن الخالق وقدرته في إبداع مخلوقاته ليل ونهار، سماء وأرض وإنسان.

وما الإنسان إلى مخلوقات الله إلا كحلقة في فلاة؛ فتبارك الله الذي خلق الكون الأصغر في هيئة الكون الأعظم؛ -الإنسان- الشمس عيناه، وعقله المدبر من فوقه، وقبله مشرق، ودبره مغرب، ويدها القطبان الأعظمان. وبلاد العرب بطن الأرض ورحمها التي زودت أنحاء الأرض المختلفة بالناس، ورقبة الإنسان هي الفضاء الخارجي، والصدر والرئتان هما الغلاف الغازي³. ومما لا شك فيه أن العلم توصل إلى هذه الحقائق بعد زمن طويل من إشارة القرآن إليها، وهذا خير دليل على صدق نبوة محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم {سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} ⁴.

وهكذا فإن أكثر الألفاظ الدالة على أطوار الإنسان بعد ولادته وروداً في القرآن الكريم؛ تلك الألفاظ الدالة على مرحلة الشباب من صبيّ وفتى وغلام وناشئ، ولا يخفى ما لهذه المرحلة من أثر كبير في بناء شخصية مستقلة للإنسان وتأمين مستقبله، فهي مرحلة العطاء الجمّ.

وبعد أن تدرّجت الباحثة في الحديث عن ألفاظ أطوار خلق الإنسان في القرآن الكريم، قبل الولادة وبعد الولادة، سنتناول في الفصل الثاني الألفاظ الدالة على الإنسان بكليّته وجزئياته.

¹ غافر: آية 67.

² ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. 4 \ 88.

³ ينظر: جبر، يحيى: نحو دراسات وأبعاد لغوية جديدة. ط1. نابلس: سلسلة أسفار العربية 6. ص 130-131.

⁴ فصلت: آية 54.

الفصل الثاني

الألفاظُ الجامِعةُ للإنسان

المبحث الأول: حَقْلُ الألفاظِ الضَّامِنَةِ للجنسِ البَشَرِيِّ.

المبحث الثاني: حَقْلُ الألفاظِ الدَّالَّةِ على الإنسانِ وأفرادِهِ وعلاقته

(ألفاظ القِرابَةِ).

الفصل الثاني

الألفاظ الجامعة للإنسان

تنوّعت الطرائق التي سلكها العلماء العرب القدامى في تحديد دلالات الألفاظ؛ إذ وضعوا معاجم لها، أو قاموا بترتيبها وتنظيمها في حقول دلالية بناء على فكرة جامعة، تقوم على وجود ملامح مشتركة بين كلمات الحقل الدلالي الواحد¹.

تُعرّف الحقول الدلالية بأنها حقول فهرسية دلالية؛ لكونها مؤلفة من كلمات، أما دلالية لارتدادها إلى العلاقة بين الدال والمدلول، إذ تزداد دلالات الألفاظ عن طريق إدخالها في مضمار حقلها. أو هي مجموعة من الكلمات ترتبط بدلالاتها، وتوضع عادة تحت لفظٍ عامٍّ يجمعها². حيث تكتسب اللفظة معناها من خلال علاقاتها بالألفاظ الأخرى، تماماً كقطع الشطرنج التي لا تعني شيئاً خارج رقعة الشطرنج؛ وإنما تتخذ قيمتها من خلال القطع الأخرى³؛ أي من خلال مجموعة الكلمات المتقاربة التي تملك علاقة تركيبية، مثل كلمات الألوان، حيث تتعدّد أشكال العلاقات الدلالية التي تربط الكلمات داخل الحقل الدلالي؛ كالاتساق اللفظي، والاشتمال، والتضمين، والضدّ. وتختلف الحقول الدلالية باختلاف المجالات الخاصة بكلّ منها، وعُدّ مجال الكائنات والأشياء من أكبر المجالات، ثمّ مجال الأحداث، ثمّ المجردات، ثمّ العلاقات⁴.

لقد تجسّدت هذه الفكرة عند علماء العرب القدامى، وإن لم يعطوها هذا الاسم من خلال الموضوعات التي عالجوها في رسائلهم اللغوية الصّغيرة، ككتاب الحشرات والسّلاح، وفي معاجم الموضوعات ككتاب الصّفات للنّضر بن شميل، والغريب المصنّف لأبي عبيد،

¹ ينظر: عرار، مهدي: *جدل اللفظ والمعنى - دراسة في دلالة الكلمة العربية*. ط1. عمّان: دار وائل. 2002. ص44. وحلمي خليل: *الكلمة دراسة لغوية معجمية*. ط2. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية. 1992. ص79.

² ينظر: عمر، أحمد مختار: *علم الدلالة*. ص143.

³ ينظر: نهر، هادي: *علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي*. تقديم: علي الحمد. ط1. الأردن: دار الأمل. 2007. ص564.

⁴ ينظر: لوشن، نور الهدى: *علم الدلالة دراسة وتطبيق*. بنغازي: منشورات جامعة قاريونس. 1995. ص120.

والمخصّص لابن سيده. وتعدّ نظريّة الحقول الدلاليّة من النظريّات الحديثة نسبياً، إذ ظهرت في العشرينيّات والثلاثينيّات من القرن العشرين، على أيدي علماء سويسريّين وألمان¹.

كثرت الدّراسات القرآنية والبحوث اللّغويّة التي جعلت من النّصوص القرآنية مرجعاً لها، ومؤشراً تقيس به أمارات تقدّمها وازدهارها اللّغويّ والمعرفيّ. إذ تتوّعت الأساليب العلميّة والمناهج اللّغويّة لخدمة هذا النّص المقدّس فجاءت الدراسة الدلاليّة وما يتفرّع عنها من دراسة الألفاظ وفقاً للحقول الدلاليّة.

ويشمل هذا الفصل الألفاظ الجامعة للإنسان، التي تشغل قسماً كبيراً في القرآن الكريم، وقسمت هذا الفصل إلى حقلين دلاليّين منفصلين. يتناول الحقل الأوّل الألفاظ الضّامنة للجنس البشريّ، ويتفرّع منه أربعة مجالات، هي: أولاً: بَشَر / ناس. ثانياً: شَعْب / أمة. ثالثاً: 1- آل / أهل / عشيرة / قبيلة / ذريّة. 2- فريق / عصابة / تلة / نفر/ رهط / قوم / طائفة / حزب. أمّا الحقل الدّلاليّ الثّاني فجاء بعنوان: الألفاظ الدالّة على الإنسان وعلاقاته وقرابته، واندرج تحته ثلاثة مجالات وهي على الترتيب: ألفاظ دالّة على القرابة المباشرة: أب، أم، أخ، أخت، ابن، ابنة. وألفاظ دالّة على القرابة غير المباشرة: كالعَمّ والعَمّة، والخال والخالة، والجَدّ والحفيد، وابن خال وابنة خال، وابن عمّ وابنة عمّة. وألفاظ دالّة على قرابة بالعرف والقانون كالزّوج والزّوجة والبعلّ والعشير.

¹ ينظر: نظرية الحقول الدلاليّة - دراسة تطبيقية في المخصّص لابن سيده - رسالة ماجستير. جامعة أمّ القرى. هيفاء عبد الحميد كلنن. إشراف: مصطفى عبد الحفيظ سالم. 2000. ص26.

المبحث الأول

حقل الألفاظ الضامنة للجنس البشري

يضمّ هذا الحقل الألفاظ الضامنة للجنس البشري، ويذكرنا مفهوم التضمين بمفهوم الاحتواء، فمثلاً: نقول كلمة زنبقة تحتويها وردة، وقرمزي يدخل في أحمر، حيث إن علاقة الاشتغال من أهمّ العلاقات في السيمانتيك التركيبي؛ فهو تضمّن طرف واحد حيث يكون (أ) مشتملاً على (ب)، ويكون (ب) أعلى في التقسيم التصنيفي أو التفريعي، فالمصطلح العلوي هو اسم الجنس المتضمّن، والسفلي هو الفرع المتضمّن¹.

يشتمل هذا الحقل على أربعة مجالات:

المجال الأول: يشمل الألفاظ الدالة على الجماعات الكبيرة والجماعات الصغيرة، التي ينتمي إليها الإنسان بحيث تصبح ذات دلالة واسعة على الجنس البشري أجمع، وتمثّل الألفاظ الدالة على الإنسان بكنياته.

أولاً: ألفاظ الجنس البشري: الناس - البشر

الناس

اختلف اللغويون في اشتقاقها هل هي من الإنس الذي هو نقيض الوحشة، أو النوس نقيض السكون، أو الإيناس الذي هو بمعنى الإبصار، أو النسيان الذي هو نقيض الذكر. بين ابن الشجري أنّ وزن (أناس) فعّال، وناس منقوص منه عند أكثر النحويين: فوزنه عّال، لكنها في السريانية ناشا. والنقص والإتمام فيه متساويان في كثرة الاستعمال. وإذا دخلت عليه الألف واللام التزموا الحذف فقالوا الناس. وذهب الكسائي إلى أنّ الناس لغة مفردة وهو اسم تام². وذكر ابن عباس أنّ الإنسان سُمّي إنساناً لأنّ الله عهد إليه فني. أمّا الفراء فقال إنه يجوز أن

¹ ينظر: بالمر، إف آر: علم الدلالة. ترجمة: مجيد الماشطة. بغداد: الجامعة المستنصرية. 1985. ص118.

² ينظر: النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب: 2/ 9+10.

يكون وزنه أفعلاً، من نَسِيَ يَنْسَى، فيكون الأصل منه إنسانياً. والدليل على هذا أنهم يقولون في تصغيره أنيسيان وأنيسين، فالناس هم الجماعة من بني الإنسان ذكوراً وإناثاً¹.

وردت كلمة الناس في القرآن الكريم مئتين وأربعين مرة، وتعددت السياقات التي وردت فيها هذه اللفظة، فقد وردت مع إحاطة الله بالناس في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ﴾² أي أن ربك أحاط بقريش وهذا تبشير بواقعة بدر بالنصرة على المشركين، و"أحاط بالناس" تدل على الإخبار³.

وللناس أحوال في السراء والضراء كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَدَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُمْ مَكْرٌ فِي آيَاتِنَا﴾⁴ حيث سلط الله القحط سبع سنين على أهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم الله بالحياة، فإذا هم يطعنون في آيات الله ويعادون الرسول.

وصف الله حالهم مع الفقر في قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْافًا﴾⁵ فهذا بيان أن من يكون أشد الناس استحقاقاً للصدقة هم الفقراء الذين أُحصرُوا في سبيل الله، ولا يستطيعون ضرباً في الأرض.

كثرت الآيات الدالة على قدرة الله سبحانه من خلق السماوات في ارتفاعها واتساعها، وخلق الأرض في انخفاضها وما فيها من جبال وأودية، واختلاف اللغة؛ فالعرب لغتهم العربية، والنتنر لهم لغة أخرى والحبش والعجم والهنود، وكذلك اختلاف الصور وتخطيطها والألوان

¹ ينظر: الأنباري: الزاهر في معاني كلمات الناس: 383/1.

² الإسراء: آية 60.

³ ينظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: 630/2.

⁴ يونس: آية 21. وعن حالهم عندما تصيبهم سيئة وعندما تصيبهم حسنة: الحج 11/الروم 33/الروم 36.

⁵ البقرة: آية 273.

وتتويعها، ولذا وقع التعارف¹، كما في قوله عز وجل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفُ اللَّسِنَتِكُمْ وَاللَّوَانِكُمْ إِنِّي فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾².

لقد نهى الله أن يأكل بعضكم مال بعض بالوجه الذي لم يبحه، ونهى عن دفعها إلى الحكام رشوة؛ ليعينوكم على أخذ أموال الناس بشهادة الزور أو اليمين الكاذبة، حيث قال عز وجل: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَآ إِلَى الْحُكَّامِ لِيَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾³. وأرسل الرُّسل إليهم كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾⁴ وهذه الآية على لسان محمد صلى الله عليه وسلم يقول للمشركين الذي طلبوا منه استعجال العذاب أن الله أرسله إليهم نذيراً بين يدي عذاب شديد⁵.

البَشَر:

يدلّ الجذر (بَشَرَ) على ظهور الشيء مع حُسْنٍ وجمال، فالبَشَرَةُ ظاهر جلد الإنسان، ومنه بَاشَرَ الرَّجُلُ الْمَرْأَةَ، وذلك إفضاؤه ببَشَرَتِهِ إلى بَشَرَتِهَا، وسمي البَشَرُ بَشَراً لظهورهم⁶. والبَشَرُ لفظة تعني الخلق، وتقع على الأنثى والذكر، والواحد والاثنتين والجمع، يُقال: هي بَشَرٌ، وهو بَشَرٌ، وهما بَشَرٌ، وهم بَشَرٌ، وأكدّ ابن سيده هذا الكلام وبين إمكانية التنثية (بَشَرَيْنِ)⁷. والبَشَرُ يختلف عن النَّاسِ؛ فالبَشَرُ سموا بَشَراً لظهورهم، وهذا يقتضي حُسْنَ الهيئة، فيقال: رَجُلٌ

¹ ينظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: 479\3..

² الروم: آية 22. ووردت نفس الدلالة في: فاطر: 28.

³ البقرة: آية 188. ونفس الدلالة في: النساء/161/الشعراء/183/المطففين 2-6.

⁴ الحج: آية 49. و بنفس الدلالة في: النساء/165/البقرة/213/ يونس /3/ إبراهيم/94 / القصص/43/سبأ/28.

⁵ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 229 \3.

⁶ ينظر: ابن فارس: مقاييس اللغة: 251\1.

⁷ ينظر: الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس: 183\10. و ابن منظور: لسان العرب: 59\4.

بَشِيرٍ وامرأة بشيرة. أمّا النَّاسُ فهو من النَّوَسِ أي الحركة، والنَّاسُ جمع، والبَشَرُ واحد ويُتَّسَى ويُجمع¹. وممّا ورد في أشعارهم قول زرقاء اليمامة²:

إِنِّي أَرَى شَجَرًا مِنْ خَلْفِهَا بَشَرٌ وكيف تجتمع الأشجار والبَشَرُ
كان ذلك لما أقبلت جموع حسّان بن تَبَع الحميريّ تريد غزو جديس - وهي قبيلة زرقاء اليمامة- رأتهم وقالت هذا البيت منذرة قومها من خطر هذه الجيوش المقبلة.

وبما أنّ القرآن الكريم خطاب موجّه لبني البَشَرِ وغيرهم، فلا غرابة من ورد هذه اللفظة في القرآن الكريم ستّ وثلاثون مرّة، كلّها مفردة، إلا مرّة جاءت مثنّاة في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَبِيدُونَ﴾³ وهذه الآية على لسان فرعون وقومه، وقولهم وقولهم أَنُصَدِّقَ رَجُلَيْنِ مِثْلِنَا وَنَتَّبِعُهُمَا، وقوم موسى وهارون منقادون لنا كالخدم والعبيد، وتسى البشر لأنّه يطلق للواحد، ولم يثنّ المثل لأنّه في حكم المصدر⁴. ويبيّن الزمخشري⁵ أنّ بشرًا يكون واحدًا وجمعًا، وكلمات (مثل) و (غير) يخبر بهما الاثنان والجمع والمذكر والمؤنث، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ إِذَا مِثَّلْتُمْ﴾⁶.

ذُكرت في القرآن الكريم مفردة بمعنى الزوج كما في قوله عزّ وجلّ: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾⁷ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا

¹ العسكري: الفروق اللغوية. ص228.

² معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام. إعداد: أ. عبد مهناط. بيروت: دار الكتب العلميّة. 1990. ص102.

³ المؤمنون: آية 47.

⁴ البيضاوي: تفسير البيضاوي: 156\4.

⁵ ينظر: الزمخشري: الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: 191\3.

⁶ النساء: آية 140.

فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ¹ وهذا القول على لسان مريم عليها السلام، والمعنى أنه كيف يكون لها ولد وهي ليست بذات زوج.

ثانياً: الشَّعْبُ والأُمَّة:

الشَّعْبُ:

يدلّ الجذر (ش ع ب) على الافتراق والاجتماع². و"شَعَبَ: الشَّعْبُ: الجمع، والتفريق والإصلاح والإفساد: ضد. وفي حديث ابن عمر شَعَبَ صغير من شَعَبٍ كبير؛ أي صلاح قليل من فساد كثير. شَعَبَهُ يَشْعُبُهُ شَعْبًا، فانشعب، وشَعَبَهُ فَتَشَعَّبَ. وفي حديث عائشة رضي الله عنها وصفت أباهما: يرأبُ شعبيها؛ أي يجمع متفرق أمر الأمة وكلمتها. والشَّعْبُ: شَعَبَ الرَّأْسِ، وهو شأنه الذي يضمّ قبائله"³. وقيل الشَّعْبُ: القبيلة العظيمة أو القبيلة نفسها والجمع شُعُوبٌ. وقيل الشَّعُوبُ بطون العجم، والقبائل بطون العرب. والشعب: أبو القبائل الذي ينتسبون إليه⁴. فالشَّعْبُ هو الجماعة الكبيرة من الناس الذين تجمعهم رابطة المكان واللغة والثقافة. وتمثّل الطبقة الثالثة من طبقات العرب، فالشَّعُوبُ: واحدها شِعْبٌ، ويقال شَعَبٌ، ويقال في القبيلة بالفتح وفي الجبل بالكسر. وهو الذي يجمع القبائل وتتشعب منه، ويشبه الرأس من الجسد⁵.

وردت كلمة شعب مرّة واحدة في القرآن الكريم مجموعة (شعوب) في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾⁶ أي جعلناكم شعوباً متفرّعة لا يدري من

¹ آل عمران: آية، 47. ونفس الدلالة في آل عمران 79/ المائدة 18/ الأنعام 91/ إبراهيم 10+11/ الحجر 33/ الاسراء 94، 93/ هود 27/ يوسف 31/ الحجر 28/ القمر 24/ ص 71/ الفرقان 54/ النحل 54/ الكهف 110/ مريم 20+26/ الانبياء 13/ المؤمنون 24+32/ الشعراء 154+186/ الروم 20+34/ المؤمنون 34/ مريم 17/ يس 15/ الشورى 51/ فصلت 6/ التغابن

² ينظر: ابن فارس: مقاييس اللغة: 3/ 190. مادة (شعب).

³ ينظر: ابن منظور: لسان العرب: 1/ 497. و الربيعي، عيسى بن إبراهيم بن محمد: نظام الغريب في اللغة. ط2. القاهرة: مؤسسة الكتب الثقافية. 1987. ص 5-4.

⁴ ينظر: الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس: 3/ 134. مادة (شعب).

⁵ ينظر: النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب: 2/ 30.

⁶ الحجرات: آية 13.

يجمعكم، كالعجم، وقبائل يجمعكم واحد معلوم كالعرب، أو داخليين في قبائل لأن القبليّة تحتها الشعوب، وتحت الشعوب البطون. والشعب هي الوادي الضيق بين جبلين يصبّ في غيره¹.

الأمة:

ورد في اللسان قول ابن منظور: " أمّه: يَوْمُهُ أُمَّ: قصده وتوجّه إليه. وتيمّموا: اقصدوا صعيداً طيباً. ثم كثر استعمالهم لهذه الكلمة حتى صار التيمم اسماً علماً لمسح الوجه واليدين بالتراب. والإمّة: بالكسر: الشريعة والدين"². والجنس من كل حيوان غير بني آدم أمة على حدة³. فالأمة هم القوم المجتمعون على الشيء الواحد يقتدي بعضهم ببعض.

ويشير سيّد قطب إلى أنّ الأمة تعني الجماعة التي تنتسب إلى عقيدة واحدة من كلّ جنس، ومن كلّ أرض، يجمعها قصد واحد؛ هو إقامة الدين الحقّ، وليست هي الجماعة التي تنتسب إلى جنس واحد أو أرض واحدة، وهذا هو التّصوّر اللائق بالإنسان⁴، وليست كما هي في المفهوم الجاهليّ القديم أو الحديث أنّها مجموعة النّاس تسكن في إقليم واحد من الأرض وتحكمها دولة واحدة⁵.

وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم كثيراً، حيث ذكر الله الأمّة وأجالها في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾⁶ أي لكلّ جيل أو قرن ميقاتهم المقدّر لهم⁷. وبين الله اختلاف الأمّة كما في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا^ج وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً

¹ ينظر: الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس: 11 62. مادة (شعب).

² الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس: 31/227. مادة (أم).

³ ينظر: ابن منظور: لسان العرب: 12/22. مادة (أم).

⁴ ينظر: قطب، سيّد: في ظلال القرآن: 2/117.

⁵ ينظر: المرجع السابق: 1385/3.

⁶ الأعراف: آية 34. ووردت نفس الدلالة في: يونس 49/الحجر 5/المؤمنون 43.

⁷ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 2/212.

وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَيْتُكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا

فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١﴾¹ قيل إن الأمة هنا الجماعة المتفقة على شريعة واحدة، أو

دين واحد لا اختلاف فيه²، وبين ابن كثير أن الخطاب هنا لجميع الامم وإخبار عن قدرته تعالى

فلو شاء لجعل الناس كلهم على دين واحد وشريعة واحدة³. أما عن إرسال الرسل إليها فقد جاء

في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ

يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤﴾⁴ هذه الآية تسلية للنبي محمد صلى الله عليه وسلم أن الله أرسل الرسل إلى

الأمم السابقة؛ فكذبوهم فأخذهم الله بالبأساء والضراء⁵.

ونكر الله الأمة بمعنى الدين في قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ

النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا

أَخْتَلَفُوا فِيهِ ﴿٦﴾⁶ حيث كان الناس على دين الحق، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين⁷. لقد

تحدث القرآن عن الأمم من أهل الكتاب كما في قوله تعالى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ

أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١٣﴾⁸ وقد نزلت هذه الآية "

فيمين آمن من أحبار أهل الكتاب كعبد الله بن سلام، فلا يستوي من تقدم ذكرهم بالذم من أهل

الكتاب، وهؤلاء الذين أسلموا"⁹.

¹ المائدة: آية 48. ووردت نفس الدلالة في: يونس 14/هود 118/النحل 92-93 / الحج 67، 134 الشورى 8.

² ينظر: الرازي: التفسير الكبير: 12/12.

³ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. 67 ١2.

⁴ الأنعام: آية 42. ونفس الدلالة في: المؤمنون 44/ فاطر 24.

⁵ ينظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: 23١2.

⁶ البقرة: آية 213. ووردت الدلالة نفسها في: الزخرف: 22-23.

⁷ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. 251 ١١.

⁸ آل عمران: آية 113.

⁹ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 398١١.

أقام الله الحجّة على الأمم في قوله عزّ وجلّ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَتُولَاءٍ شَهِيدًا﴾¹ كيف يكون حال اليهود المنافقين يوم القيامة إذا جئنا بنبيّ كل أمة يشهد عليها ولها، وجئنا بمحمد شهيداً على أمته وعلى هؤلاء المنافقين والمشرّكين.

إنّ الله أرسل إلى الأمم الخالية رسلاً فأضلّهن الشيطان وزين أعمالهم كما في قوله تعالى: ﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾². لكنّ الله بعث إليهم من يهديهم كما في قوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾³ أي من بني إسرائيل طائفة يتبعون يتبعون الحق وبه يعدلون.

أمّا قوله تعالى: ﴿قِيلَ يٰنُوحُ أَهْبِطْ بِسَلْمٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَّةٍ مِّمَّن مَعَكَ وَأُمَّةٌ سَنُمِتُّهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁴ ففيه إخبار عمّا قيل لنوح حين رست السفينة على الجوديّ من السّلام عليه وعلى من معه في السفينة؛ لأنّهم كانوا جماعات، أو الأمم إلى آخر الدّهر، وقيل من المؤمنين ومن يجيء بعدهم من ذريّاتهم⁵.

ثالثاً: الأهل- الآل - العشيرة - القبيلة- الذريّة.

الأهل:

ردّ ابن فارس دلالة الجذر أهل حيث يقول: " الهمزة والهاء واللام أصلان متباعدان أحدهما الأهل، قال الخليل: أهل الرّجل زوجه، والتأهل التّزوج، وأهل الرّجل أخصّ النّاس به،

¹ النّساء: آية 41. ونفس الدلالة في النحل /84 / النمل /84 / النمل /89 / القصص /7.

² النحل: آية 63. ونفس الدلالة في: البقرة /134، 141 / الأنعام /108.

³ الأعراف: آية 159. والأعراف /181 / فاطر /42.

⁴ هود: آية 48.

⁵ ينظر: الزمخشري: الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل: 565/2.

وأهل البيت سكانه، وأهل الإسلام مَنْ يَدِينُ بِهِ، وجميع الأهل أهلون والأهالي جماعة الجماعة¹، ويوضح ابن منظور دلالة أهل بقوله: "أهل الرجل عشيرته وذوو قريابه، والجمع أهْلُون، وأهال، وأهال، وأهلات، وفي الحديث أهل القرآن هم أهل الله وخاصته: أي حفظة القرآن العاملون به، وأهل مكة أهل بيت الله"².

وفي المثل: "الأهل إلى الأهل أسرع من السَّيْلِ إلى السَّهْلِ"³ فالأهل أعم من الآل⁴. قال الجعدي⁵:

حتى لحقنا بهم تعدي فوارسنا كأننا رَعْنُ فُفٍّ يرفعُ الآلا
وردت كلمة (الأهل) في القرآن الكريم في مواضع كثيرة، فقد جاءت مضافة إلى الضمير في ثلاثة وستين موضعاً؛ منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾⁶ أي واذكر يا محمد حين خرجت إلى أحد من عند أهلك (عائشة) لتُنزِلَ المؤمنين أماكنهم لقتال عدوهم⁷.

كما جاءت مضافة إلى معرفة في مواضع كثيرة؛ بهدف تعريفها، فالتركيب (أهل الكتاب) وردت في عدة مواضع؛ منها قوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ تَخْتَصُّهُ﴾

¹ ابن فارس: مقاييس اللغة: 150\1. مادة (أهل).

² ابن منظور: لسان العرب: 28\11. مادة (أهل).

³ الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس: 40\38.

⁴ ينظر: العسكري: الفروق اللغوية. ضبطه وحققه: حسام الدين القدسي. بيروت: دار الكتب العلمية. 1981. ص 233. و الرازي: التفسير الكبير: 63\3.

⁵ الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: المعاني الكبير: 211. تعدي: تستحضر خيلها، يقال عدا الفرس وأعديته وأعديته أنا، والرَّعْنُ أنف الجبل، يعني أنها تنزرو في السَّيْرِ كما ينزرو الرَّعْنُ في الآل.

⁶ آل عمران: آية 121.

⁷ ينظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: 436\1.

بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ^١ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ^١ وأهل الكتاب هم يهود المدينة ونصارى نجران، أما المشركون فهم مشركو أهل مكة؛ إذ يرون أنفسهم أحق بأن يُوحى إليهم، وما يحبون أن يُنزلَ عليكم شيء من الوحي، لكن الله يختص بالنبوة والوحي والإحسان مَنْ يَشَاءُ من عباده^٢، وهذا من المجاز.

أما (أهل الإنجيل) فقد وردت مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ^٣ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^٣ أي وآتينا عيسى ابن مريم الإنجيل وأمرناه وأتباعه بالحكم به، وقصد بالمتبردين الخارجين عن الإيمان وطاعة الله^٤.

أضيفت أهل أيضاً إلى المدينة (أهل المدينة) كما في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ^٥ وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ خُنَّ نَعْلَمُهُمْ^٥ سَنُعَذِّبُهُمْ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾^٥ هذه الآية إخبار للنبي محمد صلى الله عليه وسلم أن في أحياء العرب ممن حول المدينة منافقين من مزينة وجهينة وغفار، وفي أهل المدينة أيضاً منافقون^٦، كما وردت مضافة إلى اسم آخر من أسماء المدينة هو يثرب، فنكرت (أهل يثرب) مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا^٧ وَيَسْتَعِزُّنَ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾^٧ حين نزلت الأحزاب حول المدينة والمسلمون محاصرون في غاية الجهد والضيق،

^١ البقرة: آية 105.

^٢ ينظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: 201M.

^٣ المائدة: آية 47.

^٤ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 6512.

^٥ التوبة: آية 101.

^٦ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 38512.

^٧ الأحزاب: آية 13.

والرسول بينهم، فاختبروا وزلزلوا، حينئذٍ ظهر النفاق وتكلم الذين في قلوبهم مرض، حيث قالت جماعة من المنافقين هم أوس بن قبيص وأتباعه، وأبي بن سلول وأشياعه: يا أهل المدينة لا قرار لكم ها هنا ولا إقامة، فارجعوا إلى منازلكم واتركوا محمدًا وأصحابه¹.

وذكرت (أهل القرى) في أربع آيات، منها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَأَتَّقُوا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾² قصد بأهل القرى الذين كذبوا وأهلكوا، ولو أنهم آمنوا بالله ورسوله، واتقوا الكفر والمعاصي لوسعنا عليهم الخير من كل جانب، ولفتحنا عليهم أبواب السماء والأرض بالرزق³.

وورد تركيب (أهل هذه القرية) مرتين في سورة العنكبوت في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾⁴ أي لما جاءت الرسل (الملائكة) إبراهيم بالبشرى بـغلام حلیم، أخبروه أنهم أرسلوا ليهلكوا قرية قوم لوط؛ ذلك أن أهلها كانوا ممعنين في الظلم والفساد وهم أهل قرية سدوم، وهي قرية من قرى البحر الميت⁵.

ومن إضافة كلمة (أهل) إلى أسماء الأماكن إضافته إلى (مدین)، فجاء مرة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّا أَذْشَانَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ

¹ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 474/3.

² الأعراف: آية 96. ووردت نفس الدلالة في: يوسف 109. والأعراف 97 - 98.

³ ينظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: 126/2.

⁴ العنكبوت: آية 31. وآية 34.

⁵ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 413/3.

مَدِينٍ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ¹ والمقصود بها شُعَيْب
والمؤمنون به².

كان للبيت خصوصية معينة في القرآن الكريم فلا غرابة من إضافته إلى لفظة أهل (أهل
البيت)، التي وردت مرتين في القرآن الكريم، إحداهما قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ
اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾³ هذا قول الملائكة لسارة
زوجة إبراهيم عليه السلام: أتعجبين من قدرة الله وحكمته في خلق الولد من زوجين هرمين؟
رحمكم الله وبارك فيكم يا أهل بيت إبراهيم⁴.

أما (أهل الذكر) فقد جاء في قوله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا
نُوحِي إِلَيْهِمْ فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾⁵ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ⁶ نزلت
الآية في مشركي مكة الذين أنكروا نبوة محمد " وقالوا الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً،
فاسألوا مؤمني أهل الكتاب، أو أهل الكتب الماضية أبشراً كانت الرسل إليهم أم ملائكة؟ واختلف
في المراد بأهل الكتاب: قال ابن عباس: يريد أهل التوراة، وقال الزجاج: أهل الكتب الذين
يعرفون معاني كتب الله؛ فإنهم يعرفون أن الأنبياء كلهم بشر. وقيل: أهل العلم بأخبار الماضين،
وقيل: معناه اسألوا كل من يذكر بعلم وتحقيق⁷، ورجح الزمخشري أن المقصود هم أهل
الكتاب⁷.

¹ القصص: آية 45.

² ينظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: 13 421.

³ هود: آية 73. ونفس الدلالة وردت في: الأحزاب: 32.

⁴ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 45312.

⁵ النحل: آية 43.

⁶ ينظر: الرازي: التفسير الكبير: 29120.

⁷ ينظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: 56712.

الآل:

يُؤصّل الزبيديّ دلالة لفظة آل بقوله: "آل على القوم: أولاً وإيلاً وإيالةً بكسرهما: وليّ أمرهم، والآل: أهل الرّجل وعباله وأتباعه وأولياؤه"¹. ويبيّن ابن منظور أنّ أصلها أهل ثم أبدلت الهاء همزة فصارت آل، فلما توالىت همزتان أبدلوا الثانية ألفاً كما في آدم وآخر، أو تكون الألف منقلبة عن واو، وتصغيره أوّيل وأهّيل، وآل محمّد: قرابته التي ينفرد بها دون غيرها. وإذا عدّ آل الرجل: ولده الذين إليه نسبهم، ومن يؤويه بيته من زوجة أو مملوك أو مولى أو أحد ضمّه عياله، وكان هذا في قرابته من قبيل أبيه دون قرابته من أمّه. وقيل: أصحابه ومن آمن به. وهو في اللّغة يقع على الجمع. فالآل من يؤول إليه الشّخص بقرابة أو انتساب، وآل: يؤول: رجّع، والأول: الرجوع، ومنه التأويل أي الرجوع إلى الغاية المرادة². فالآل هم من الرّجل الذين يؤول إليهم³. وردت في أشعارهم بمعنى الأتباع في قول الأعشى⁴: (البحر البسيط)

فكذبوها بما قالت فصبّحهم ذو آل حسن يزجي الموت والشرعا

لقد أضيفت (آل) في القرآن الكريم إلى أعلام الناطقين دون النكرات، فأضيفت إلى أولي الخطر والشأن كالمملوك وأشباههم، يقال جاء آل فلان، ولا يقال آل رجل، فجاءت مضافة إلى كلمة (فرعون) آل فرعون كما في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكَ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكَ سُوءَ الْعَذَابِ﴾⁵، وآل موسى وآل هارون في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾⁶.

¹ الزبيديّ: تاج العروس من جواهر القاموس: 28 / 31. مادة (آل).

² ينظر: ابن منظور: لسان العرب: 11/ 37-38. مادة (آل).

³ الصعدي، عبد الفتاح، وحسين موسى: الإفصاح في فقه اللغة. ط2. ج1. القاهرة: دار الفكر العربي. 196 ص306.

⁴ ابن قيس، ميمون: ديوان الأعشى الكبير. شرح وتعليق: محمد محمد حسين. بيروت: المكتب الشرقي. ص 139.

⁵ البقرة: آية 49.

⁶ البقرة: آية 248.

وجاءت بدلالة أهل بيت الرجل أو ذريته أو الذين يؤول إليهم كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾¹ هنا أضيفت إلى إبراهيم وعمران، أما آل يعقوب فوردت في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ تَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ﴾²، وآل لوط فنكرت في قوله عز وجل: ﴿إِلَّا آءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ﴾³ إِلَّا أُمَّرَأَتُهُ قَدَرْنَا إِنِّهَا لَمِنَ الْعَبْرِيْنَ⁴، وآل داود كما في قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ أَعْمَلُوا آءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾⁴ والمقصود بها جمعاً الأهل.

عشيرة:

أورد ابن فارس دلالة الجذر (ع ش ر) بقوله: "العين والشين والراء أصلان صحيحان؛ أحدهما في عدد معلوم ثم يُحمل على غيره، والآخر يدلُّ على مداخلة ومخالطة. فالأول العشرة والعشر في المؤنث، ونقول عَشَرْتُ القومَ أَعَشَرَهُمْ، إذا صرتَ عاشرهم. والأصل الآخر الدالُّ على المخالطة والمداخلة؛ فالعشرة والمعاشرة وعشيرك: الذي يُعاشريك. عشيرة الرجل: سميت لمعاشرة بعضهم بعضاً، حتى الزوج عشير امرأته. والمعشر: كل جماعة أمرهم واحد، نحو معشر المسلمين، والإنس معشر والجن معشر والجمع معاشر"⁵ والعِشَار: "اسم يقع على النوق حتى ينتج بعضها، وعشيرة الرجل: بنو أبيه الأذنون"⁶.

¹ آل عمران: آية 33.

² يوسف: آية 6.

³ الحج: آية 59.

⁴ سبأ: آية 13.

⁵ ابن فارس: مقاييس اللغة: 324\4 - 327. مادة (عشر).

⁶ ينظر: ابن منظور: لسان العرب: 572\4. مادة (عشر). و الإفصاح في فقه اللغة: 1 / 306.

وتأتي العشيرة في الطبقة الثانية من طبقات العرب، فالعشائر واحداً عشيرة؛ وهم الذين يتعاقلون إلى أربعة آباء، وسميت بذلك لمعاشرة الرجل إياهم، وهي بمنزلة الساقين من الجسد اللتين يُعتمد عليهما¹.

وردت لفظة (عشيرة) في القرآن الكريم ثلاث مرات وجاءت فيها مضافة إلى ضمير، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾² حيث يتوعد الله من أثر أهله وقرابته وعشيرته أي قرابته وأهله الأذنون، على الله ورسوله وجهاد في سبيله؛ بأن ينتظر ما سيحل به من عقابه ونكاله به³. وهذه الكلمة وردت في الآية السابقة لتدل على ارتباط الرجل بالجماعة.

الْقَبِيلَةُ:

بالعودة إلى الجذر (ق ب ل) نجده يدل على مواجهة الشيء للشيء، ويتفرع بعد ذلك، فالقبيل من كل شيء خلاف دبره، وذلك أن مقدمه يُقبل على الشيء. والقبيل ما أقبلت به المرأة من غزلها حين تفتله. والقبيلة سميت قبيلة لإقبال الناس عليها في صلاتهم وهي مُقبلة عليهم أيضاً، والقبيل الكفيل، وقبائل الرأس شعبه التي تصل بينها الشؤون، وسميت بهذا لإقبال كل واحدة منها على الأخرى، وبها سميت قبائل العرب، وقبيل القوم عريفهم؛ لأنه يُقبل عليهم ويتعرف أمورهم⁴، والقبيلة من الناس هم بنو أب واحد والجمع قبائل. قال الزبيدي والتعبير بواحد غير صواب⁵. إذ يلمح من هذا الاشتقاق اللغوي دلالة التجمع، ودلالة التقابل، وكأن أفرادها يقابل

¹ ينظر: النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب: 302\2.

² التوبة: آية 24. وردت بنفس الدلالة في: الشعراء: 214. المجادلة: 22.

³ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 343\2.

⁴ ينظر: ابن فارس: مقاييس اللغة: 51\5 - 53. مادة (قبل).

⁵ ينظر: ابن منظور: لسان العرب: 541/11. مادة (قبل). والتعالبي، أبو منصور: فقه اللغة وسر العربية. مصر: المكتبة التجارية الكبرى. ص32.

بعضهم على بعض بالموّدة. فالقبيلة وحدة قرابية كبيرة تتكوّن من أفراد ينتمون إلى أصل واحد مشترك، بحيث يصدرّون في سلوكهم عن شعور قويّ بالانتماء إلى هذا الأصل. قال ابن الكلبيّ: "الشَّعب أكبر من القبيلة، ثمّ العمارة، ثمّ الفخذ، ثمّ العشيرة، ثمّ الفصيلة. وقال غيره: الشَّعوب العجم، والقبائل العرب"¹. وتمثّل القبيلة الطبقة الثّانية من طبقات العرب، وهي دون الشَّعوب تجمع العمائر، وبمنزلة الصّدر من الجسد².

جاءت لفظة قبيلة مجموعة (قبائل) في القرآن الكريم مرّة واحدة، في قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾³ حيث خلق الله النّاس جميعاً من أب وأمّ، فلا وجه للتفاخر والتفاضل في النّسب، والشَّعب الطبقة الأولى من الطبقات الستّ التي عليها العرب: شعب - قبيلة - عمارة - بطن - فخذ - فصيلة، فالشَّعب يجمع القبائل، والقبيلة تجمع العمائر وهكذا... فالقبائل تشعبت من الشَّعوب؛ ليتعارفوا وليعرف بعضكم نسب بعض⁴.

أمّا قبيل فتختلف دلاليّاً عن (قبيلة) فالقبيل: جماعة يكونون من الثلاثة فصاعداً من أقوام شتى وجمعه قُبُل⁵. وجاءت مرّة واحدة في قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّهُ يَرَبُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾⁶ إذ يحذر الله تعالى بني آدم من إبليس وقبيله؛ أي من كان نسله من شياطين الجن⁷.

¹ ينظر: الأندلسي، أحمد بن عبد ربه: العقد الفريد. ط3. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1999. ص299.

² ينظر: النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب. 303\2.

³ الحجرات: آية 13.

⁴ ينظر: الرّازي: التفسير الكبير: 118\28.

⁵ ينظر: ابن منظور: لسان العرب: 11 | 54. مادة (قبيل).

⁶ الأعراف: آية 27.

⁷ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 209/2.

الذرية:

وضع ابن منظور دلالتها بقوله: "ذراً الله الخلق يذروهم ذراً: خلقهم، والذرة: عدد الذرية. وقال الليث: الذرية تقع على الآباء والأبناء والأولاد والنساء. ومنه حديث عمر: حجوا بالذرية، لا تأكلوا أرزاقها وتذروا أرباقها في أعناقها، قال أبو عبيدة: أراد بالذرية هاهنا النساء"¹. وقيل إن الذرية تقال لقوم كان آباؤهم من القبط وأمهاتهم من بني إسرائيل، فألزموا هذا الاسم، وقيل كانوا سبعين².

وردت كلمة (ذرية) مفردة في أحد عشر موضعاً، منها قوله تعالى ﴿ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ ﴾³. وذرية آدم وذرية إبراهيم كما في قوله تعالى: ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾⁴ فالمذكورون هم أنبياء الله ورسله الذين قص الله خبرهم في هذه السورة، وهم عشرة أولهم زكريا وآخرهم إدريس، وهم ممن أنعم الله عليهم بشرف النبوة، من نسل آدم كإدريس، وإبراهيم فإنه من ذرية سام بن نوح، واسماعيل واسحاق ويعقوب، ومن ذرية إسرائيل وهو يعقوب كموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى. فالقصود بالذرية هنا هم آباؤهم⁵.

¹ ابن منظور: لسان العرب: 14 | 286. مادة (ذرا).

² ينظر: الأنباري، أبو بكر محمد بن قاسم: الزاهر في معاني كلمات الناس. تحقيق: حاتم صالح الضامن. ج2. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1992. ص165.

³ البقرة: آية 266.

⁴ مريم: آية 58.

⁵ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 3 / 127.

وجاءت مضافة إلى الضمير في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ قَالَ فَاتَّمَّهُنَّ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي ط قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾¹ إذ أمر الله سبحانه وتعالى إبراهيم بعشر خصال؛ خمس في الرأس وخمس في الجسد، فعمل بهن، فجعله الله خليفة يُتقدي به، فطلب إبراهيم من ربه أن يجعل من أولاده وذريته أئمة يُتقدي بهم.²

ووردت بمعنى الذرية الصالحة في مواضع كثيرة منها قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾³ وفي هذه الآية يسأل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام أن يتقبل منهما، ويجعل بعض ذريتهما مسلمة، وإنما خصَّ الذرية بالدعاء؛ لأنهم أحقُّ بالشفقة، وإذا صلحوا صلح من بعدهم.⁴ أما ذرية إبليس فورد ذكرها في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾⁵ حيث أمر الله الملائكة بالسجود لآدم فسجدوا إلا إبليس، وله ذرية، يتوالدون، بعكس الملائكة الذين ليس لهم ذرية ولا نسل.⁶

¹ البقرة: آية 124.

² ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 165/1.

³ البقرة: آية 128. ووردت الدلالة نفسها في: آل عمران 33-39 الأنعام 87، 84، الرعد 23 إبراهيم 37، 40 مريم 58 العنكبوت 27 الصافات 77 غافر 18 \ الأحقاف 15 الطور 21.

⁴ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 176/1.

⁵ الكهف: آية 50.

⁶ الرازي: التفسير الكبير: 117/21.

وجاءت مجموعة في مواضع كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾¹. ومما ورد في أشعارهم قول الحطيئة²:

(البحر الكامل)

أشكو إليك فأشكني ذريّة لا يشبعون وأمهم لا تشبع

في هذا البيت يشكو الحطيئة لعمر بن الخطاب عدم قدرته على إشباع ذريته وأمهم، وهذا يدل أن الحطيئة لم يعتبر الزوجة من الذرية.

رابعاً: جماعات الناس قليلة العدد: الفريق - العصابة - الثلثة - النفر - الرهط - القوم - الطائفة - الحزب

القوم:

يوضح ابن فارس دلالة الجذر (ق و م) بقوله: "القاف والواو والميم أصلان صحيحان يدل أحدهما على جماعة ناس، وربما استعير في غيرهم، والآخر على انتصاب، أو عزم، ويقول قوم جمع امرئ نساء ورجالاً"³. وقوم: القيام نقيض الجلوس، وقيل هو اسم للجمع، وأنه أخص بالرجال دون النساء، وهذا المعنى مما درج عليه العرب من قبل، والدليل على هذا قوله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ﴾⁴ أي لا يسخر رجال من رجال، ولا نساء من نساء، فلو كانت النساء من القوم لم يقل ولا نساء من نساء. ولفظة قوم تُذكر وتؤنث؛ لأن أسماء الجموع التي لا واحد لها من لفظها تؤنث وتذكر إذا كانت للأدميين، مثل: رهط - نفر - قوم

¹ الفرقان: آية 74.

² الحطيئة: ديوانه. اعتنى به وشرحه: حمدو طمّاس. ط2. بيروت: دار المعرفة. 2005. ص89. أشكني: أعني على شكواي.

³ ابن فارس: مقاييس اللغة: 43/5.

⁴ الحجرات: آية 11.

ففي قوله تعالى: "كذبت قوم نوح" أنت القوم، وفي قوله تعالى: "كذب به قومك" ذكر. ويؤكد الأنباري أن القوم رجال لا امرأة فيهم، وقوم الرجل هم رجاله الذين يفخر بهم¹. وقيل سموا كذلك لقيامهم بالعظائم والمهمات، حيث يقوم بعضهم على شأن بعض²، ولا يقع على النساء إلا على وجه التبع³. وقد يدل القوم على الجماعة من الناس الذين يجمعهم موطن واحد ونسب واحد برجالهم ونسائهم⁴. ومما ورد في أشعارهم قول زهير بن أبي سلمى⁵:

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء

ولفظ القوم يشير هنا إلى الجماعة الكثيرة من الرجال، المنتمية إلى نسب واحد، أي رجال العشيرة.

تكررت كلمة (قوم) في القرآن الكريم كثيراً:

أولاً: قوم معرفة بأل منوعة بمعرف؛ كالقوم الصالحين في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ﴾⁶. والقوم الخاسرون في قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾⁷. أما القوم الظالمون فجاءت في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَتْكُمْ عَذَابُ عَذَابِ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الظَّالِمُونَ﴾⁸. والقوم الضالون في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي

¹ ينظر: الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس: 33 \ 305. و ابن منظور: لسان العرب: 12 \ 496.

² ينظر: الإفصاح في فقه اللغة. 1 \ 309.

³ ينظر: العكسري: الفروق اللغوية. ص 232.

⁴ ينظر: ابن عاشور، محمد الطاهر: التحرير والتنوير. تونس: دار سحنون. 1997. 34 \ 31.

⁵ أبو سلمى، زهير: ديوانه. ص 13.

⁶ المائدة: آية 84.

⁷ الأعراف: آية 99.

⁸ الأنعام: آية 47.

لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ¹. والقوم الفاسقون في قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهَيْهَا أَوْ تَحَافُوا أَنْ تُرَدَّ أَيْمَانٌ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ² وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمَعُوا³ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ⁴.

ثانياً: قوم نكرة منعوتة بنكرة مثل: ونجدها أيضاً نعتت بنعوت مختلفة: قوم مؤمنين، وقوم منكرون، وقوم مسرفون، وقوم خصمون، وقوم طاغون³.

ثالثاً: قوم نكرة مضافة إلى أسماء الأنبياء؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر، قوم نوح وعاد وثمود وإبراهيم في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ⁵ أَتَتْهُمُ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ⁶ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ⁴. وقوم يونس، وقوم هود، وقوم لوط، وقوم صالح، وقوم فرعون⁵.

الطائفة:

تدل لفظ طائفة على دوران الشيء على الشيء، وأن يُحَفَّ به ثم يُحْمَل عليه، فيقال طَافَ بالبيت طَوَافًا وطَوَافًا وأطَافَ به واستطافَ، ثم يقال لما يدور بالأشياء ويغشيها من الماء طُوفَانٌ⁶، ويوضح ابن منظور دلالتها بقوله: "طَافَ تَطْوِيفًا وَتَطْوِافًا. والطائفة من الشيء: جزء منه. قال مجاهد: الطائفة الرَّجُلُ الواحد إلى الألف، أو الرَّجُلُ الواحد فما فوقه"⁷ ويؤكد العسكري ما سبق، ويبين أن الطائفة في الأصل الجماعة التي من شأنها الطواف في البلاد للسفر، أو

¹ الأنعام: آية 77.

² المائدة: آية 108.

³ جاءت في السور على الترتيب: التوبة: آية 14. الحجر: آية 62. يسن: آية 19. الزخرف: آية 58. الذاريات: آية 53.

⁴ التوبة: آية 70.

⁵ وردت على الترتيب في: يونس: آية 98. هود: آية 60. هود: آية 70. هود: آية 89. الأعراف: آية 127.

⁶ ينظر: ابن فارس: مقاييس اللغة: 431\3. مادة (طوف).

⁷ ابن منظور: لسان العرب: 226\9. مادة (طاف).

الجماعة التي تستوي بها حلقة يُطاف عليها، ثم كثر استعمالها حتى سُميت كل جماعة طائفة، وقد تكون اسماً لواحد أو لأنّ بعضهم حول بعض فهم يطوفون حولهم ومحدّدون بهم¹. والطائفة لها علاقة بالمعتقد أو بالمهنة حيث يقال: طائفة النّسّاجين أو طائفة الحدّادين، من هنا تبدو العلاقة واضحة بين هذا المعنى والأصل الذي أخذت منه، وهو دوران الشيء على الشيء؛ فهم يجتمعون مع بعضهم.

لقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم مفردة في مواضع كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَدَّتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾²، والطائفة هنا هم اليهود، دعوا حذيفة وعماراً ومعاداً إلى اليهودية³. ومثناه (طائفتان) وُجدت في ثلاث آيات منها قوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيَهُمَا⁴ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾⁴ و(الطائفتان) هما حيّان من الأنصار بنو سلمة من الخزرج، وبنو حارثة من الأوس⁵.

الحزب:

هو جماعة النّاس، والجمع أحزاب. والأحزاب: هم جنود الكفّار، وحزب الرّجل: هم أصحابه وجنده الذين على رأيه. والطائفة من كلّ شي حزب، والحزب الجماعة تتحزّب على الأمر وتتعاون عليه⁶.

¹ ينظر: العسكري: الفروق اللغوية. ص230.

² آل عمران: آية 69.

³ ينظر: الزّمخشري: الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل: 399/1.

⁴ آل عمران: آية 122.

⁵ ينظر: الزّمخشري: الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل: 437/1.

⁶ ينظر: ابن فارس: مقاييس اللغة: 55\2. مادة(حزب). و ابن منظور: لسان العرب: 308\1. مادة (حزب). والعسكري:

والعسكري: الفروق اللغوية: ص230.

وهذه الكلمة تستعمل للدلالة على جماعات الناس، وحالها حال غيرها من الألفاظ السابقة، حيث وردت في القرآن الكريم مفردة معرفة بالإضافة إلى اسم ظاهر (حزب الله) كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾¹ فمن يتخذ الله ورسوله أولياء فهم حزب الله، وحزب الله هم الغالبون.

أما (حزب الشيطان) فقد وردت في قوله عز وجل: ﴿أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ ۗ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾² وهذا في وصف أهل النار؛ إذ استولى الشيطان على قلوبهم وغلب عليهم، وتملك نفوسهم حتى أنساهم أن يذكروا ربهم، فأولئك هم أتباع الشيطان وأعوانه وأنصاره، وهؤلاء هم الكاملون في الخسران والضلالة. ووردت مضافة إلى ضمير (حزبه) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۗ إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾³ وهذه الآية جاءت في تحذير الناس من عداوة الشيطان القديمة لهم، ويقصد ليضلكم حتى تدخلوا معه إلى عذاب السعير.

وذكرت مثناة معرفة بأل (الحزبين) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَبِيًّا وَإِنَّا لَمُتَّبِعُونَ﴾⁴ وجاءت في معرض الحديث عن أصحاب الكهف، حيث أيقظهم الله من بعد نومهم الطويل ليرى أي الفريقين أدق إحصاء للمدة التي ناموها بالكهف، والحزبان هما أصحاب الكهف والذين بعثهم الله إليهم حتى رأوهم، أو الملوك الذين تداولوا المدينة، فالملوك حزب وأصحاب الكهف حزب آخر⁵.

¹ المائدة: آية 56. ونفس الدلالة في: المجادلة: 22.

² المجادلة: آية 19. ونفس الدلالة في: المؤمنون 53 \ الروم 32.

³ فاطر: آية 6.

⁴ الكهف: آية 12.

⁵ ينظر: الرازي: التفسير الكبير: 6\26.

وجاءت جمعاً معرفةً بألّ (الأحزاب) في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالنَّارُ مَوْعِدُهُ ۚ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۗ﴾¹ وهم أهل أديان شتى تحزبوا على المسلمين من كل جهة، حيث اجتمع كفار مكة مع غطفان وبنو قريظة وأبواش العرب على حرب المسلمين. ومن هنا كانت تسمية غزوة الخندق بغزوة الأحزاب.

أما في قوله تعالى: ﴿فَاحْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمِ أَلِيمٍ ۗ﴾² فالمقصود اختلاف النصارى فيما بينهم في شأن عيسى، وصاروا أحزاباً فيه: منهم من يقول أنه ولد الله، ومنهم من يقول أنه الله سبحانه تعالى عن قولهم.

ويتضح مما سبق أنّ الحزب جاءت مفردة ومثناة ومجموعة، وجاءت معرفة ونكرة، وجاءت بمعنى الجماعة مطلقاً أو جماعات النصارى تحديداً، أو الجماعات التي تألّبت على المسلمين في الخندق من يهود ومشركين وأبواش.

الفريق:

وضح ابن منظور دلالة الجذر (ف ر ق) بقوله: "فَرَقَ: الفرق: خلاف الجمع، فَرَقَهُ يَفْرِقُهُ فَرَقًا وَفُرْقَةً. وانفرد الشيء، وتفرّق وافترق، والفِرْق والفِرْقَةُ والفَرِيق: الطائفة من الشيء المتفرّق. والفرقة: طائفة من الناس، والفريق أكثر منه والجمع فَرَقَ: وجمع الجمع أفراق وأفاريق"³. فوردت (الفريق) في قول المفضل النكري بمعنى الافتراق⁴: (البحر الوافر)

¹ هود: آية 17. والدلالة نفسها في: الرعد 36.

² الزخرف: آية 65.

³ ابن منظور: لسان العرب: 300\10. مادة (فرق).

⁴ منتهى الطلب من أشعار العرب: جمع: محمد بن المبارك بن ميمون. تحقيق وشرح: محمد نبيل طريفى. بيروت: دار صادر. 237\18.

أَحْقَاءً أَنْ جِيرْتَنَا اسْتَقْلُوا فَنِيَّتْنَا وَنِيَّتَهُمْ فَرِيْق

فقد وردت كلمة (الفريق) في القرآن الكريم مفردة كقوله تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ تُحَرَّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾¹ أي أفتطمعون أيها المؤمنون أن ينقاد لكم بالطاعة هؤلاء الفرقة الضالّة من اليهود الذين شاهد آباؤهم الآيات البيّنات ثم قست قلوبهم². كما وردت منثاة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ تَخْتَصِمُونَ﴾³ حيث أرسل الله صالحاً إلى ثمود؛ ليعبدوا الله فإذا هم فريقان: مؤمن وكافر يختصمون بالدين⁴. ومما ورد في أشعارهم قول المهلهل بن ربيعة⁵: (السريع)

فذاك لا يوفى به مثله ولست تلقى مثله في فريق

العُصْبَة:

يُقصد بعُصْبَة الرَّجُل: "بنوه وقربته لأبيه، وأولياؤه من الذكور من ورثته، وكلّ شي استدار بشيء فقد عَصَبَ به. والعُصْبَة والعُصَابَة: جماعة ما بين العشرة إلى الأربعين، وهو اسم جمع ليس له واحد"⁶. وقيل إنّ العُصْبَة هي الجماعة من الناس أو الخيل أو الطير والجمع عُصَب⁷. وقال الخليل: "العَصَب هي أطناب المفاصل التي تلائم بينها"⁸. والعُصْبَة العشرة وما فوقها قليلاً إلى الأربعين. وفي العربية هي الجماعة من الفرسان. العُصْبَة: جماعة الرجال المجتمعين، واللفظ مشتق من قولهم: عَصَبَ الشيء يعصبه عُصْباً طواه ولواه. وعَصَبَ الشجرة:

¹ البقرة: آية 75.

² ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 115/1.

³ النمل: آية 45. ونفس الدلالة في: الأنعام 81 / هود 24/مريم 73.

⁴ ينظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعلوم الأقاويل في وجوه التأويل: 375/3.

⁵ ابن ربيعة، مهلهل: ديوانه. شرح وتقديم: طلال حرب. دار العالمية. ص 55.

⁶ ابن منظور: لسان العرب: 605\1-606. مادة (عصب).

⁷ ينظر: الإفصاح في فقه اللغة: 309/1.

⁸ ينظر: مقاييس اللغة: 336/4. مادة (عصب).

ضمَّ ما تفرَّقَ منها، وعَصَبَة الرجل قرابته الذين يتعصبون به. والعُصْبَة: الرِّجَال الذين يلتفون حول أمر واحد، وربما سموا العُصْبَة عُصَابَة، كالعصب الذي هو أطناب المفاصل يجمع بينهما، وهذا المعنى قريب من معنى الحزب. ومما جاء في أشعارهم قول النابغة الذبياني¹:
(البحر البسيط)

لولا الهُمَام الذي تُرجى نوافله لقال راكبها في عُصْبَة سيروا

وردت كلمة (عُصْبَة) في القرآن الكريم أربع مرّات، منها قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْنَا وَحَنَّ عُسْبَةً إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾² وهذا على لسان إخوة يوسف، وقولهم إنَّ يوسف وبنيامين أحبَّ إلى أبيهم منهم، وهما اثنان صغيران ونحن جماعة (عشرة رجال)³.

الثَّالِثَة:

يُراد بالثَّالِثَة: الجماعة من النَّاس لا حصر لها، ويُقال أَثَلَّ الرَّجُلُ فهو مُثَلٌّ: إذا كثرت عند الثَّالِثَة، وقيل الثَّالِثَة الفئَة⁴. والثَّالِثَة: الجماعة تندفع في الأمر جملة، من قولك: ثَلَّتْ الحائِطُ إذا نقضت نقضت أسفلها، فاندفع ساقطاً كله، وتثَلَّتْ البِنَاءُ تهَدَّم، ثم كثر استعماله حتى سُمِّي كل بشر ثلاً ومنه ثَلَّ عرشه، وقيل الثَّلَّ الهلاك، ثَلَّتْ الشَّيْءُ قطعته، ومنه قول الزجاج ثَلَّة كَفِرْقَة وزناً ومعنى، والثَّالِثَة: جماعة الغنم وأصوافها قليلة كانت أو كثيرة⁵. ومما ورد في أشعارهم قول تأبَّط شرّاً⁶:

(الرَّجَز)

¹ النابغة، الذبياني: ديوانه. ص64. هنا عصبية بمعنى جماعة.

² يوسف: آية:8. ونفس الدلالة في: ويوسف:14. النور:11. القصص:76.

³ ينظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: 421/2.

⁴ ينظر: الرازي: لسان العرب: 89/11. والإفصاح في فقه اللغة: 309/1.

⁵ ينظر: الفروق اللغوية: 229.

⁶ تأبَّط شرّاً: ديوانه. اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي. ط1. بيروت: دار المعرفة. 2003. ص47. قلعين: مثني قلع، وهو شيء يوضع فيه زاد الراعية.

لو أنها راعية في تلة
تحمل قلعين لها قبلة

ووردت هذه اللفظة ثلاث مرّات في سورة الواقعة فقط، في قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّتِ
النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾¹ ذلك أن السابقين في الدنيا إلى
الخيرات، يسبقون في الآخرة لدخول الجنّات، فهم المقربون عند الله في جنّات النعيم، هؤلاء،
والأولون هم من كانوا مع محمد من صدر أمته من آدم إلى محمد.

أما قوله تعالى: ﴿لِلْأَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٩﴾ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ
الْآخِرِينَ ﴿٣٠﴾² ففيه بيان أن أصحاب اليمين هم جماعة من الأمم الماضية، وجماعة من المتأخرين
من أمة محمد. وقد نزل في أول السورة قوله تعالى: "ثَلَاثَةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ" فشقّ
عليهم ذلك، فأنزل الله تعالى في أصحاب اليمين أنهم ثلثان: ثَلَاثَةٌ مِّنَ هَؤُلَاءِ وَثَلَاثَةٌ مِّنَ هَؤُلَاءِ³، وبيّن
البيضاوي أن ثَلَاثَةٌ هنا تعني كثرة العدد⁴.

النَّفَرُ:

يدلّ الأصل (ن ف ر) على "تجافٍ وتباعُد، ومنه نَفَرَتِ الدَّابَّةُ وغيره، وسَمَّوا النَّفَرَ من
النَّفَارِ لأنَّهم يَنْفَرُونَ لِلنُّصْرَةِ"⁵، النَّفَرُ بالتحريك: ما دون العَشْرَةِ من الرِّجَالِ، والجمع أَنْفَارٌ، وهو
وهو اسم جمع لا واحد من لفظه⁶. وقد أصبحت نفر تدلّ حديثاً على واحد فقط، حيث يقال نفر

¹ الواقعة: آية 12 - 13 - 14.

² الواقعة: آية 38 - 39 - 40.

³ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. 14 285.

⁴ ينظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي. 4 284.

⁵ ينظر: ابن فارس: مقاييس اللغة: 5/459. مادة (نفر).

⁶ ينظر: ابن منظور: لسان العرب: 5/225. مادة (نفر).

وأنفار. ووردت بمعنى (القوم) في قول الأفوه الأودي¹:
(البحر البسيط)

كيف الرشاد إذا ما كنت في نفر لهم عن الرشيد أغلال أقياد
وردت في القرآن الكريم بمعنى النفر من الإنس في سورة الكهف في قوله
تعالى: ﴿وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ
نَفَرًا﴾² وهذا في قصة أصحاب الجنتين من بني اسرائيل، إذ قال أحدهما للآخر أنا أكثر منك
أنصاراً وحشماً، أي أولاداً ذكوراً؛ لأنهم ينفرون معه دون الإناث³. كما خصت في القرآن
الكريم بالجن في موضعين، منهما قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ
فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾⁴ حيث يأمر الله النبي محمد أن يخبر قومه أن الجن استمعوا
القرآن، فأمنوا به وصدقوه وانقادوا له، والنفر جماعة ما بين الثلاثة إلى العشرة⁵.

الرَّهْطُ:

يدلّ الأصل (ر ه ط) على "تجمع في الناس وغيرهم"⁶، ورهط الرجل: قومه وقبيلته،
والرّهط: عدد يجمع من ثلاثة إلى عشرة رجال، لا يكون منهم امرأة كالقوم والنفر. وهو جمع لا
واحد له من لفظه. وقد تدلّ على الفرد الواحد. وجاء في ذكر الطبقة العاشرة من طبقات العرب:
الرّهط: هم بمنزلة أصابع القدم. والرّهط دون العشرة، والأسرة أكثر من ذلك⁷. ووردت في قول

¹ الأودي، الأفوه: ديوانه. شرح وتحقيق: محمد التونجي. ط1. بيروت: دار صادر. 1998. ص 67.

² الكهف: آية 34.

³ ينظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: 674/2.

⁴ الجن: آية 1. ووردت نفس الدلالة في: الأحقاف 29.

⁵ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 429/4.

⁶ ابن فارس: مقاييس اللغة. 2 \ 450. مادة (رهط).

⁷ ينظر: النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب: 302 \ 2.

قول أبي طالب في قصيدته المشهورة، التي يمدح فيها الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهو في الشعْب، الذي أوى إليها بنو هاشم مع رسول الله لما تحالفت عليهم قريش وكتبوا الصحيفة¹:

(البحر الطويل)

وَأَحْضَرْتُ عِنْدَ الْبَيْتِ رَهْطِي وَإِخْوَتِي وَأَمْسَكْتَ مِنْ أَثْوَابِهِ بِالْوَصَائِلِ
فَرَهْطُهُ هُمْ بَنُو عَبْدِ الْمَطْلَبِ، وَكَانُوا دُونَ الْعَشْرَةِ، وَأَسْرَتَهُ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ الَّذِينَ
عَاضَدُوهُ فِي نَصْرَةِ الرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمِنْ ذَلِكَ وَقَوْلُ الْجَوْزَاءِ بِنْتِ عُرْوَةَ
الْبَصْرِيَّةِ²:
(البحر الكامل)

رَهْطُ النَّبِيِّ بَنَى الْإِلَهَ عَلَيْهِمْ سَقَفَ الْهَدْيِ وَمِنَ الْقِرَانِ عَمُودًا.
جاءت كلمة (رَهْط) في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع منها قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي
الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾³ وهذا إخبار عن طُغَاةِ
ثَمُودَ ورؤوسهم الذين دعوا قومهم إلى الضلال وتكذيب صالح، وعقروا الناقة وهموا بقتله، فهم
تسعة نفر، وقيل إنهم من عظماء أهل المدينة ورجالها⁴. وجاءت بمعنى القوم في قصة شعيب مع
مع أهل مدين قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرُّكَ فِينَا
ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ﴾⁵ قَالَ يَنْقُومُ أَرْهَطِي - أَعَزُّ
عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَأَتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ⁶ القول

¹ أبو طالب: ديوانه. جمعه وشرحه: محمد التونسي. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي. 1994. ص 49. البيت: الكعبة.

الوصائل: ثياب من صنع اليمن حمراء مخططة باللون الأخضر، وبها كُسِبَتِ الكعبة.

² معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام. ص 47.

³ النمل: آية 48.

⁴ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. 3 \ 368.

⁵ هود: آية 91-92.

الأول على لسان قومه أهل مدين؛ " أن يا شعيب لولا جماعتك وقومك لقتلناك رمياً بالحجارة، أو سببناك، فردّ عليهم شعيب أتتركوني لأجل قومي، ولا تتركوني إعظاماً لجناب الرب؟! "¹.

وقد فرّق العسكريّ بين النَّفَرِ والرَّهْطِ، وبيّن أنّ النَّفَرِ هم الجماعة نحو عَشْرَةَ من الرِّجال خاصّة، ينفرون للقتال، ثمّ كثر ذلك حتى سمّوا نَفَرًا وإن لم ينفروا. أمّا الرَّهْطُ فهم جماعة نحو العَشْرَةَ يرجعون إلى أب واحد².

ومن الملاحظ على هذه الألفاظ في هذا المجال أنّها تتسم بلمح الجنس كجماعة للذكور تقابل الإناث، وبيّن ارتفاع نسبة شيوع الألفاظ الدالّة على المذكّر، ممّا يؤكّد القيمة الاجتماعيّة المتمثّلة في ارتفاع مكانة الرِّجُل في المجتمع.

كما يتبيّن من خلال تحليل المجموعات في هذا المبحث، التي تشير إلى الألفاظ الضامنة للجنس البشريّ؛ أنّ الألفاظ الدالّة على الجماعات الكبيرة مثل آل و أهل تسجّل نسبة شيوع عالية مقابل الألفاظ الدالّة على الجماعات قليلة العدد مثل: نفر، رهط، فريق... وغيرها. حيث يدلّ هذا على أهميّة العِدِّ الاجتماعيّ في القرآن الكريم، كما أنّها جاءت مصاحبة لأسماء الأعلام لتخصيصها، كما كانت مصاحبة للكلمات الدالّة على المكان. ولقد امتازت المجموعات بعلاقات بين ألفاظها من ترادف واشتراك وتقابل وغيرها، وهذا ماسيكون موضوع الفصل الرابع وهو القضايا اللغوية.

ومن الواضح أنّ القرآن الكريم ترك ألفاظاً؛ حيث لا نجد بعض الألفاظ الضامنة للجنس البشري مثل: الفخذ، والبطن، والأسرة، والحاشية، والبطانة، والعترة... وغيرها.

¹ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: ١٢ 459.

² العسكريّ: الفروق اللغويّة: ص 232.

المبحث الثاني

حقل الألفاظ الضامنة نوع الإنسان وقرابته

يضمّ هذا الحقل الألفاظ الدالة على قرابة الإنسان، والقرابة تعني الدنو في النسب، والقربى في الرحم، وأقارب الرّجل، وأقربوه: عشيرته الأذنون، وتقول: بيني وبينه قرابة وقرب وقربى ومقرّبة وقريبة، وهو قريبي وذو قرابتي وهم أقربائي وأقاربي، وهو مأخوذ من قرب الشيء قرباً: أي دنا¹. وردت كلمة (القربى) مفردة كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾² الآية على لسان محمد -صلى الله عليه وسلم- لا أسألهم أجر النصح والبلاغ قط؛ إلا أن يودّوا قرابتي الذين هم قرابتكم ولا تؤذوهم، فقصدها آل البيت. وجاءت على صور متعددة؛ كإضافتها إلى (ذو) كما في قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾³ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايِ ذِي الْقُرْبَىٰ﴾⁴ حيث أمرنا الله بالإحسان إليهم، وإطعامهم كما في قوله تعالى: ﴿أَوْ إِطْعَمٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾⁵. وحثّ على الإنفاق عليهم في قوله تعالى: ﴿وَأَتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ﴾⁶.

وذُكرت في آي الذكر الحكيم جمعاً (الأقربين) في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ﴾⁷ فقد أمر

¹ ينظر: الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس: 8/4. وابن منظور: لسان العرب: 665/1. مادة (قرب).

² الشورى: آية 23.

³ البقرة: آية 83. ونفس الدلالة في: النساء 36/ الشورى 23.

⁴ النحل: آية 90. ونفس الدلالة في: الإسراء 26/ الروم 38.

⁵ البلد: آية 14 - 15.

⁶ البقرة: آية 177. ونفس الدلالة في: البقرة 215/ النساء 8/ الأنفال 41/ النور 22/ الحشر 7.

⁷ النساء: آية 13. ونفس الدلالة في: المائدة 106 / الأنعام 152.

الله بالشهادة بالحق والعدل ولو كانت على ذوي القربى، أي شهداء الله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين.

على الرغم من دُنُوّ هذه القرابة من الإنسان فإنّها يوم القيامة إذا سألتها لتحمل عنك ذنوبك؛ فلا تتفكك حينئذٍ ويتضح هذا في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمَلِهَا لَا تُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾¹. ومما لا شك فيه حق هؤلاء القرابة في الوصية كما في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾² حيث كانت الوصية للوارث في بدء الإسلام فنسخت بآية الموارث، بقوله صلى الله عليه وسلم: "إن الله أعطى كل ذي حق حقه، ألا لا وصية لوارث"³.

وأضيفت إلى (أولو) كما في قوله عز وجل: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾⁴ وإذا حضر القسمة أولوا القربى واليتيم والمساكين فآرزقوهم منه⁴ وهنا وردت بالمعنى السابق وهو حقه بالإرث. ونهى الله عن محاباتهم في العقيدة كما في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ

¹ فاطر: آية 18.

² البقرة: آية 180.

³ الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: 250/1.

⁴ النساء: آية 8/7. ونفس الدلالة في: النساء 11/ النساء 33.

﴿١٣٦﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ﴿١﴾ .

قسّمت هذا الحقل إلى أربعة أقسام؛ القسم الأول: تحدّثت فيه عن الألفاظ الدالّة على جنس الإنسان: ذكر - أنثى. والقسم الثاني: تناولت فيه الألفاظ الدالّة على القرابة المباشرة: أب- أم، والد- والدة، ابن- بنت، أخ- أخت. والقسم الثالث: جاءت فيه الألفاظ الدالّة على القرابة غير المباشرة: عمّ - عمة، خال- خالة، جدّ، ابن الأخ- بنت الأخ، ابن الأخت - بنت الأخت، بنات عمّك، بنات عمّاتك، آباء بعولتهنّ، أمّهات نسائكم. والقسم الرابع: يمثّل الألفاظ الدالّة على القرابة بالعرف والقانون: زوج، بعل، عشير.

أولاً: الألفاظ الدالّة على جنس الإنسان:

1- ذكر/أنثى. حيث تجمع بينهما علاقة تناقض الجنس.

وتشير لفظة الذكّر إلى الفرد الواحد من بني الإنسان في مقابل الأنثى، والجمع ذُكور، وذُكُورَة وذكّار، وذكّارة وذكّران وذكّرة. وتحمل دلالة اليبس للحديد وأجوده وأشدّه، ولذا يُسمّى السيف مُذكّراً لأنّه يدخل في اللحم، فالذُكُورَة الشدّة والقوّة².

وتُطلق الأنثى على الواحدة من بني الإنسان في مقابل الذكّر، والأنثى: اللين، وسميت المرأة أنثى من اللين، والأنثى من السيوف غير القاطع، وكلّ ما يضعف عمله فهم أنثى وأنثى، وتأنّت الرّجل: تخنّث، امرأة مئنّاث تلدُ الإناث ورجل مئنّاث، وامرأة مذكار: تلد الذُكور. وهذه المرأة أنثى إذا كانت كاملة الأنوثة. والإناث جماعة الأنثى³.

¹ التوبة: آية 113 - 114. ونفس الدلالة في: التوبة 23 - 24.

² ينظر: ابن منظور: لسان العرب: 3/309. مادة (أنث). والزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس: 11/382. مادة (أنث).

³ ينظر: ابن فارس: مقاييس اللغة: 144/1. مادة (أنث). وابن منظور: لسان العرب: 2/112. مادة (أنث).

ووردت كلمة (الذكر) في القرآن الكريم مفردة، حيث جاءت في مقابل الأنثى، الذكر والأنثى في اثنتي عشر آية، في سياقات كثيرة، حيث جعل الله سبحانه وتعالى من الإنسان الزوجين: الذكر والأنثى أي الصنفين، وهذا أصل الإنسان وتركيبه، فكيف يمثل هذا الضعيف أن يتكبر على طاعة الله وجاء في قوله تعالى ﴿جَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾¹.

وذكرت في سياق تفضيل الذكر على الأنثى بالقوة والجدد في العبادة، وخدمة بيت المقدس في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾² وهذا في قصة امرأة عمران، أم مريم عليها السلام، إذ كانت امرأة لا تحمّل، فدعت الله أن يهبها ولداً، فحملت ونذرت أن يكون خالصاً للعبادة؛ لخدمة بيت المقدس، ولم تكن تعلم ما في بطنها أذكراً أم أنثى، فوضعت أنثى وليست الأنثى كالذكر في القوة³.

وأما قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ﴾⁴ وهنا في استواء الذكر والأنثى في القيام بالأعمال الصالحة بشرط الإيمان أن يدخلهم الله الجنة. وقوله تعالى: ﴿أَلَكُمْ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَىٰ﴾⁵ حيث إن المشركين اتخذوا أصناماً آلهة يعبدونها، واشتقوا لها أسماء من أسماء الله عز وجل، وفيه توبيخ وتقريع لهم، حيث نسبوا إليهم النوع المحبوب من الأولاد وهو الذكر، وله تعالى النوع المذموم بزعمهم وهو الأنثى، إذ نسبوا البنات إلى الله، وكانوا يكرهونهن، لكن الله تحدّث عن عبادتهم للأوثان من دون الله، وسمّوها بأسماء إناث (اللات - العزى - مناة)⁶ وهم حقيقة يعبدون شيطانياً

¹ القيامة: آية 39. نفس الدلالة في: الحجرات 13 والنجم 45 الليل 3.

² آل عمران: آية 36.

³ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 360/1.

⁴ النساء: آية 124. ونفس الدلالة في: آل عمران 195 النحل 197 غافر 40.

⁵ النجم: آية 21.

⁶ ينظر: الرازي: التفسير الكبير: 207\30.

متمرداً وهو إبليس، كما في قوله تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا﴾¹.

وردت كلمتا (ذكور) و(إناث) مجموعة ومضافة إلى ضمير في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰ أَزْوَاجِنَا﴾² وهذه إشارة إلى قبيحة المشركين في قولهم ما في بطون البحائر والسواحب حلال لذكورنا خاصة، ومحرم على إناثنا لا تأكله. وجاءت مجموعة أيضاً في قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ تَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿١٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا ۗ وَجَعَلَ مَن يَشَاءُ عَاقِمًا ۗ إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾³ فيخص الله من شاء من عباده بالإناث دون البنين، ويخص من شاء بالذكور دون الإناث، أو يجعلهم إن شاء من النوعين، فيجمع الإنسان بين البنين والبنات، ويجعل بعض الرجال عقيماً فلا يولد له، وهذه أحوال العباد في الأولاد، فكلها وفق مقتضى مشيئته سبحانه⁴.

أمّا قوله تعالى: ﴿آتَاوَنَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ﴾⁵ وهذا استفهام إنكار وتوبيخ لقوم لوط: أتتكون الذكور في أديارهم وتتفردون بهذا الفعل الشنيع.

لقد جاءت كلمة (أنثى) بدون الذكر في قوله تعالى: ﴿الْحَرُّ بِالْحَرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ﴾⁶ حيث فرض الله عليكم أن تقتصوا للمقتول من قاتله بالمساواة دونبغي أو

¹ النساء: آية 117.

² الأنعام: آية 139.

³ الشورى: آية 49 – 50.

⁴ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 122/4.

⁵ الشعراء: آية 165.

⁶ البقرة: آية 178.

عدوان، واقتصوا من الجاني فقط، فإذا قتل الحرُّ الحرَّ فاقتلوه به، وإذا قتل العبدُ العبدَ فاقتلوه به، وكذلك الأنثى إذا قتلت الأنثى، مثلاً بمثل.

ويخبر الله سبحانه وتعالى عن تمام علمه الذي لا يخفى عليه شيء في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ﴾¹ فهو يعلم سبحانه ما تحمله كل أنثى في بطنها هل هو ذكر أم أنثى؟ تام أم ناقص؟ حسن أم قبيح؟ ويعلم ما تنقصه الأرحام بإلقاء الجنين قبل تمامه، وما تزداد على الأشهر التسعة.

وارتبطت الأنثى عند الجاهليين بالعار والخزي؛ حتى إذا أُخبر أحدهم بولادة بنت؛ صار وجهه متغيراً من الغم والحزن، كأنها بليّة وليست هبة إلهية، لكن الإسلام نهى عن هذه العادة القبيحة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾².

ونسب الكافرون الإناث إلى الله وزعموا أنهم بنات الله في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيْسُمُونَ الْمَلْتِيكَاتِ تَسْمِيَةَ الْأُنْثَىٰ﴾³ فهم لم يشاهدوا خلق الملائكة ولا جاءهم من الله حجة أو برهان.

2- رجال - نساء:

الرجُل هو الذكْر البالغ من بني الإنسان فوق الغلام في مقابل المرأة، والجمع رجَال، ورجَالَات جمع الجمع، وتصغيره رُجَيْل⁴.

وفي مقابل الرجال النساء، حيث يوضّح الزبيدي دلالة الجذر (ن س و) بقوله: " والنسوة بالكسر والضّم، والنساء والنسوان والنسوان، والأربعة الأولى ذكرهنّ الجوهري، والأخيرة عن

¹ الرعد: آية 8. ونفس الدلالة في: فاطر 11/فصلت 47/الأنعام 143.

² النحل: آية 58.

³ النجم: آية 27. ونفس الدلالة في: الصافات 35/الزخرف 19/الإسراء 40.

⁴ ينظر: الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس: 34\29. مادة (نسو). وابن منظور: لسان العرب: 265\11. مادة (نساء).

ابن سيده، وهي جموع المرأة من عند لفظها كالقوم في جمع المرء. والنساء، المرأة المظنون بها الحمل. ويقال: امرأة نساء ونسوة ونساء: إذا تأخر حيضها ورُجِي حبلها فهو من التأخير، وقيل بمعنى الزيادة ونُسِيت المرأة إذا حَبَلَتْ، وجعلت زيادة الولد فيها كزيادة الماء في اللبن¹. وفي الحديث: كانت زينب بنت رسول الله تحت أبي العاص بن الربيع، فلما خرج رسول الله إلى المدينة أرسلها إلى أبيها، وهي نسوء؛ أي مظنون بها الحمل².

وردت لفظة (رَجُل) في القرآن الكريم سبعاً وخمسين مرة في سياقات مختلفة، فقد جاءت مرات عدة مقترنة بلفظة النساء، إذ يخاطب الله الناس جميعاً ويدعوهم إلى عبادته وحده، منبهاً على قدرته ووحدانيته بقوله عز وجل: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً³ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ⁴ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا⁵﴾ إذ يأمر الله الناس بمخافته سبحانه الذي أنشأنا من أصل واحد، وهو آدم، وأوجد من هذه النفس الواحدة زوجها وهي حواء، ونشر من آدم وحواء خلائق كثيرين ذكوراً وإناثاً، وفي أقطار العالم على اختلاف أصنافهم وصفاتهم وألوانهم ولغاتهم⁴. وفي قوله تعالى: ﴿وَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْنَّ بِالْمَعْرُوفِ⁵ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْنَّ دَرَجَةٌ⁶﴾ فالنساء على الرجال من الحق مثل ما للرجال عليهن، بالمعروف الذي أمر به سبحانه وتعالى به من حُسن العشرة، وللرجال عليهن ميزة فيما أمر الله به من الإنفاق والقوامة والجهاد حرباً، ووجوب الطاعة له على زوجه فيما كل ما يتعلّق بشؤون الأسرة والبيت.

¹ ينظر: ابن منظور: لسان العرب: 169١. مادة (نساء).

² الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس: 69٤0. مادة (نسوء).

³ النساء: آية 1.

⁴ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 449١.

⁵ البقرة: آية 228.

وفي الإخبار عن إتيان قوم لوط الرِّجال دون النِّساء في قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ﴾¹ فقد عدلوا عن النِّساء وما خلق لهم ربهم فيهنَّ إلى الرِّجال، وهو إسراف وجهل، وقد كانوا يأتون الرِّجال في أدبارهم². حيث جعل الله الشهوة في النِّساء.

أمَّا في أحكام الميراث وتفصيلها كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾³ وهذا في بيان ميراث الميِّت إذا كان (الكلاية) الورثة مختلفين؛ إخوة وأخوات فللذكر مثل نصيب الأختين.

وبيَّن الله سبحانه وتعالى أنَّ القوامة في الإسلام تكون للرِّجل استنادًا إلى قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾⁴ فالرِّجال قائمون عليهنَّ بالأمر والنهي، والإنفاق والتوجيه، كما يقوم الولاية على الرعية، وهذا لما منحهم الله من العقل والتدبير، وخصَّهم به من الإنفاق والكسب، فهم يقومون على النِّساء بالحفظ والرعاية والإنفاق والصداق (المهر). ثم فصلَّ الله سبحانه وتعالى حال النِّساء تحت قيادة الرِّجل، فهنَّ قسمان: قسم صالحات مطيعات، وقسم عاصيات متمردات، فهنَّ ما بين مطيعات لله ولأزواجهنَّ، قائمات لما عليهنَّ من حقوق. وأخريات يتكبرنَّ ويتعاليَّن عن طاعة الأزواج، وعلى الرِّجال أن يسلكوا معهنَّ سبل الإصلاح⁵.

لقد عني الإسلام بالنظم الاقتصادية، وتبيَّن آية الدِّين إذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتوبه، لأنه أوثق وأمن من النسيان، واطلبوا أن يشهد لكم شهيدان على الدِّين من رجال المؤمنين، فإن لم يكن الشهيديان رجُلين؛ فليشهد رجُل وامرأتان ممن يوثق بدينهم وعدالتهم، وذكر امرأتين، بحيث

¹ الأعراف: آية 81. ونفس الدلالة في: النمل 55.

² ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 231\2.

³ النِّساء: آية 176. ونفس الدلالة في: النِّساء 12\ النساء 7.

⁴ النِّساء: آية 34. ونفس الدلالة في: البقرة 228.

⁵ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 492\1.

إذا نسيت إحداهما الشهادة فتذكرها الأخرى¹، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ ۚ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا ۚ فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيَمْلِكْ وَلِيُهُ بِالْعَدْلِ ۚ وَأَسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ ۚ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكَّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى ۚ﴾².

وجاءت كلمة (الرجل) مثناة (رجلين) في سياقات التفاضل، كقوله عز وجل: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ ۖ﴾³ أي اضرب يا محمد للكفار هذا المثل، وهما أخوان من بني إسرائيل أحدهما مؤمن والآخر كافر، ورثا مالاً من أبيهما فاشترى الكافر بماله حديقتين، وأنفق المؤمن ماله في مرضاة الله، فعيّره الكافر بفقره، فأهلك الله مال الكافر، وضرب هذا المثل للمؤمن الذي يعمل في طاعة الله، والكافر الذي أبطرتة النعمة⁴.

جعل الله سبحانه وتعالى النبوة في الرجال دون النساء، حيث قال عز وجل: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ ۖ﴾⁵ إذ تعجّب الكفار من إرسال المرسلين من البشر، وقالوا الله أعظم من أن يكون رسوله بشراً مثل محمد⁶.

¹ ينظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: 553/1.

² البقرة: آية 282.

³ الكهف: آية 32. ونفس الدلالة في: النحل 176 الزمر 29.

⁴ ينظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي: 496/3.

⁵ يونس: آية 2. ونفس الدلالة في: الأنعام 9/الأعراف 63/الأعراف 69/الاسراء 47/المؤمنون 25/المؤمنون 38/الفرقان 18 سبأ 43/غافر 28.

⁶ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 407/2.

ووردت كلمة (النساء) في القرآن الكريم اثنتين وأربعين مرة، في سياقات متعددة؛ منها سياق خطبة النساء في قوله تعالى: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ ۚ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَعْرُوفًا ۚ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ ۚ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾¹.

وذكرت في سياق حقهن في نفقة الطلاق في قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفَرَّضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَىٰ الْمَوْسِعِ قَدَرُهُ ۚ وَعَلَىٰ الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ ۚ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ ۚ حَقًّا عَلَىٰ الْمُحْسِنِينَ﴾².

وأمرها بآداب إذا لقيت الرجل حيث الجديّة في التّخاطب في قوله عزّ وجلّ: ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ إِنْ أَتَقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾³، وهذه آداب أمر بها الله نساء النبي محمد عليه الصلاة والسلام، ونساء الأمة تبع لهنّ؛ إذ عليها مخاطبة الرجل الأجنبيّ عنها بكلام لا ترخيم فيه.

وللقواعد من النساء خطاب من الله سبحانه وتعالى في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ ۚ خَيْرٌ لَهُنَّ ۚ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾⁴، وهؤلاء النساء

¹ البقرة: آية 235.

² البقرة: آية 236. ونفس الدلالة في: الطلاق 6-7.

³ الأحزاب: آية 32.

⁴ النور: آية 60.

العجائز اللاتي قعدن عن الحيض والولد وطلب الزّواج لانقطاع سنهنّ، حيث لا يرغبن في الزّواج لانعدام الشّهوة، لا جُنّاح ولا إثم عليهنّ في أن يضعن بعض ثيابهنّ كالرداء، ويظهرن أمام الرّجال بملابسهنّ المعتادة التي لا تلفت الانتباه، ولكن بشرط أن يكنّ غير متظاهرات بالزّيّنة. وأن يستترن بارتداء الجلباب، ولبس ما تلبسه النّساء الشّابات مبالغة في التعفّف والتّستر خير لهنّ.

جاءت كلمة (نسوة) في القرآن الكريم مرّتين، منهما قوله تعالى: " وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتْدَهَا عَنْ نَفْسِهِ ^ط"¹ في سياق الحديث عن امرأة العزيز والنّسوة اللاتي حضرن عندها لرؤية جمال سيّدنا يوسف.

وبعد تحليل واستقراء الآيات السّابقة، نجد أن نسبة شيوع لفظة الرّجال وتعدادها في القرآن الكريم أكثر من نسبة شيوع لفظة النّساء، ممّا يؤكّد ما تمّ التوصل إليه في المبحث الأوّل من القيمة الاجتماعيّة المتمثّلة في ارتفاع مكانة الرّجل في المجتمع العربي الإسلامي.

ثانيًا: الألفاظ الدالّة على القرابة المباشرة للإنسان: أب - أمّ - والد - والدة - أخ - أخت - ابن - ابنة.

تتناول الباحثة في هذا المجال الألفاظ الدالّة على القرابة المباشرة للإنسان التي تشكّل الأسرة؛ التي تعدّ أصغر وحدة قرابية، إذ تتكوّن من الرّجل والمرأة وأولادهما، واللفظ مأخوذ من الأسر: الشدّة والعصب، لأنّ الأسرة هي التي يشدّ المرء بها ويعصب². ويضمّ هذا المجال ألفاظاً متنوعة هي:

¹ يوسف: آية 30.

² ينظر: ابن منظور: لسان العرب: 3 23. مادة (أسر).

الأب مشتق من أب، يؤوب، أوباً: أي رجع، وهو الإنسان الذي ينسب إليه الابن، لأنه يرجع إلى أبيه بالانتساب. وأصله أبو بالتحريك، لأن جمعة آباء، مثل: رحي - أرحاء. ويثنى أبوان. وهو الوالد والجمع أبوة وآباء وأبؤ وأبوتة¹.

الأم: هي المرأة التي ينسب إليها الابن بالولادة من جهة أبيه. ويوضح الزبيدي دلالة الأم بقوله: "أمه يؤمه أمًا: قصده وتوجه إليه، ويتمموا: اقصدوا. والإمام: الذي يقتدي به الناس. وقيل الأم: المسكن، وتصغيرها أممية. ويقال أمي: لأنه على ما ولدته أمه عليه من قلة الكلام وعجمة اللسان. وقال الخليل: كل شيء يضم إليه ما سواه مما يليه، فإن العرب تسميه أمًا، أم الرأس: الدماغ. وكان الأم بهذا المعنى: التي يقصدها الإنسان منذ وقت ميلاده"². وهي التي ولدت كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾³. ويضيف ابن منظور في دلالة الأم بقوله: "أم الشيء: أصله، والأم: والأمة: الوالدة. والجمع أمات وأمّهات. وقال بعضهم الأمّهات فيمن يعقل، والأمات بغير هاء فيمن لا يعقل: فالأمّهات للناس والأمات للبهائم"⁴.

وللأب مكانة عظيمة في الإسلام، حيث يأخذ المرتبة الثانية بعد الأم، وليس معنى هذا أن البرّ به أقلّ درجة، أو يمكن التّهاون في بعض حقّه؛ إذ أمر الله سبحانه وتعالى بالإحسان إلى الوالدين (الأب والأم) في قوله تعالى: ﴿لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾⁵.

وردت لفظة (الأب) مفردة في ثمان وأربعين آية، ومثناة في خمس آيات، ومجموعة في أربع وستين آية، إذ اختلفت السياقات التي وردت فيها، فذكر الآباء الصالحين وذريّاتهم في قوله

¹ ينظر: الزبيدي: تاج العروس: 1937. وابن منظور: لسان العرب: 914. مادة (أب).

² ابن فارس: مقاييس اللغة: 311. والزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس: 230\31. مادة (أم)

³ المجادلة: آية 2.

⁴ ابن منظور: لسان العرب: 28 \ 12. مادة (أم).

⁵ البقرة: آية 83. ونفس الدلالة في: النساء/36/ الأنعام/ 151/ الإسراء/23/ الاحقاف/15.

تعالى: ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ^ط وَاجْتَبَيْنَاهُمْ^ط وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ^ط﴾¹.

وعلى عظم المنزلة والبرّ والطاعة التي أوجبها الله على الأبناء تجاه آبائهم، إلا أنّ هذه الطاعة مشروطة بأن تكون في الله كما في قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ^ط﴾^{١٦} فَأَمَّا بَلَّغَ مَعَهُ السَّعَى قَالَ يَبْنِيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْنُحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى^ط قَالَ يَتَابَتُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ^ط سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ^ط﴾².

ونهاننا عن طاعتها في معصيته في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصْلُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ^ط﴾^{١٤} وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا^ط وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا^ط وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ^ط ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ^ط﴾³ وهنا أمر الله سبحانه وتعالى بالإحسان إلى الوالدين ولا سيما الوالدة التي حملته جنيناً في بطنها وهي تزداد كل يوم ضعفاً على ضعف، وطمامه في تمام العامين، فاشكر ربك على نعمة الإيمان والإحسان، واشكر والديك على نعمة التربية. لكن إن بذلا جهدهما ليحملاك على الكفر والإشراك بالله فلا تطعمها، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وصاحبهما في الحياة الدنيا بالمعروف والإحسان إليهما⁴.

¹ الأنعام: آية 87. ونفس الدلالة في: غافر/8/يوسف/6/الكهف/80/الكهف/82/البقرة/113/يوسف/38.

² الصفات: آية 101 - 102.

³ لقمان: آية 14 - 15.

⁴ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 445/3.

وَحَثَّ اللَّهُ الْإِنْسَانَ عَلَى تَقْدِيمِ حُبِّهِ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِمْ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ١﴾ أَي إِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْأَقْرَابُ مِنَ الْأَبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ، وَالْإِخْوَانِ، وَالزَّوْجَاتِ وَجَمَاعَتِكُمْ الَّتِي تَسْتَتَصِرُونَ بِهِمْ وَأَمْوَالِكُمْ الَّتِي اِكْتَسَبْتُمُوهَا وَتَخَافُونَ عَدَمَ نِفَاقِهَا، وَمَنَازِلَ تَعْجَبِكُمْ الْإِقَامَةَ فِيهَا، أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ الْهَجْرَةِ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَأَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ الْجِهَادِ لِنَصْرَةِ دِينِ اللَّهِ فَانْتَظِرُوا عِقَابَهُ شَدِيدَةً ٢.

وَذَكَرَتْ كَلِمَةَ (الْأَبْوِينِ) فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي سِيَاقِ تَكْرِيمِهِمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوِيهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبْوِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ٣﴾ فَلَمَّا دَخَلَ يَعْقُوبُ وَأَبْنَاؤُهُ وَأَهْلُوهُمْ عَلَى يُوسُفَ؛ ضَمَّ أَبْوِيَهُ وَعَانَقَهُمَا، وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ آمِنِينَ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، وَأَجْلَسَهُمَا عَلَى سُرِيرِ الْمَلِكِ بَجَانِبِهِ، وَسَجَدَ لَهُ أَبُوهُ وَأُمَّهُ وَإِخْوَتُهُ حِينَ دَخَلَهُمْ عَلَيْهِ، وَقَالَ الرَّازِي أَنَّ الْمَقْصُودَ بِأَبْوِيَهُ هُمَا أَبُوهُ وَخَالَتُهُ، وَقِيلَ إِنَّ أُمَّهُ كَانَتْ قَدْ مَاتَتْ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ أَحْيَاها وَأَنْشَرَهَا مِنْ قَبْرِهَا حَتَّى سَجَدَتْ لَهُ، حَقِيقًا لِرُؤْيَاةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامِ. وَقِيلَ إِنَّ الْمُرَادَ أَبُوهُ وَخَالَتُهُ لِأَنَّ أُمَّهُ مَاتَتْ فِي النَّفَاسِ بِأَخِيهِ بَنِيَامِينَ، وَلَمَّا مَاتَتْ أُمَّهُ تَزَوَّجَ بِخَالَتِهِ فَسَمَّاهَا اللَّهُ تَعَالَى بِأَحَدِ الْأَبْوِينِ؛ لِأَنَّ الْخَالَةَ تُدْعَى أُمًّا؛ لِقِيَامِهَا مَقَامَ الْأُمِّ، أَوْ لِأَنَّ الْخَالَةَ أُمَّ كَمَا أَنَّ الْعَمَّ أَبٌ ٤.

وَذَكَرَ اللَّهُ خِدْمَتَهُمَا فِي قِصَّةِ ابْنَتِي شَعِيبَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمْ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ٥﴾ قَالَ مَا

¹ التوبة: آية 24.

² ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 343/2.

³ يوسف: آية 99 - 100.

⁴ ينظر: الرازي: التفسير الكبير: 18 \ 168.

حَطَبُكُمْ مَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدِرَ الرِّعَاءُ^ط وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ¹. أما عن الدعاء لهما ففي قوله تعالى: ﴿وَأَغْفِرْ لَأَبِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الضَّالِّينَ﴾² دعا إبراهيم عليه السلام لأبيه بالهداية إلى الإيمان والصفح عنه، لأنه كان ممن ضلَّ عن سبيل الهدى. وأوجب على الإنسان التبرؤ من شركهم في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾³ حيث كان إبراهيم يستغفر لأبيه مدة حياته، فلما مات على الشرك وتبين إبراهيم ذلك تراجع عن الاستغفار له وتبرأ منه.

كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوي العاهات إلى بيوت أزواجهم وأولادهم، وإلى بيوت أقاربهم فيطعمونهم منها، فخافوا أن يلحقهم فيه حرج، أو كرهوا أن يكون أكلًا بغير حق فنزلت قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾⁴.

وتقع على الأبوين مسؤولية تربية قال عز وجل: ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾^٥ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَهْمًا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً

¹ القصص: آية 22.

² الشعراء: آية 86. ونفس الدلالة في: التوبة ١14 مريم 47/المتحنة 4.

³ الزخرف: آية 26. ونفس الدلالة في: التوبة 23.

⁴ النور: آية 61.

وَأَقْرَبَ رُحْمًا¹ وهو الغلام الذي قتله الخضر، وكان كافراً وفاجراً، وكان أبواه مؤمنين، فحفظنا أن يحملهما حبه على أتباعه في الكفر والضلال، وأردنا بقتله أن يرزقهما الله ولداً صالحاً خيراً من ذلك الكافر، وأقرب برّاً ورحمةً بوالديه².

أما عن الفرار منهم في الآخرة ففي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۖ وَأُمِّهِ ۖ وَأَبِيهِ ۖ³ فِي هَذَا الْيَوْمِ الرَّهِيْبِ يَهْرَبُ الْإِنْسَانُ مِنْ أَحِبَابِهِ، وَمِنْ أَخِيهِ، وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ، لَانْتِشَالِهِ بِشَأْنِهِ وَلِعَلَّمَهُ بِأَنَّهمْ لَا يَنْفَعُونَهُ، فَأَحْرَّ اللَّهُ الْأَحْبَّ فَالْأَحْبَّ لِلْمَبَالِغَةِ، كَأَنَّهُ قِيلَ يَفِرُّ مِنْ أَخِيهِ، بَلْ مِنْ أَبِيهِ بَلْ مِنْ صَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ⁴. وذكر الله ميراثهم في قوله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِكْرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ ۚ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ۚ وَلَا لِأَبْوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا الشُّدُسُ ۚ⁵ وهذا تفصيل لأحكام الموارث، فذكر نصيب النساء الأولاد من بنين وبنات، ثم ذكر نصيب الآباء والأمهات، ثم نصيب الأزواج والزوجات، ثم نصيب الإخوة والأخوات.

الأم:

يوصينا الله تبارك وتعالى بالوالدين، ثم يبدأ بأخصهما في التقديم، فيذكر الأم لما لها من جليل الأثر في حياة الإنسان، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يحث المسلمين على الإحسان إلى الأم والبر بها؛ لأن في رضاها نعمة وبركة، تثران حياة الإنسان وتثيران له الطريق. وإذا كان العرب في الجاهلية يفخرون بالأمهات⁶، فالإسلام أعلى من شأنهن وأنزلهن منزلة عالية.

¹ الكهف: آية 80-81.

² ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 99/3.

³ عيس: آية 34-35.

⁴ ينظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي: 454/5.

⁵ النساء: آية 11.

⁶ ينظر: حجازي، محمد عبد الواحد: الأسرة في الأدب العربي. ط1. الاسكندرية: دار الوفاء. 2006. ص96.

تكررت لفظة (أُمّ) مفردة في أربع وعشرين آية، ومجموعة (أمّهات) في عشر آيات، في سياقات متعدّدة. للأمّ عظيم الفضل على أبنائها، فهي التي حملت وولدت، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمَغْفِرَةَ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾¹ الله هو الذي أنشأ أباكم آدم من الأرض، واستخرج ذريته من صلبه، وخلقنا أجنة في بطون أمهاتنا.

وأمر الله الوالدات بإرضاع أولادهنّ، كما في قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾² فمن الواجب إرضاع الولد وكمالها سنتان.

وجاء القرآن الكريم على ذكر الأمّ الصالحة في قوله تعالى: ﴿يَتَأَخَّتْ هَرُونَ مَا كَانَ أَبِيكَ أَمْرًا سَوَاءً وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَغِيًّا﴾³.

وحرّم نكاح الأمّ وأُمّ الزوجة لأنها كالأمّ وذلك في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَأَخَوَاتِكُمْ وَعَمَّاتِكُمْ وَخَالَاتِكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ﴾⁴ وهذه آية تحريم المحارم من النسب وما يتبعه من الرضاع، والمحارم بالصهر. فيحرّم على الإنسان الأمّ التي ولدتها، كما تحرم عليه أمّه التي أرضعته، وتحرم أمّ المرأة لمجرد العقد على ابنتها⁵.

وهكذا، فقد غرس الله في الأمّ حبّاً جمّاً لولدها، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرْعًا ۗ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ

¹ النّجم: آية 32. ونفس الدلالة في: الزمر/6/المجادلة/2.

² البقرة: آية 232. ونفس الدلالة في: طه/39-40/الأحقاف/15/لقمان/14.

³ مريم: آية 28. ونفس الدلالة في: المائدة/75.

⁴ النّساء: آية 23.

⁵ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 471/1.

الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ^ط فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ
 وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ
 وَهُمْ لَهُ نَصِاحُونَ ﴿١١﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ
 أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٢﴾¹

وابن مريم في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾²

وفيه يخبر الله عن عبده ورسوله عيسى ابن مريم عليهما السلام، أنه جعلهما آية للناس، أي حجة قاطعة على قدرته على ما يشاء، فإنه خلق آدم من غير أب ولا أم، وخلق حواء من ذكر بلا أنثى، وخلق عيسى من أنثى بلا ذكر، وخلق بقية الناس من ذكر وأنثى، وآواهما الله في بيت المقدس فإنها أرض مرتفعة، وقيل في دمشق أو الرملة أو مصر.

والد - والدة:

الوالد هو الذي يُولد من نطفته ولد يُنسب إليه، جاء في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ
 أَنْفُورًا رِبَكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا تَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ
 شَيْئًا^٣ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ^ط فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ
 الْغُرُورُ^٣﴾. لكن الأب ليس بالضرورة أن يكون الوالد فقد يطلق على العم أحياناً الأب، فهو من
 يتولى أمور الأبناء وإن لم يكونوا أبناءه.

جاءت (والدة) وهي المرأة التي تنجب الطفل، ومحل البر والإكرام، وجاءت لفظة والدة
 في قوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ^ط لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ

¹ الفصص: آية 10-13. ونفس الدلالة في: القصص 7/ وطه 38-40.

² المؤمنون: آية 50. ونفس الدلالة في: المائدة 17/ المائدة 75.

³ لقمان: آية 33. ونفس الدلالة في: البلد 13.

الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۚ لَا تَكُلْفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ
لَا تَضَارُّ وَاِلِدَةٌ بِوَالِدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ ۗ¹

ابن - ابنة:

الابن هو الولد، وسُمِّي به لكونه بناء الأب، فالأب هو الذي بناه وجعله الله سبباً في إيجاده، وأصله بَنِي والجمع أَبْنَاء²، قال الزجاج: كان في الأصل (ابن) بنو، والألف ألف وصل في الابن، وهو الفرع المباشر للرجل الذي يُنسب إليه. وبنات ليس بجمع بنت على لفظها، إنما رُدَّت إلى أصلها فجمعت بنات، على أن أصل بنت فعلة مما حذف لامه. وقال الجوهري: "والابن أصله بنو، والذاهب منه الواو، كما ذهب من أب وأخ، لأنك تقول في مؤنثه بنت وأخت، ولم نر هذه الهاء تلحق مؤنثاً إلا ومذكّره محذوف الواو. الابنة هي الأنثى المولودة للرجل أو المرأة في مقابل الذكر وهي الفرع المباشر للرجل الذي تُنسب إليه"³.

ذكرت لفظة (ابن) في القرآن الكريم مخصّصة بإضافتها إلى أسماء الأعلام لتحديد الانتساب في هذه السياقات، منها (ابن مريم) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَقَفَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرُّسُلِ ۖ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ أَسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾⁴ أي وأعطينا عيسى الآيات البينات، والمعجزات الواضحات الدالة على نبوته، وشددنا أزره بجبريل عليه السلام.

¹ البقرة: آية 233. ونفس الدلالة في: المائدة 10/مريم32.

² ينظر: الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس. 37 \ 224. مادة (بني).

³ ينظر: ابن منظور: لسان العرب: 14/90. مادة(بني).

⁴ البقرة: آية 87. ونفس الدلالة في: البقرة253/ آل عمران45/ النساء157/ النساء71/ المائدة17 / المائدة46/ المائدة72/

المائدة75/ المائدة78/ المائدة110/ المائدة112/ المائدة114/ المائدة116/ التوبة31/ مريم34/ المؤمنون5/ الأحزاب57/

الزخرف57/ الحديد27/الصف1.

وجاءت مضافة إلى الضمير كما في قوله تعالى: ﴿ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْرَلٍ يَبُنَىٰ آرَكَبٍ مَعَنَا وَلَا تَكُن مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾¹.

ذُكِرَتْ مَثْنًا مَرَّةً وَاحِدَةً فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۗ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾² وابني آدم هما قابيل وهاويل، حين قرب كل منهما قرباناً؛ فُتُقَبِّلَ من قابيل ولم يُتَقَبَّلَ من هاويل.

ولقد ورد جمع الجمع (بنون) و(بنين) في سبع عشرة آية، وتعددت السياقات التي جاءت فيها، فذكر البنون بوصفهم زينة الحياة الدنيا، في آيات كثيرة منها قوله عز وجل: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۗ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً ﴾³.

أَمَّا عَنِ عَدَمِ الْإِنْتِفَاعِ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾⁴ فيوم القيامة لا ينفع مال ولا بنون إلا من جاء ربه وقلبه سليم من الأضغان والأحقاد.

وصيغة الجمع جاءت أيضاً مضافة إلى أسماء أعلام، منها (بني إسرائيل) حيث وردت في اثنين وأربعين موضعاً في آيات القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿ يَبْنِي إِسْرَائِيلَ

¹ هود: آية 42. ونفس الدلالة في يوسف 81/لقمان 13/الأنبياء 91/هود 45.

² المائدة: آية 27.

³ الكهف: آية 46. وردت الدلالة نفسها في: النحل 72 آل عمران 14 الانعام 100\الإسراء 6 المؤمنون 55 الشعراء

133 وغيرها..

⁴ الشعراء: آية 88 - 89.

أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّيَ فَارْهَبُونِ ﴿١﴾
 وهم أبناء النبي يعقوب حيث يأمرهم الله أن يذكروا نعمته عليهم، وعلى آبائهم وهذه النعم لا تعدّ
 ولا تحصى. ولم ترد مرفوعة إلا في قوله تعالى: ﴿وَجَنُوزَنَا بِنْتِي إِسْرَاءَ يَلِ الْبَحْرَ فَأَتَّبَعَهُمْ
 فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَأَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا
 الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُوءَ إِسْرَاءَ يَلِ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾².

وجاءت (بني آدم) ثمانى مرات كما في قوله تعالى: ﴿يَبْنِي ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ
 كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾³ وفي الآية أمر من
 الله لجميع بني آدم بلبس أفخر الثياب وأطهرها عند كل صلاة أو طواف.

وجاءت كلمة ابن مضافة للأُم، بمعنى الأخ كما في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى
 إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي ؕ أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ
 وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ۗ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي
 وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾⁴ قال ابن
 أمذ ليسون أرق وأنجع عنده فهو شقيقه، وذكر الأم أعطف لقلبه، فهي كلمة عطف ولين. وهذه
 الكلمة تعامل معاملة المفرد لا المركب الإضافي.

¹ البقرة: آية 40. ونفس الدلالة في: البقرة ١١٢ البقرة ١٢٤ آل عمران ١٣٩ المائدة ١٢ المائدة ١٣ المائدة ١٧ المائدة ١٧
 المائدة ٧٨ المائدة ١١٠ الأعراف ١٠٥ الأعراف ١٣٤ الأعراف ١٣٧-١٣٨ يونس ٩٠ يونس ٩٣ الإسراء ١٢ الإسراء
 ١١٠ الإسراء ١٠٤ مريم ١٥٨ طه ١٤٧ طه ١٨٠ طه ١٩٤ الشعراء ١١٧ الشعراء ١٢٢ الشعراء ١٥٩ الشعراء ١٩٧ النمل
 ١٧٦ السجدة ١٢٣ غافر ١٥٣ الزخرف ١٥٩ الدخان ١٤٠ الجاثية ١١٦ الأحقاف ١٠.

² يونس: ٩٠.

³ الأعراف: آية ٣١.

⁴ الأعراف: آية ١٥٠.

وأما صيغة (أبناء) فوردت مضافة إلى لفظ الجلالة الله في أربع آيات، منها قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصْرِيُّ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّهُ رَبِّ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۗ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ۝¹﴾ حيث جاءت مضافة إلى الله، وهو قول اليهود والنصارى، وهذا افتراء بأنهم بمنزلة الأبناء من الآباء ونحن أحبّاه لأننا على دينه، أي هم منتسبون إلى أنبيائه وهم بنوه وله به عناية. وذكرت أبناء مضافة إلى بعولتهن² وإخوانهن³ وأخواتهن⁴.

وجاءت مضافة إلى الضمير كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۗ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝⁵﴾ أي واذكروا يا بني اسرائيل نعمتي عليكم حين نجيت آباءكم من بطش فرعون وأشياعه، وكانوا يذيقونكم أشدّ العذاب وأفظعه، يذبحون الذكور من الأولاد ويستبقون الإناث على قيد الحياة.

وجاءت مسبوقه ببياء النداء (يا بني - يا بُنَيَّ) في ست آيات، على سبيل الوعظ والإرشاد كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ ۖ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ۗ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝⁶﴾ فقد وهب الله سليمان الحكمة، وهي الإصابتة في القول والنطق بما يوافق الحقّ، وكان يعظ ولده: يا بنيّ كن عاقلاً، ولا تشرك بالله أحداً.

¹ المائدة: آية 18 / النور 31 / الأحزاب 55 / غافر 25.

² النور: آية 31.

³ الأحزاب: آية 55.

⁴ الآية السابقة.

⁵ البقرة: آية 49.

⁶ لقمان: آية 13، ونفس الدلالة في: هود 42 / يوسف 5 / لقمان 16 / لقمان 17 / الصافات 102.

وأما لفظة (ابنة) فقد وردت مفردة في آية واحدة، في قوله تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ
 عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا
 وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِذْ كَانَ هِيَ فِي الْوَحْيِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ¹ وهذا مثال للمؤمن في عدم تضرره ببقاء قريبه على الكفر،
 إذا كان هو مؤمناً، فذكر آسيا زوج فرعون، ثم مريم بنت عمران، حيث كان يذكر قديماً على
 اسم الشخص متبوعاً بابن فلان أو ابنة فلان، ومريم بنت عمران مثل آخر في الإيمان، إذ
 حفظت فرجها وصانته عن الفواحش، فهي عفيفة طاهرة.

ومثناة (ابنتين) ومضافة إلى ياء المتكلم كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ
 أَنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَنِي حِجَجٍ^ط فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ
 عِنْدِكَ^ط وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ^ج سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّالِحِينَ² وهما
 ابنتا شعيب عليه السلام.

أما مجموعة (بنات) فجاءت مرّات عدّة، وخصّصت بالإضافة إلى (الأخ - الأخت) ومنها
 قوله عزّ وجلّ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ
 وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ الَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمُ مِنَ
 الرِّضَاعِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ الَّتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ الَّتِي
 دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَخَالَاتُكُمْ
 الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ^ط إِنَّ اللَّهَ كَانَ
 غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٢﴾ * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ^ط كَتَبَ اللَّهُ
 عَلَيْكُمْ^ج وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ^ج

¹ التّحریم: آية 12.

² القصص: آية 27.

فَمَا أُسْتَمْتَعُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وفي هذه الآية يبين الله المحرمات من النساء، ومنهن المحرمات بالنسب: الأمهات، البنات، الأخوات، العمات، الخالات، وبنات الأخ، بنات الأخت.

أما قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا أَحَلَّلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَلَّتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأُمَّرَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٢﴾ فقد ذكر الله فيها أنواعاً من النساء، اللاتي أباحهن الله للنبي محمد عليه الصلاة والسلام، توسعة عليه وتيسيراً له في تبليغ الدعوة، ومنهن زوجاته وقربياته من بنات الأعمام والعمات، والأخوال والخالات بشرط الهجرة معه.

وتجمع بين الابن والابنة علاقة الأخ والأخت، والأخ هو الذكر الذي يشارك الآخر في صلب أو بطن الولادة من الأبوين أو من أحدهما، وسُمي الأخ أخاً، لأنَّ قَصْدَهُ قصد أخيه، بين الجوهري أنَّ أصله أخو لأنه جُمع على آخاء مثل آباء، والذَّاهب فيه الواو، لأنَّكَ تقول في التثنية أخوان. وقال بعض النحويين اللفظ مشتق من قولهم وَخِي وَخِيًا، أي قصد. وقلبت الواو همزة، وأخى الرَّجُلُ مُوَاخَاةً وَإِخَاءً وَوَحَاءً. النَّأخِي: اتَّحَادَ الْإِخْوَانَ، وتثنيته أَخَوَانٌ، والجمع إِخْوَانٌ وَإِخْوَةٌ، فذهب بعض اللغويين إلى أنَّ لفظ الأُخوة كثيراً ما يستعمل في الولادة والنسب، أمَّا لفظ الإخوان فيستعمل في الصداقة ونفى ابن منظور هذا الكلام، إخوة وإخوان للأصدقاء

¹ النساء: آية 23.

² الأحزاب: آية 50.

وغير الأصدقاء¹. وقد يكون الأخ من الرضاع. ويعدّ من الأسماء الخمسة. والنسبة إلى الأخ: أخوي².

والأخت هي الأنثى المشاركة للآخر في الولادة من أبوين أو من أحدهما، وهي صيغة على غير بناء المذكر. والتاء بدل من الواو، ووزنها فُعَلَّة، فنقلوها إلى فعل، وألحقتها التاء المبدلة من لامها بوزن فُعَل، والتاء فيها ليست علامة تأنيث وذلك لسكون ما قبلها³.

ذكر الله أنواعًا مختلفة من الأخوة في القرآن الكريم، منها الأخوة بالنسب، كما في قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾⁴ وهو قول فرعون وقومه بتأخير موسى وأخيه، والإرسال في طلب السحرة من جميع أنحاء البلاد.

وجاءت في القرآن الكريم لفظة (أخوهم) و(أخيهم) في مصاحبة أسماء الأعلام، مثل (أخاهم هود) في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ قَالَ يَبْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ⁵ وقيل في الأنبياء (أخوهم) وكانت أمهم كافرة، وهذا يدلّ أنه أتاهم بشر مثلهم، من ولد أبيهم آدم، وجائز أن يكون أخاهم لأنه من قومهم فيكون أفهم لهم⁶. وبنفس المعنى ذكرت اللفظ في قوله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ قَالَ يَبْقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ⁷ قَدْ جَاءَ تَكْمٌ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ⁸ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ⁹ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ¹⁰. وقد

¹ ينظر: ابن منظور: لسان العرب: 14 \ 19 - 22. مادة (أخ).

² ينظر: الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس: 37/45. مادة (أخ).

³ ينظر: ابن منظور: لسان العرب: 14/22. مادة (أخ).

⁴ الأعراف: آية 111. ونفس الدلالة في: النساء 11-12/النساء 23/النساء 176/ المائدة 25/ المائدة 30/31 الأنعام 87/ الأعراف 142/ الأعراف 150-151/ يونس 87/ يوسف 7-8/ يوسف 58-59/ يوسف 63-65

يوسف 70/ يوسف 76-77/ يوسف 87/ يوسف 89/ يوسف 100/ مريم 53 وغيرها.

⁵ هود: آية 50. ونفس الدلالة في: الأعراف 165/ الشعراء 124.

⁶ ينظر: الرازي: التفسير الكبير: 14\125.

⁷ الأعراف: آية 73. ونفس الدلالة في: هود 61/142/ النمل 45.

تكرّر في غير آية كقوله تعالى أخاهم شعيب: ﴿وَالِى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَنِقَمُوا
 أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ۗ فَأَوْفُوا
 الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ
 إِصْلَاحِهَا ۗ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۗ﴾¹. وأخوهم لوط في قوله
 تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ﴾².

و(أخا عاد) في قوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ
 الْأَنْدُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ ۗ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
 عَظِيمٍ ۗ﴾³. كما وردت الأخ بمعنى الصاحب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ
 وَتِسْعُونَ نَعَجَةً ۖ وَإِلَى نَعَجَةٍ وَاحِدَةٍ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ۗ﴾⁴.

أما الأخوة الإيمانية فقد وردت في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا
 بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۗ﴾⁵ فليس المؤمنون إلا إخوة، جمعهم رابطة
 الإيمان، فلا أخوة بين مؤمن وكافر، فأخوة الإسلام أقوى من أخوة النسب؛ بحيث لا تعتبر أخوة
 النسب إذا خلت عن أخوة الإسلام، فأصلحوا بين إخوانكم المؤمنين ولا تتركوا الفرقة تدب
 والبغضاء تعمل عملها فيما بينكم.

¹ الأعراف: آية 85. ونفس الدلالة في: هود/84 العنكبوت/36.

² الشعراء: آية 161.

³ الأحقاف: آية 21.

⁴ ص: 23.

⁵ الحجرات: آية 10. ونفس الدلالة في: البقرة 178 البقرة 220 التوبة 11 الحجر 47 مريم 28 الأحزاب 15 الحشر

10 الحجرات 12.

والنوع الأخير من الأخوة هي الأخوة الشيطانية كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿١﴾﴾¹ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِنُفُوسِهِمْ إِذَا أَصَابَهُمُ الشَّيْطَانُ يُوَسْوِسُ لَهُمُ الْغِيَّ فَتَذَكَّرُوا عِقَابَ اللَّهِ وَتَوَابَهُ فَيُصِرُونَ الْحَقَّ، لَكِنَّ إِخْوَانَهُمُ الشَّيْطَانِيَّةَ يَزِيدُونَ لَهُمْ سَبِيلَ الضَّلَالِ.

ثالثاً: جماعات القرابة غير المباشرة للإنسان: عمّ / عمّة، خال/ خالة، جدّ، حفيد.

يضمّ هذا المجال الألفاظ الدالة على القرابة غير المباشرة للإنسان وهي:

عمّ - عمّة:

تشير هاتان الكلمتان إلى تناقض في الجنس لعلاقة بالأب. فالعمّ هو أخو الأب/ والجمع أعمام، وعموم وعمومة مثل بعولة. وأدخلوا فيها الهاء للتأنيث، فالأنثى عمّة. ورجل عمّ: كريم الأعمام، واستعم الرجل عمّاً/ اتّخذ عمّاً. وتعمّمه: دعاه عمّاً². وابن العمّ: الذكّر المولود لشقيق الأب. وابنة العمّ: الأنثى المولودة لشقيق الأب.

وجاءت في القرآن الكريم (بنات عمك) و(بنات عماتك) في ذكر الله للنبي محمد صلى الله عليه وسلم أنواع النساء اللاتي أباحهنّ له، في قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ

¹ الأعراف: آية 201-202. ونفس الدلالة في: الأعراف-38/الإسراء-27/الحشر-11.

² ينظر: ابن منظور: لسان العرب: 12 \ 425. مادة (عمم).

الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا
يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝¹.

وجاءت مسبوقة بكلمة (بيوت) لتخصيصها ببيوت الأعمام وبيوت العمّات، وبيوت
الأخوال وبيوت الخالات، وهذا في سياق ذكر البيوت التي لا حرج في أن تأكلوا أو يأكل
الضعفاء منها، وقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى
الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ
بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ
بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتْمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ
صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُمْ
بُيُوتًا فَاسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ
اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝².

خَال / خَالَةٌ:

الخال هو أخو الأم، واللفظة تدلّ على تعهد الشيء، ومنه خولك الله مالا: أعطاكه.
والخالّة أختها، يقال: خال بين الخوولة، وبينني وبين فلان خوولة، والجمع أخوال وأخوولة³.

جاءت مسبوقة ببنات (بنات خالك) و(بنات خالاتك) كما في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ
إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ الَّتِي ءَاتَيْتَ أَجُورَهُنَّ ۚ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ

¹ الأحزاب: آية 50.

² النور: آية 61.

³ ينظر: ابن فارس: مقاييس اللغة: 2/230. مادة (خول). والزيدي: تاج العروس من جواهر القاموس: 445/28. وابن
منظور: لسان العرب: 11/224. مادة (خول).

عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَالَتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ
 مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً
 لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ
 أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١﴾

حَفِيد:

هو ولد الولد. وَحَفَدٌ يَحْفُدُ حَفْدًا خَفَّ الْعَمَلُ وَأَسْرَعَهُ وَخَدِمَ. وَحَفْدَةُ الرَّجُلُ: بِنَاتُهُ وَقِيلَ
 أَوْلَادُ أَوْلَادِهِ وَقِيلَ: الْأَسْهَارُ، وَالْجَمْعُ حَفْدَاءٌ²، ذَكَرْتُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ
 أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ
 أَفَبِالْبِطْلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾³ حَيْثُ يَذْكُرُ اللَّهُ نِعْمَهُ عَلَى عِبِيدِهِ؛ بِأَنْ
 جَعَلَ لَهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ أَزْوَاجًا مِنْ جِنْسِهِمْ وَشَكْلِهِمْ، وَلِهَذَا حَصَلَ الْإِتِّلَافُ وَالْمُودَّةُ وَالرَّحْمَةُ، وَمِنْ
 رَحْمَتِهِ خَلَقَ مِنْ بَنِي آدَمَ الذَّكَورَ، وَجَعَلَ الْإِنثَاءَ أَزْوَاجًا لَهُمْ، ثُمَّ جَعَلَ مِنَ الْأَزْوَاجِ الْبَنِينَ، وَأَبْنَاءَ
 الْبَنِينَ يَحْفَدُونَ فِي مَصَالِحِهِمْ وَيُعِينُونَهُمْ، أَوْ الْبَنُونَ أَنْفُسَهُمْ خَدَمًا لَهُمْ⁴.

رَابِعًا: الْأَلْفَاظُ الدَّالَّةُ عَلَى الْقَرَابَةِ بِالْعُرْفِ وَالْقَانُونِ:

وتضم هذه المجموعة: زَوْجٌ / بَعْلٌ / عَشِيرَةٌ.

¹ الْأَحْزَابُ: آيَةٌ 50.

² يَنْظُرُ: ابْنُ مَنْظُورٍ: لِسَانُ الْعَرَبِ: 3 / 153. مَادَّةُ (حَفْدٌ).

³ النَّحْلُ: آيَةٌ 72.

⁴ يَنْظُرُ: الرَّمَّخَشَرِيُّ: الْكَشَافُ: ١2 / 579.

الزَّوْجُ:

يوضِّح ابن فارس دلالة الجذر (ز و ج) بقوله: "الزاء والواو والحيم أصل يدل على مقارنة شيء لشيء، من ذلك الزَّوْجُ زوج المرأة، ويطلق على النمط الذي يُطرح على الهودج زَوْجٌ، لأنَّه زوج لما يُلقى عليه"¹. ومما ورد في أشعارهم قول لبيد بن ربيعة²: (البحر الكامل)

من كلِّ محفوف يظلَّ عصيه زوج عليه كِلَّةٌ وقرامها

فالزَّوْجُ خلاف الفرد. يقال: زَوْجٌ أو فرد، والأصل في الزَّوْجِ الصَّنْفُ والنَّوع من كل شيء، وكلُّ شَيْئَيْنِ مقترنين شكليين كان، أو نقيضين فهما زَوْجَانِ، وكلُّ واحدٍ منهما زَوْجٌ، فالرَّجُلُ زَوْجُ الْمَرْأَةِ وهي زوجه وزوجته³، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾⁴.

فقد جعل الله سبحانه وتعالى الزَّوْجِيَّةَ في الإنسان كما في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾⁵ وبين للإنسان أنَّ للزَّوْجِ صِدَاقًا أي مهراً يُقدِّم للعروس كما في قوله تعالى: ﴿وَأْتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً﴾⁶ فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا أَي أعطوهنَّ مهورهنَّ عن طيب أنفسكم، فإن وهبن لكم شيئاً من الصَّدَاقِ، وتجافت عنه نفوسهنَّ طيبات فخذوهم حلالاً طيباً.

¹ ابن فارس: مقاييس اللغة: 3513. مادة (زوج).

² ابن ربيعة: لبيد: ديوانه. شرح الطوسي. قدمه ووضع هوامشه وفهارسه: حنا نصر الحنم. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي. 1993. ص 206. والمعنى: أي من كلِّ هودج خُفَّ بخشبه، والزَّوْجُ: النمط. الكِلَّةُ: السِّتْرُ الرِّقِيقُ، القرام: ثوب يجعل تحت الرَّجُلِ ولامرأة.

³ ينظر: ابن منظور: لسان العرب: 2912. مادة (زوج).

⁴ الذَّارِيَات: آية 49.

⁵ النَّبَأُ: آية 8. ونفس الدلالة في: البقرة 35.

⁶ النَّسَاءُ: آية 4. ونفس الدلالة في: النَّسَاءُ 24-25 المائدة 15 القصص 27-29 الأحزاب 150 الممتحنة 10.

لقد شرع الله تعدد الزوجات وأمر بالعدل فيما بينهما، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْلَىٰ مَا تُنكِحُونَ﴾¹ فإن خفتُم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا² أي إن خفتُم ألا تعدلوا في يتامى النساء إذا تزوجتم بهن؛ فتزوجوا ما طاب لكم من غيرهن إذ كان الرجل يجد يتيمة ذات مال وجمال فيتزوجها، فربما يجتمع عنده منهن عدد ولا يقدر على القيام بحقوقهن، أو إن خفتُم أن لا تعدلوا في حقوق اليتامى فتحرّجتم منها، أو خفتُم ألا تعدلوا بين النساء فانكحوا مقداراً يمكنكم الوفاء³.

وجاء على ذكر حل الخلافات بين الزوجين، كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾³ حيث سمع الله وأجاب دعاء التي كانت تتضرع إليه بتفريج كربتها، والله يسمع حديثكما ومراجعتكما الكلام، والمقصودة هنا هي خولة بنت ثعلبة.

وأما الزواج في الآخرة فورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِهِونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَآئِكِ مُتَّكُونَ﴾⁴ إن أصحاب الجنة في الجزاء مشغولون بما هم فيه من اللذات والنعم عن التفكير بأهل النار، يتلذذون بالحوار العين وبالأكل والشرب والسماع للأوتار، هم وزوجاتهم في ظلال الجنة الوارفة متكئون على السرر المزينة بالثياب والستور.

¹ النساء: آية 3.

² ينظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي: 2 / 141.

³ المجادلة: آية 1.

⁴ يس: آية 55-56. ونفس الدلالة في: الدخان ١54 الطور ١20 الرعد ١23 النساء ١57 آل عمران 15.

وهكذا فقد وردت كلمة (زوج) مفردة سبع عشر مرّة، ومثناة سبع مرات، ومجموعة اثنتين وخمسين مرّة.

بَعْلٌ:

بَعْلُ الشَّيْءِ: رَبُّهُ وَمَالِكُهُ، وَبَعْلٌ وَبَعْلٌ: صَنَمٌ؛ وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِعِبَادَتِهِمْ إِيَّاهُ كَأَنَّهُ رَبُّهُمْ، وَوَرَدَتْ بِهَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ"¹ أَي تَدْعُونَ رَبًّا سِوَى اللَّهِ. وَسُمِّيَ زَوْجَ الْمَرْأَةِ بَعْلًا لِأَنَّهُ سَيِّدُهَا وَمَالِكُهَا، وَبَعْلٌ يَبْعَلُ بَعْلًا إِذَا صَارَ بَعْلًا لَهَا، وَجَمَعَهَا بَعَالٌ وَبُعُولٌ وَبُعُولَةٌ، وَيُقَالُ لِلْمَرْأَةِ هِيَ بَعْلَتُهُ وَبَعْلُهُ. هُوَ زَوْجُ الْمَرْأَةِ وَمَنْ تَلَزَمَكَ نَفَقَتَهُ².

والبعل الأرض المرتفعة التي لا يصيبها مطر إلا مرّة واحدة في السنّة، قال سلامة بن جندل:

إذا ما علونا ظهر بعل عريضة تخال عليها قبيض بيض مفلق
ذكرت هذه اللفظة في القرآن الكريم في قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ³ وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ⁴ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا⁵﴾ وفيه إخبار عن حال الزوجين تارة في حالة نفور الزوج، وتارة في اتفاقهما، وهنا إذا خافت المرأة من زوجها نفوراً أو إعراضاً فلها أن تسقط عنه حقها أو بعض حقها في أي شيء في النفقة أو البيت للإصلاح. وجاءت مسبوقه بأبواب بعولتهن وأبناء بعولتهن كما في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَكَحَفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا

¹ الصّافّات: آية 125.

² ينظر: الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس: 28 | 96. مادة (بعل).

³ النّساء: آية 128. ونفس الدلالة في: الصافات 125 | هود 72.

يُبَدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبَنَّ خُمُرَهُنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاؤِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبَنَّ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا تُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ¹ فذكر الله الزينة وأراد بها موضع الزينة، وفيها نهي عن إبدائها إلا للأزواج أو آبائهن وبعض ذوي الرحم المحرم، وهم: آباء أزواجهن وهو أبو الزوج، وأبنائهن وأبناء أزواجهن والأخوة وأبنائهم وبنات الأخوات.

العشير:

يطلق على زوج المرأة، وسمي بذلك لأنه يعاشرها وتعاشره كالصديق والمصدق². " وقول النبي محمد صلى الله عليه وسلم: إنك أكثر أهل النار، فقيل: لم يا رسول الله؟ قال: لأنك تكثرن اللعن، وتكفرن العشير³ والعشير الزوج.

لم ترد هذه الكلمة في القرآن الكريم بمعنى الزوج، وإنما جاءت بمعنى الصاحب في قوله تعالى: ﴿يَدْعُوا لِمَنْ ضُرُّهُ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ⁴ لِبَيْتِ الْمَوْلَىٰ وَلِبَيْتِ الْعَشِيرِ⁴﴾ فهو يعبد الأوثان والأصنام، وضرها في الدنيا بالخزي والذل، أسرع من نفعها الذي يتوقعه لعبادته، وهو الشفاعة له يوم القيامة، فيبئس الناصر وبيئس القريب والمصاحب⁵.

¹ النور: آية 31.

² ابن منظور: لسان العرب: 4 574. مادة (عشر).

³ البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل: الجامع الصحيح المختصر. ط1. بيروت: دار الفكر. 2001. 1 \ 116.

⁴ الحج: آية 13.

⁵ ينظر: الرازي: التفسير الكبير: 123 \ 14.

وهكذا، فقد أتت الباحثة في هذا الفصل على دراسة للألفاظ الجامعة للإنسان مقسّمة في حقلين دلاليين؛ تحدّثت في الحقل الأوّل عن الألفاظ الضامنة للجنس البشري، أمّا الحقل الثّاني فتناولت فيه الألفاظ الدالّة على الإنسان وأفراده وعلاقاته القرابيّة، حيث كانت الألفاظ الضامنة للجنس البشري أقلّ عدداً من الألفاظ الدالّة على الإنسان وأفراده وعلاقاته القرابيّة؛ وفي هذا ما يدلّ على عناية القرآن الكريم بالفرد دون إهمال جماعته. وتستكمل الباحثة الحديث عن الإنسان بجزئياته في القرآن الكريم إذ تدرس في الفصل الثّالث ألفاظ أعضاء جسم الإنسان التي وردت في الكتاب العزيز.

الفصل الثالث

ألفاظُ أعضاءِ جسمِ الإنسانِ وأجزائه

المبحث الأول: أَلْفَاظُ مَكُونَاتِ جِسْمِ الْإِنْسَانِ

المبحث الثاني: أَلْفَاظُ أَعْضَاءِ جِسْمِ الْإِنْسَانِ الَّتِي تَعُدُّ مَدَاخِلَ لِلْحَسِّ

المبحث الثالث: أَلْفَاظُ أَعْضَاءِ جِسْمِ الْإِنْسَانِ الْبَاطِنَةِ

المبحث الرابع: أَلْفَاظُ أَعْضَاءِ جِسْمِ الْإِنْسَانِ الظَّاهِرَةِ

الفصل الثالث

أَلْفَاظُ أَعْضَاءِ جِسْمِ الْإِنْسَانِ وَأَجْزَائِهِ

تُعَدُّ دراسة أعضاء جسم الإنسان وأجزائه من الدراسات التي نالت حظاً كبيراً في البحوث اللغوية عند القدماء والمحدثين على السواء؛ فلم يدع اللغويون عضواً من أعضاء الإنسان أو شياً من شياته إلا وضعوا له لفظاً، فألفوا الرسائل في أسماء أعضاء الإنسان وصفاته، وتبينوا الأحوال والصفات المختلفة، التي تعتري كل عضو من أعضائه. وفي العربية من الألفاظ المتصلة بخلق الإنسان ما لا نظير له في أي لغة أخرى¹؛ فقد يضعون للعضو الواحد من جسم الإنسان ألفاظاً عدة، لكن اللغويين القدامى على كثرة ما ألفوه في أعضاء الإنسان لم يستوفوها جميعها، لا سيما الأعضاء الداخلية ما يتصل بالشرييين والعروق ودوران الدم؛ إلا أن الأطباء العرب استدرکوا كثيراً ما فات اللغويين القدامى؛ إذ وجدوا أسماء لأعضاء الإنسان الداخلية.

وقد أُلّف في موضوع خلق الإنسان جماعة من أئمة اللغة، منهم أبو عبيدة (210هـ) والأصمعي (213هـ)، وأبو زيد الأنصاري (215هـ)، والزرّاج (310هـ) والزرّاجي (415هـ)، وابن سيده والثعالبي وغيرهم.

فاللغة هي أداة الخلق والإبداع، وليست ألفاظاً مجردة من معانيها، ولا هي حجارة في جبل لا وجود لها في خاطر، بل هي معانٍ وحركات وعلاقات، وما الألفاظ إلا رموز تستعملها في التعبير عنها، وتكثر الألفاظ التي يستعملها الإنسان في حياته من حيث مدلولاتها².

ويوضّح ابن سيده دلالة العضو بقوله: "العضو هو كل عظم وافر بلحمه³، والعضة: القطعة من الشيء، وعضيتُ الشيء عضّة إذا ورّعته، وقال ابن السكيت: هو العَضُو والعِضُو

¹ ينظر: النص، إحصان: من وسائل التنمية اللغوية: الترجمة ووضع معاجم للمعاني ومعاجم متخصصة. مجلة مجمع اللغة العربية. ع 102. 2004/ص177.

² ينظر: جبر، يحيى: اللغة والحواس. نابلس: مطبعة حجاوي. 1999. ص21.

³ الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني: الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري. بيروت: مؤسسة الرسالة 1998، ص598. وابن سيده: المخصّص: 423/1.

والجمع أعضاء، وعند أبي عبيد: الشَّلْو: العضو من أعضاء اللّحم، وجمعه أشلاء. وتستعمل في غير اللّحم كأشلاء الدَّرْع واللّجام، وجمعه أشلاء، ويسمّى الورب: والجمع أوراب¹.

لقد أتيت في هذا الفصل على دراسة ألفاظ أعضاء جسم الإنسان وأجزائه الواردة في القرآن الكريم، حيث بلغ عددها ما يقارب سبعين لفظة، والتي تدخل في تركيبه وبنائه، حيث قمت وزعتها على أربعة مباحث، تناولت في المبحث الأول ألفاظ الأعضاء التي تعدّ مكونات أساسية مادية وغير مادية؛ كالدم، والجلد، والعظم، والروح، واللّحم. ودرست في المبحث الثاني ألفاظ الأعضاء التي تصنّف مداخل للحسّ، مثل: الأنف، واللّسان، واليد، والعين، والأذن، والجلد. وأفردت المبحث الثالث لمناقشة ألفاظ الأعضاء الظاهرة. كالبطن والرّجل والصّدر...، وناقشت في المبحث الرابع الأعضاء الباطنة كالرّحم والفؤاد والأمعاء والسنّ والحلق والحنجرة والقلب والوتين والوريد.

¹ ابن سيده: المخصّص: 424/1.

المبحث الأول

ألفاظ أعضاء جسم الإنسان التي تعدّ مكونات أساسية

يحتوي جسم الإنسان على أعضاء لا يمكنه الاستغناء عنها؛ ليقوم بوظيفته ويؤدي دوره في الحياة. لذا يمكن ذكرها كمكونات أساسية منها المادي المحسوس؛ كالجلد، والعظم، واللحم والدم ومنها غير المادي؛ كالروح.

الجلد:

يطلق الجلد على الغلاف الواسع المحيط بالجسم حتى يحافظ على أعضائه ويقيها العوامل الخارجية كالبرد والحرّ والجراثيم وغيرها، ويحتوي على سلسلة أجهزة عصبية¹.

ويدلّ الأصل اللغوي (ج ل د) على القوّة والصلابة²، و"الجلد بالكسر: ج أجلاذ وجلود، والجلدة أخصّ من الجلد، والجلد من الحيوان: ظاهر بشرته، وفي التهذيب: الجلد غشاء جسد الحيوان. ويقال جلدة العين، وأجلاد الإنسان وتجاليده: جماعة شخصه أو جسمه وبدنه؛ لأنّ الجلد محيط بهما. ويقال: فلان عظيم الأجلاد والتجاليد: إذا كان ضخماً قويّ الأعضاء والجسم"³. والجلد: القوّة، والجلد والجلد مثل شبيهه وشبهه، وما صلّب من الأرض: نقول: أرض جلدة، ومكان جلد. والجلد والجرد: الأرض المستوية الصلبة الجرداء⁴، وجاءت الجلد بهذا المعنى في مدح النابغة الذبيانيّ للنعمان⁵:
(البحر البسيط)

إلا الأوراريّ لأيّما ما أبيضها والنؤي كالحوض في المظلومة الجلد

¹ ينظر: المطّ، محمد فايز: الجسم البشري: ج 1. ط 1. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1989. ص 518.

² ابن فارس: مقاييس اللغة: 471/1. مادة (ج ل د).

³ الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس: 506/7. مادة (ج ل د).

⁴ ينظر: القيرواني، أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي: العشرات في اللغة. تحقيق: يحيى عبد الرؤوف جبر. سلسلة أسفار العربية "2". 1984. ص 49.

⁵ النابغة الذبيانيّ: ديوانه. اعتنى به: حمدو طمّاس. بيروت: دار المعرفة. ط 2. 2005. ص 32. الأوراري جمع آري، وهي محابس الخيل ومرابطها. والنؤي: حاجر من تراب يصنع حول الخباء لئلا يدخله السيل. والمظلومة هي الأرض التي لم تمطر فجاها السيل فملاها. والجلد الأرض الصلبة القاسية.

شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٦٦﴾ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَوُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ ﴿٦٧﴾¹ في الآية حديث عن الكافرين إذا حضروا النار، فقد كانوا يستترون بالحيطان والحجب عند ارتكاب الفواحش، وما كان استنثارهم خيفة أن يشهد عليهم جوارحهم؛ لأنهم كانوا غير عاملين بشهادتها عليهم، وكانوا جاحدين البعث والجزاء، ومن المفسرين من قال إن الجلود بمعنى الفروج².

ويذيق الله هؤلاء الكافرين آيات الله أنواعاً من العذاب يوم القيامة، منه ما ورد في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾³ حيث يبدل الله جلودهم جلوداً غيرها بيضاء أمثال القراطيس، وقيل: يجعل للكافر مائة جلد، بين كل جلدَيْن لون من العذاب، وقيل: تتضج في اليوم سبعين ألف مرة. والسبب في تبديل جلود الكافرين بغيرها؛ ليدوقوا العذاب طيلة وجودهم في النار، فالأعصاب التي تحسّ الألم توجد في الجلود⁴. وذكر الله نوعاً آخر من العذاب الذي يذيقه للكافرين في قوله تعالى: ﴿يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾⁵ وهذا العذاب يكون بصبّ الماء الحارّ المغلي بنار جهنّم على رؤوسهم، حتى يُذاب ما في بطونهم من الأمعاء والأحشاء مع الجلود⁶.

الشُّوَاة:

تُطلق على جلد فروة الرأس، وجمعها شَوَى⁷. وفي ذلك قال الأفوه الأوديّ في انتصار قومه على عرب الشمال⁸:
(بحر الرّمْل)

¹ فصّلت: آية: 20، 21، 22.

² ينظر: الزّمخشري: الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: 201/4.

³ النساء: 56.

⁴ ينظر: في القرآن مدلول، محمد طالب: الحواسّ الإنسانية الكريم. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية. 2007. ص122.

⁵ الحج: 20

⁶ ينظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي: 120/4.

⁷ الرّبّعي، عيسى بن إبراهيم بن محمد: نظام الغريب في اللّغة. ط2. القاهرة: مؤسسة الكتب الثقافية. 1987. ص4-5.

⁸ الأفوه الأوديّ: ديوانه. شرح وتحقيق: محمد التونجي. بيروت: دار صادر. ط1. 1998. ص72.

إِنْ تَرَىٰ رَأْسِي فِيهِ قَزَعٌ وَشَوَاتِي خَلَّةٌ فِيهَا دُورٌ
وتطلق الشَّوَاةُ أيضاً على قَصَبِ اليدين والرجلين من البهائم، يقال: فرس عبل الشَّوَى:
أي شديد أو ضخم القوائم، وهي أيضاً الشَّوَامَتُ، قال النَّابِغَةُ الذَّبْيَانِيَّ يَصِفُ ثُورَ وَحْشٍ¹:
(البحر البسيط)

فَارْتَاعَ مِنْ صَوْتِ كَلَابِ فَبَاتَ لَهُ طَوَعَ الشَّوَامَتِ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ صَرَدٍ
وردت مرّة واحدة في القرآن الكريم في سياق الحديث عن العذاب في نار جهنم للكافرين
في قوله تعالى: ﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَى﴾².

الدَّم:

هو السائل الأحمر الذي يجري في عروق الجسد وأوردته، وأحد أخلاط البدن، وأدْمِيَّتُهُ:
إذا ضربته حتى يخرج منه الدم. وثوبٌ مَدْمِيٌّ أحمر بلون الدم، وبالرَّجُوعِ إلى دلالة الجذر (د م
ي) فقد وضَّح ابن منظور هذا بقوله: "دَمَ الشَّيْءُ يَدْمُهُ دَمًا، إِذَا طَلَاهُ، وَمِنْ ذَلِكَ دَمَمْتُ الْقَدْرَ
بِالطَّحَالِ أَوْ بِالِدَمِّ دَمًا إِذَا طَلَيْتَهَا لِتَصْلِحَهَا بِهِ"³. وَيُسَمَّى دَمُ الْجَوْفِ الْبَخِيعَ، وَدَمُ الْأَخْوَيْنِ الْعَنْدَمَ،
وَدَمُ الْقَلْبِ الْمُهْجَةَ، وَالدَّمُ الَّذِي يَسِيلُ مِنَ الْأَنْفِ الرَّعَافُ⁴. ورد دم الإنسان في قوله
تعالى: ﴿وَجَاءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا⁵ مَخْبِرًا
مَخْبِرًا عَنْ أُخُوَّةِ يُوسُفَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- عِنْدَمَا رَجَعُوا إِلَىٰ آبِيهِمْ حَيْثُ جَاءُوا بِدَمٍ مَكْذُوبٍ مَفْتَرِي،
إِذ لَطَّخُوا ثُوبَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِدَمِهَا مُوَهِّمِينَ أَنَّ هَذَا قَمِيصَهُ الَّذِي أَكَلَهُ الذَّنْبُ وَقَدْ أَصَابَهُ مِنْ
دَمِهِ⁶.

¹ النَّابِغَةُ الذَّبْيَانِيَّةُ: دِيوَانُهُ. ص 33. الشَّوَامَتُ: الْقَوَائِمُ. الصَّرَدُ: شِدَّةُ الْبُرْدِ.

² الْمَعَارِجُ: 16.

³ ابن منظور: لسان العرب: مادة (د م ي): 206 / 12.

⁴ ابن سيده: المخصص: 482/1.

⁵ يوسف: 18.

⁶ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 472 / 2.

لقد أنكر الله على اليهود في المدينة، وما كانوا يعانونه من القتال مع الأوس والخزرج الذين كانوا عبّاد أصنام، ويهود المدينة كانوا يتحالفون فريق مع الأوس وفريق مع الخزرج. وكانت بينهم حروب كثيرة، فإذا نشبت الحرب بينهم قاتل كل فريق مع حلفائه، وقد يقتل اليهودي يهوديًا من الفريق الآخر، وذلك حرام عليهم في دينهم، حيث يخرجونهم من بيوتهم وينتهبون ما فيها من الأثاث في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ﴾¹.

الرُّوح:

خلق الله الإنسان من جسد وروح، حيث يمثّل الرُّوح الجانب المعنوي والجوهري في خلق الإنسان، وهو هبة الله للإنسان والذي صار به إنساناً، تمييزاً له وتكريماً على كثير ممّن خلق، ولا يقوم كيان الإنسان إلا بهذا العنصر الربّانيّ، فالرُّوح من الأمور التي حار فلاسفة البشرية وعلماءها في أمره، وعجزوا عن تحديد ماهيّته، فيكفي القول إنه أمرٌ ربّانيّ. ويشير يحيى جبر أنّ الرُّوح جوهر الحياة، مشتقّ من المادّة "روح"، التي منها "الريح" وأصل هذه "الرُّوح" حيث قلبت الواو ساكنة ياء لكسر الراء قبلها، ويتضح ذلك في صيغة الجمع "أرواح" حيث هي جمع "رُوح" الإنسان ونحوه، وجمع "ريح" التي هي الهواء المتحرك بقوة².

لقد تميّز الإنسان بالرُّوح عن كثير من مخلوقات الله الأخرى، من أجل ذلك كان للجسد الإنساني في القرآن الكريم قدسيّته وحرّمته، ويصبح حلالاً للزّوج عندما يعقد الشرع الرّباط المقدّس بينهما، وتتحوّل المحرّمات إلى أمور يُندب فعلها، فتصبح المعاشرة الزوجيّة عبادة وطاعة لله عزّ وجلّ في علاه³.

¹ البقرة: 84.

² جبر، يحيى: اللّغة والحواس. 22.

³ ينظر: طبيشات، محمد الشيخ عايد: الإنسان في القرآن الكريم: طبيعته ومنزلته في الكون وصلاته الوجودية وقيّمته ومصيره. ط3. 1998. ص22.

ويُسمَّى الغزالي الرُّوح " اللطيفة الربانية التي تحلّ في الجسم وتقيم فيه، والرُّوح لمن عرفها موجودة، قائمة بذاتها فلا هي عرض ولا هي مادة من عالم الخلق، وهي ليست في داخل البدن، كما أنها ليست خارجة عنه، ولها علاقة خاصّة بالقلب الجسماني للإنسان"¹.

وقد صنّف التستري لفظة الرُّوح بأنها " تدلّ على مذكّر، فإذا وُجِدَتْ مؤنّثاً فإنّما يعني به النّفس، كما يقال: حلّبت بعيري يعني ناقتي"². يقصد بالرُّوح الرّحمة، كما في الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: "سمعت رسول الله يقول: الرّيح من روح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب، فإذا رأيتوها فلا تسبّوها، واسألوا من ضرّها واستعيذوا من شرّها"³. ولعلّ الجامع بين الرُّوح والرّيح ما بيّنه ابن فارس من دلالة الجذر (ر و ح) بقوله: "أصلٌ كبيرٌ مطّرد يدلّ على سعة وفُسحة، وأصل ذلك كلّه الرّيح، وأصل اليباء في الرّيح الواو؛ فالرُّوح روح الإنسان، والرُّوح نسيم الرّيح"⁴. وفي الحديث: "تحابّوا بذكر الله وروحه"⁵ أراد به القرآن.

وجاءت الرُّوح في القرآن الكريم على عدّة أوجه؛ فقد تدلّ الرُّوح على الوحي، وقد يُراد بها الرّحمة، وتدلّ على الثّبات والقوّة والنّصر، وجاءت الرُّوح بمعنى القرآن الكريم. لقد سأل اليهود الرّسول عن الرُّوح التي يحيا بها بدن الإنسان، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾⁶، فأجيبوا أنّها من أمر الله.

إنّ استقراء آيات القرآن الكريم يدلّ على أنّ الرُّوح تمثّل الجانب المعنوي من الإنسان، أمّا النّفس فتشمل ماهيّة الإنسان الماديّة والمعنويّة، وتعني ذاته بعامّة، ففي قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ﴾⁷ فقد عبّر الله عن كيان

¹ عيسى، علي عيسى: الإنسان عند الغزالي. تعريب: خيرى حماد. مصر: مكتبة الأنجلو المصرية. 1964. ص 109.

² التستري، سعيد بن إبراهيم: المذكّر والمؤنّث. ص 2.

³ سنن أبي داود: 326/4.

⁴ ابن فارس: مقاييس اللّغة. مادة (ر و ح): 454/2.

⁵ الجزري: النّهاية في غريب الحديث والأثر: 272/2.

⁶ الإسراء: 85.

⁷ البقرة: 48.

الإنسان المزدوج بالنفس، وسيحاسب بجسده وروحه، كما أنّ النفس يقع عليها الموت عكس الروح التي لا يمكن أن يقع عليها الموت. فالمرات التي ذكرت بها لفظة النفس في القرآن الكريم تفوق بكثير المرات التي وردت بها لفظة الروح¹.

العظم:

العظم عمود البدن وبه قوامه وأصل بنائه، وهو القصب الذي عليه اللحم، والجمع عظام وأعظم وعظامه ويبيّن الزبيدي أنّ "العظم يُقال له العظم بالضم وإهمال الطاء، عظم الشيء: لبّه وأساسه، والعظم خلاف الصغر، عظم يعظم عظمًا، والعظيم في صفات الأشياء: الكبير الضخم"². من هنا جاءت العظمة لعلاقة بالقوة والضعامة.

وردت هذه اللفظة في الفصل الأوّل باعتبارها مرحلة من مراحل خلق الإنسان، ولكن يتم تناولها في هذا الفصل على أنّها عضو ومكوّن أساسي من مكوّنات جسم الإنسان، فالعظم يضعف في جسم الإنسان عند كبر سنّه، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾³ والقول هنا على لسان زكريّا عليه السلام.

أمّا في قوله تعالى: ﴿أَتَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعُ عِظَامَهُ﴾⁴ فجاءت في سياق

الاستفهام الإنكاري أيحسب الإنسان أننا غير قادرين على جمع عظامه بعد تفرّقها؟!

اللحم:

هو الجزء الرخو الذي يكسو العظم، ويقع بينه وبين الجلد، و"اللحم واللحم: جمعها لحم ولحوم ولحمان، رجل لحيم ولحم: كثير لحم الجسد"⁵. وقد وردت في الحديث الشريف:

¹ طبيشات: الإنسان في القرآن الكريم: طبيعته ومنزلته في الكون وصلاته الوجودية وقيمه ومصيره. ص18.

² الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس: مادة (عظم): 112/33.

³ مريم: 4.

⁴ القيامة: 3. ووردت الدلالة نفسها في: النازعات 11، الواقعة 47، الصافات 16، الصافات 53،.. وغيرها.

⁵ ينظر: ابن سيده: المخصّص: 425/1.

إنَّ الله يبيغض البيت اللَّحْمِ وأهله¹ إنّما أراد الذي تُؤكل فيه لحوم النَّاس أخذاً، وهو على المجاز. ويدلّ الأصل " ل ح م " على تَدَاخُل، ومنه الحَرْبُ مَلْحَمَةٌ؛ لِتَلَاخُمِ النَّاسِ، ويكون القتلى كاللَّحْمِ المَلْقَى². ومنه لحام الحديد للتداخل بشدّة.

لقد ارتبطت لفظة اللَّحْمِ في القرآن الكريم بدلالات إيجابية، كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾³ النّشز بمعنى الارتفاع، وتركيبها فوق بعضها البعض، والحديث هنا عن حمار العزيز⁴. وهذا سبق الحديث عنه في الفصل الأوّل لكون هذه اللفظة تدلّ على مرحلة من مراحل تخلّق الجنين في بطن أمّه. كما ارتبطت بدلالات سلبية كما في قوله تعالى: ﴿أَتُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾⁵، فَكَرِهْتُمُوهُ⁵، لقد رسم الله صورة منفرة لمن يستغيب أخاه، حيث شبّهه بالذي يأكل اللّحم من الإنسان الميت.

¹ الزّمخشري، محمود بن عمر: الفائق في غريب الحديث. تحقيق: علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. لبنان: دار المعرفة. ط2. 3/ 311.

² ابن فارس: مقاييس اللّغة. مادة (لحم): 5/ 239.

³ البقرة: 259.

⁴ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. 1/ 315.

⁵ الحجرات: 12.

المبحث الثاني

ألفاظ أعضاء جسم الإنسان التي تعدُّ مداخل الحسّ

خلق الله الإنسان وكرّمه بالعقل، والحواسّ تلك الدُّرر الثّمينة في جسمه، فهي آلات حسّيّة خمس هي: العين، الأذن، الأنف، اليد، والفم، وذلك أنّ كلّ واحد منها عضو في جسم الإنسان، ويجمع بينها الإحساس، وتشكّل هذه الحواسّ همزة الوصل بين الذات والعالم، ويكتسب الإنسان عن طريقها كافّة المعارف.

اختلف الفلاسفة في عدد الحواسّ، وأكثروا من الدراسات عن ماهيّة النّفس وعلاقتها بالحواسّ، وميّزوا أفعال الحواسّ من أفعال العقل¹. والحواسّ هي المشاعر والمدارك والقوى الحاسّة، والقوى المدركة وآلات الحسّ².

العين:

تعدّ العين آلة الإبصار، و"أخطر الحواسّ كافّة، فهي مؤنس الإنسان ومنبع جماله، حيث ترتبط بالدماغ بخمسة وعشرين عصباً، بينما ترتبط حاسة السّمع بعصب واحد، لذا تعتبر من أدقّ الحواسّ في نقل المعرفة، إذ تتحرّك في موضعها فتدرك ما يقع عن جانبيها، ممّا يمنحها القدرة على إدراك أشياء أكثر، أمّا الحواسّ الأخرى فلا تتحرّك أداؤها، وإنّما تستوعب ما يسعى إليها من صوت أو رائحة"³. ويذهب يحيى جبر إلى تشبيه العين في جسم الإنسان بالشمس في الكون الصغير، بل إنّها العين الأكبر؛ لأنّ الشّمس تخدم العين بشروقها فتستتير سبيلها، وهذا تأكيد لقول الفلاسفة إنّ الإنسان هو الكون الأكبر وما يقع خارجه حتى الأفلاك هو الكون الأصغر⁴.

¹ الأسمر، سهام محمد أحمد: ألفاظ العقل الجوارح في القرآن الكريم: دراسة إحصائية دلالية. جامعة النجاح الوطنية. نابلس. 2007. ص 10.

² ينظر: اليازجي، إبراهيم: نُجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد. وقف على طبعه وضبطه: نديم آل ناصر الدين. ط2. بيروت: مكتبة لبنان. ص 26.

³ جبر، يحيى: اللّغة والحواس. ص 31.

⁴ السابق نفسه. ص 58.

وللعين معان مختلفة؛ فهي عين الإنسان وغيره، أي الجارحة، والعين مصدر: عنتُ الرَّجُلُ أُعِينَهُ عَيْنًا إِذَا أُصِبَتْهُ بِالْعَيْنِ، وعين الشمس شعاعها الذي لا تثبت العين عليه، فقد قيل إن معاني العين زادت عن المئة وتصنف العين ضمن ما في بدن الإنسان من المؤنث¹.

كما تدلّ على الإكرام والحفظ، فيقال: أنت على عيني، كما تستعمل للدلالة على الشرف والفضل: أعيان القوم وأشرفهم. وقد ذكرت العين في القرآن الكريم ستاً وخمسين مرّة، ولم تقتصر دلالة العين في القرآن الكريم على وجه واحد، بل تعددت معانيها ودلالاتها؛ فقد وردت بمعنى العين الباصرة، ودلت على عين الماء، كما ذكرت العين بمعنى النهر، ودلت على القلب.

الأذن:

إنّ العضو المسؤول عن السمع في جسم الإنسان هي الأذن، ذلك الجهاز الرباني المعقّد في خلقه وإبداعه، إذ تعدّ آية شاهدة على مبدعها الخلاق العليم.

يؤصل ابن فارس دلالة الجذر: (أ ذ ن) بقوله: "الهمزة، والذال والنون أصلان متقاربان في المعنى متباعدان في اللفظ، أحدهما أذن كل ذي أذن، والآخر العلم والإعلام، وعنهما يقرّع الباب كلّه، فأما التقارب فبالأذن يقع علم كلّ مسموع، والأذن عروة الكوز، وهذا مستعارة². ويضيف الزبيدي بقوله: "هي المقبض والعروة من كلّ شيء، كأذن الكوز والدلو"³. فهي الأذن والأذن وجمعها آذان⁴. وما يؤكد العلاقة القويّة بين الأذن والعلم أنّ العرب اشتقت من (الأذن) مفردات أوقعتها على معاني العلم والإعلام، فلا قيمة لجهاز النطق في الإنسان ما لم تكن هناك آذان تسمع⁵.

لقد جاء القرآن الكريم على ذكر الأذن في مواضع كثيرة؛ منها كونها الأداة التي يستقبل بها الإنسان المواعظ والتشريعات والأخبار التي جاء بها أنبياء الله ورسله عليهم السلام، لصلتها

¹ القيراوني: العشرات في اللغة. ص 218-219.

² ابن فارس: مقاييس اللغة: مادة (أذن): 75/1.

³ الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس. مادة (أذن): 169/34.

⁴ ابن سيده: المخصّص: 87/1.

⁵ ينظر: جبر، يحيى: اللغة والحواس: ص 74.

الوثيقة بالقلب، الذي يعدّ وعاء العلم والمعرفة، والأذن هي الرسول الموصل إليه العلم، لأنّ الحواسّ الإنسانية مرتبطة بالقلب والعقل، فالقلب ملك البدن كلّه وجميع الحواسّ تبع وخدم له، حيث يعتبر انطماس القلب وتعطله عن القيام بدوره في الإيمان والعمل الصالح طمساً لحاسة السمع، وتعطيلاً لعضو السمع عن أداء مهمته، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ ۗ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ۗ﴾¹.

لقد خلق الله لجهنم كثيراً من الإنس والجنّ، ومن صفات الإنس أن كانت لهم قلوب يفقهون بها مصالحهم الدينويّة، ولهم أعين يبصرون بها المرئيات، وآذان يسمعون بها الكلمات في الدّين، فبصيرتهم القلبية كانت مطموسة، لا يؤثّر فيها نداء الإيمان، ولا ينتفعون بشيء من هذه الجوارح².

ومن عجيب تكبّر الكافرين وعنادهم، أنّهم كانوا يجعلون أصابعهم في آذانهم كلّما دعاهم نوح عليه السّلام إلى العبادة والتّقوى، لئلا يسمعوا الحجّة والبيّنة، والمعنى هنا على سبيل المجاز، في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أُصْبِعُهُمْ فِي ءَاذَانِهِمْ وَأَسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۗ﴾³.

وبيّن ابن منظور دلالة الوقْر بقوله: "تَقَلَّ في الأذن. وقيل: هو أن يذهب السمع كلّهُ، والنقل أخفّ من ذلك"⁴. ويشكّل الوقْر في الأذن مانعاً من السّماع، وهو مانع من الإيمان وعمى في القلوب، وجاءت في قوله تعالى: ﴿إِذَا تَتَلَوٰى عَلَيْهِ ءَايَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ

¹ الأعراف: 179. والدلالة نفسها في الأعراف 195، الحجّ 46.

² ينظر، الرّازي: التفسير الكبير: 52/15.

³ نوح: 7.

⁴ ابن منظور: لسان العرب: 289/5. مادة (وقر).

يَسْمَعَهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقَرَأَ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ¹ فلَمَّا دَعَا الرَّسُولَ مُحَمَّدَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الكَافِرِينَ لِلإِيمَانِ باللهِ وَالإِسْتِمَاعِ لِلْقُرْآنِ أَعْرَضُوا وَتَوَلَّوْا مُسْتَكْبِرِينَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوهَا، كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِمْ وَقَرَأَ.

لقد أخبر الله عن إيذاء المنافقين للرسول بالكلام فيه، حيث يقولون هو أذن، أي الرجل الذي يُصدِّق كل ما يسمع، ويقبل قول كل أحد، وسُمِّيَ بالجارحة آله السماع، بل الرسول محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُذن في الخير والرحمة، وفيما يجب سماعه وقبوله، وليس بأذن في غير ذلك، فالنبي صاحب خلق عظيم، يصغي لكل من يتكلم معه إلا المنافقين لوقاحتهم وسوء أدبهم².

فالأذن وسيلة اتصال الإنسان بالعالم الخارجي، حيث يعرض القرآن الكريم قصة أصحاب الكهف في قوله تعالى: ﴿إِذْ أَوْىءَ الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾³ فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً³ في هذه الآية يخبر القرآن الكريم عن قصة أصحاب الكهف، وهم الفتية الذين فروا بدينهم، وانعزلوا عن الناس، خوفاً من الفتنة، فسكنوا الكهف وأنامهم الله في سبات عميق، قُدر بثلاث مائة وتسع سنين، إذ ضرب عليهم حجاباً يمنع السماع، فأنامهم إنامة تامة ثقيلة، لم تنبهم فيها الأصوات. وهذه الآية من فصیحات القرآن الكريم التي أقرَّ العرب بالقصور عن الإتيان بمثلها، وخصَّصت الأذن دون سائر الحواس؛ لأنها الجارحة التي منها عظم فساد النوم.

وقد وردت (الأذن الواعية) في موضع واحد من آيات القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيهَا أُذُنٌ وَّاعِيَةٌ﴾⁴ أي وأبقى الله لنا من جنس السفينة ما نركب به البحر فتذكر هذه النعمة وتعيها أذن واعية حافظة، "قال رسول الله: سألت ربي أن

¹ لقمان: 7، والدلالة نفسها في: فصلت: 5، الأنعام: 25، الإسراء: 46، الكهف: 57، فصلت: 44.

² ينظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: 2/ 271.

³ الكهف: 10-11.

⁴ الحاقة: 12.

يجعلها أُنَّ عليّ، قال مكحول: فكان عليّ يقول: ما سمعت من رسول الله شيئاً قط فنسيته¹ فالوعي هو الإدراك المركز وبحفظ الحديث ونحوه، ويقال: "وعيته في نفسه"². وهذه الأذن إحساسها وإدراكها عال ومركّز، وهذه من صفات المؤمن المتعظ بمن سبقه.

فالآذان الواعية هي التي تسمع العظام والمشاهد وتبقى حاضرة في الذاكرة، فيزداد القلب إيماناً وتقوى ورهبة، أمّا الأذن البليدة فهي التي تسمع العظام لكنها لا تعي منها شيئاً فلا يعقل القلب ولا يهتدي.

اليَد:

هي الكفّ، وقيل هي من أطراف الأصابع إلى الكفّ، وبعضهم قال إنّها من المنكب إلى أطراف الأصابع، وهي أنثى محذوفة اللام، والنسب إليها يَدَوِيّ، والجمع أَيْدٍ، وَيَدِيّ وأيادٍ جمع الجمع، وقيل أكثر ما تستعمل الأيدي في النعم لا في الأعضاء³، وقال عليّ بن الغدير⁴:
(البحر الكامل)

فاعمد لما تعلقو فمالك بالذي لا يستطيع من الأمور يدان

فاستعملت اليد في الأمثال للإشارة إلى السخاء والكرم: "نديّ اليد، رحب اليدين، خطل اليدين، بسط اليدين" كما تشير إلى تعبير دالّ على الشحّ والبخل مثل: قصير اليدّ، مقفل اليد، جعد اليدين، لا تبلّ إحدى يديه الأخرى⁵. وقوله صلّى الله عليه وسلّم في الحديث: "اليد العليا خير من اليد السفلى وابدأ بمن تعول، وخير الصدقة عن ظهر غنى، ومن يستعفف يعفه الله، ومن يستغني

¹ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 4/ 414.

² الزّين، سميح عاطف: تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم. ط2. بيروت: دار الكتاب اللبناني. 1984. ص933.

³ ينظر: ابن منظور: لسان العرب: 4/9/15.

⁴ العسكري، أبو هلال: جمهرة الأمثال. بيروت: دار الفكر. 1988. 1/117.

⁵ حسام الدّين، كريم زكي،: التعبير الاصطلاحي: دراسة في تأصيل المصطلح ومفهومه ومجالته الدلالية وأنماطه التركيبية. ط1. مصر: مكتبة الأنجلو. 1985. ص146.

يغنه الله¹ أي العليا المعطية. ويقال: خرج من تحت يدي، أي علمه ورباه. وفي اليد خمسة أصابع وفي كل أصبع ثلاث سلاميات إلا الإبهام، فهو مكوّن من سلاميتين².

ذكرت كلمة (اليَد) ومشتقاتها في القرآن الكريم مائة وعشرة مرّة، والأمر الذي جعلها تتعدّى معناها الأوّل إلى دلالات مختلفة متباينة، أبعد من كونها يداً ذات أصابع وكفاً مخلوقة من لحم وعظم. فاليد هي الجارحة في الوضوء كما في قوله تعالى: "فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ"³ فذكر الله غسل اليدين إلى المرفقين باعتباره من الفرائض المنصوص عليها في الوضوء. وفي التيمم أيضاً في قوله تعالى: "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا⁴ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْغَايِبِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ⁵ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُورًا غَفُورًا"⁶.

نسبت اليد في القرآن الكريم إلى الله في سبع عشرة مرّة، فالفضل والخير والملكوت كلّه بيد الله، قال عز وجل: "قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ⁷ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ"⁸ ويرسل الله الرياح بين يدي رحمته فيرحم بها من يشاء من عباده، أي مقدمات، وهذا في قوله تعالى: "وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ"⁹. ولقد خلق الله البشر

¹ البخاري: صحيح البخاري: 518/2.

² فهمي، محمد عبد الباقي: اليد في ضوء القرآن والسنة والضمير الإنساني (عجائب وأسرار). ط1. دمشق: دار صفحات للدراسات والنشر. 2007. ص47.

³ المائدة: 6.

⁴ النساء: 43.

⁵ آل عمران: 73. و آل عمران 26، والمؤمنون 88، على الترتيب، يس 83/الملك1.

⁶ الأعراف: 57. والدلالة نفسها في: الفرقان 48/النمل 63.

جميعاً والأنعام بيده¹. إضافة إلى أن يد الله باركت ببيعة الرضوان يوم صلح الحديبية². أمّا بنو إسرائيل فقد وصفوا يد الله بأنها مغلولة؛ أي ممسكة بخيلة³. وأمر سبحانه بالأدب معه ومع رسوله، ونهى المؤمنين أن يقدّموا بين يدي الله أو يدي رسوله، أي لا يقطعوا امراص دون الله ورسوله⁴.

كان ليد موسى عليه السلام نصيب وافر من المعجزات التي أجراها الخالق على يديه، وذكرت في خمس آيات في القرآن الكريم، فهي بيضاء وإذا أدخلها في جيبه خرجت كذلك بيضاء وإذا سلكتها في جيبه تخرج بيضاء، وإذا نزعها فهي بيضاء⁵.

كما ورد ذكر يمين رسول الله ثلاث مرات في القرآن الكريم، قال عزّ وجلّ: "لِيْنُ

بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ"⁶ فهذه يد قابيل تبسط لتقتل

أخاها وتغتال روحه، لكن يد أخيه تستحي أن تمدّ حتى تدفع الأذى عن نفسها.

وردت دلالة (العضّ على اليدين) في سياق من ندم وحسرة الكافرين على ما فات من فرصة التصديق، في قوله تعالى: "وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيْتَنِي آتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا"⁷، وعضّ الأيدي كناية عن الحسرة والغیظ⁸ وتتغيّر طبيعة اليد يوم القيامة، القيامة، حيث يجعل الله لها لساناً ينطق بالحقّ ويشهد على فجور صاحبها وتتكلّم مع خالقها،

¹ ص: 75، بس 71.

² الفتح: 10.

³ المائدة: 64.

⁴ الحجرات: 1.

⁵ وردت على الترتيب في الآيات: طه 22 / النمل 12 / القصص 32 / الأعراف 08.

⁶ المائدة: 28.

⁷ الفرقان: 27.

⁸ ينظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. 3 \ 280.

وتشتكي إليه ظلم صاحبها الذي أوردها موارد الهلاك، في قوله عز وجل: "يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"¹.

وللأيدي المقطوعة نصيب من الذِّكْر في القرآن الكريم، وهي أيدي الذين آمنوا من سحرة فرعون؛ بعدما رأوا الحق بأعينهم فأمنت به قلوبهم، وكان الثمن أن تقطع أيديهم وأرجلهم كما في قوله تعالى: "لَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِمَّنْ خَلَفَ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ"² "أَجْمَعِينَ"² أو هي أيدي سارقة تستحق القطع³، أو هي يد أبي لهب⁴، أو أيدي امرأة العزيز العزيز وصديقاتها⁵.

إنَّ اليد تنبطش في الحرب وتفتك، والله قادر أن يوقف حركة أيدي الكفار فلا تؤذي المؤمنين⁶، حيث يحول بينهم وبين القتال، وهي يد تحارب أعداء الله⁷. لكن عندما تكف الأيدي تضع الحرب أوزارها⁸. والأيدي تقبض على الأسرى في الحرب⁹.

استعملت اليد في القرآن الكريم للدلالة على كل فعل الإنسان؛ لأن فعله هو نتاج عمل يديه، فنقوم الأيدي بالكتابة كما في قوله تعالى: "فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَتْ رُءُوسُهُمْ بِهِيَ ثُمَّ قَلِيلًا"¹⁰، والزراعة والإبل كما في قوله

¹ النور: 24. والدلالة نفسها في يس: 65.

² الأعراف: 124. والدلالة نفسها في: الشعراء 4/ طه 71.

³ المائدة: 38.

⁴ المسد: 1.

⁵ يوسف: 131 ويوسف 50.

⁶ الفتح: 24.

⁷ التوبة: 14. والدلالة نفسها في: التوبة 52/المائدة 11.

⁸ النساء: 91.

⁹ الأنفال: 70.

¹⁰ البقرة: 79.

تعالى: "لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ" ¹، وقاله تعالى: "يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَبْلُغَنَّهُمْ اللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ الصَّيْدِ تَنَالُهُ أَيْدِيكُمْ وَرِمَاحُكُمْ" ².

كما أنّ اليدَ مناطَ التملكِ والتصرفِ في كلِّ أمورِ الإنسان، حتى عقد الزواج، كما في قوله عز وجل: "وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ" ³. ومردّد ذلك إلى أنّ اليدَ هي آلة الإمساك فتقلب إلى معنى الملكية، كما يقال: هو في يدي؛ أي في ملكي.

إنّ رسالة محمد صلّى الله عليه وسلّم جاءت قبل قيام الساعة، والزّمان الذي بعث فيه هو الزّمان الذي قبل الساعة مباشرة؛ أي بين يدي الساعة، قال تعالى: "قُلْ إِنَّمَا أَعْطِيكُمْ بِوَأَحَدَةٍ ⁴ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ" ⁴. لقد ذكر السيوطي في كتابه "غاية الإحسان في خلق الإنسان" أنّ اليدَ هي الكفّ والأصابع ⁵ وهي أجزاء: الكفّان، والأصابع، والأنامل، والظفر. ويدلّ ويدلّ الأصل اللغوي (ك ف ف) على "قبض وانقباض، ومن ذلك الكفّ للإنسان، وسميت بذلك لأنّها تقبض الشيء" ⁶، و"كَفَفَ: كَفَّ الشَّيْءُ يَكْفُهُ كَفًّا: جَمَعَهُ، وَفِي حَدِيثِ الْحَسَنِ أَنَّ رَجُلًا كَانَتْ بِهِ جِرَاحَةٌ فَسَأَلَهُ كَيْفَ يَتَوَضَّأُ، فَقَالَ: كَفَّهُ بِخِرْقَةٍ؛ أَي اجْمَعَهَا حَوْلَهُ، وَكَفَّ الْيَدَ أَنْتَى" ⁷.

ويوضّح ابن سيده في المخصّص أنّ الأصبع "هي إصبع الكفّ، وفيها لغات: إصْبَعٌ وَأَصْبَعٌ، وَإِصْبَعٌ وَأَصْبِعٌ وَأُصْبِعٌ، تَذَكَّرَ وَتَوَنَّنَتْ، وَقَدْ تَسْتَعَارُ لِتَدَلَّ عَلَى الْأَثَرِ الْحَسَنِ مِنَ الرَّجُلِ

¹ يس: 35.

² المائدة: 94.

³ البقرة: 237.

⁴ سبأ: 46.

⁵ السيوطي: غاية الإحسان في خلق الإنسان: ص 157.

⁶ ابن فارس: مقاييس اللغة: مادة (كفف) 129/5.

⁷ ابن منظور: لسان العرب. مادة (كفف): 301/9.

على عمل عمله فأحسنه، أو معروف أسداه إلى قوم، ويقال: ما أحسن إصبع فلان على ماله!¹.
قال الرَّاعِي النَّمِيرِي يصف راعياً حسن القيام على إبله²:
(البحر الطويل)

ضعيف العصا بادي العروق ترى له عليها إذا ما أمحل الناس إصبعا
والأصابع فيها الإبهام والسبابة والوسط والبنصر والخنصر في الكفّ والقَدَم³، والبنان
مأخوذ من 'بنن، البنة الرِّيح الطَّيِّبة كرائحة التَّفاح وجمعها بنان، والبنان أطراف الأصابع، وفي
حديث يوم جابر قتل أبيه يوم أحد ما عرفته إلا ببنانه⁴.

وإنّ اليد تشمل أيضاً الظُّفر، وجمعه أَظْفَارٌ وَأظْفُورٌ وَأظْفِيرٌ، ويكون للإنسان وغيره،
فهو ظُفْرُ الإصْبَع، وظُفْرُ الطَّائِر⁵. والأَنَامِلُ هي المِفْصَلُ الأعلى الذي فيه الظُّفْرُ من الإصْبَع،
والجمع أَنَامِلٌ وَأَنْمَلَاتٌ، وهي رُؤُوسُ الأصْبَع⁶.

لقد جاء القرآن الكريم على ذكر الإصبع مرتين⁷؛ وذلك في سياق الحديث عن المنافقين،
المنافقين، وأنّ قلوبهم في حال شكهم وكفرهم كالمطر والرّعد، فشبه حالهم بحال مَنْ نزلت به
هذه الأمور، وأراد دفعها فجعل أصابعه في أذنيه، قال تعالى: "أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ فِيهِ
ظُلْمَةٌ وَّرَعْدٌ وَبَرْقٌ تَجْعَلُونَ أَصْبِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ"⁸. وذكر
أيضاً في الإخبار عن قوم نوح، حيث كان كلّما دعاهم إلى الإيمان سدّوا مسامعهم عن استماع

¹ ابن سيده: المخصّص: 125/5.

² الدّينوري، ابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم: الشّعْر والشّعْراء.حققه وضبطه:مفيد قميحة ونعيم دروزة.ط2. بيروت:
دار الكتب العلمية.1985.ص132.

³ ينظر: السيوطي: غاية الإحسان في خلق الإنسان. ص156.

⁴ ابن منظور: لسان العرب: 60-58/13.

⁵ ينظر ابن منظور: لسان العرب. مادة (ظفر): 518-517/4.

⁶ ينظر ابن منظور: لسان العرب 679/11. مادة (صبع).

⁷ عبد الباقي: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. ص401.

⁸ البقرة: 19.

الدعوة، كما قال عزّ وجلّ: "وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ
وَأَسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا"¹.

ويعدّ البَنَانُ وواحده بَنَانَةٌ، من مراكز اللمس في جسم الإنسان فهو من الجلد، وقد ورد
البنان في القرآن الكريم في موضعين، في قوله تعالى: "بَلَىٰ قَدَرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِيَ بَنَانَهُ"²،
بَنَانَهُ"²، إن الله قادر بعد موت العبد وتلاشيه في التراب، وتحول عظامه رميماً، أن يعيده تماماً
تماماً كما أنشأه أول مرة، ومن ضمنها أن يسوي بنانه بتعديلها وتنشئتها كما كانت³، " إن الله
قادر على تسوية بنان الإنسان شيئاً واحداً كخف البعير، لا يمكنه أن يفعل بها شيئاً، لكن فرقت
أصابعه حتى يأخذ بها ما يشاء، فبنان الإنسان لا تتغير طوال حياته؛ لا في الشكل ولا في العدد
مهما عرض له من أمراض أو إصابات، وتصيح دليلاً ثابتاً على الشخصية طوال الحياة،
فاعتبرت البصمات دليل الشخصية الأول، ولا يجدي الحرق ولا الكي ولا التشويه في إزالتها،
هذا هو السرّ الذي من أجله أشار القرآن بالذات إلى البنان ولم يشر إلى عضو آخر"⁴.

أمّا في قوله تعالى: "وَأَضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ"⁵ فأراد الله بها هنا أطراف الأصابع؛
الأصابع؛ أي كلّ طرف ومفصل من أطراف أيديهم وأرجلهم، وهو دلالة على النّبات في الحرب
وموضع الضرب، فإذا ضربت البنان تعطلّ المضروب، حيث أمر الله بضرب الكافرين على
أطراف أصابعهم؛ حتى تتعطلّ عن القتال، فحينئذٍ يمكن قتله أو أسره⁶.

¹ نوح: 7.

² القيامة: 4.

³ ينظر: الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. تحقيق: مكتب
البحوث والدراسات، بيروت: دار الفكر. 1995م. 372/2.

⁴ ينظر: مدلول: الحواس الإنسانية في القرآن الكريم. ص124.

⁵ الأنفال: 12.

⁶ ينظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي: 94/3.

وقد وردت الأنامل في القرآن الكريم في موضع واحد، هو في قوله تعالى: "هَتَأْتُمْ
أَوْلَاءِ تُحِبُّوهُمْ وَلَا تُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لُكُومًا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا
حَلَوًا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ"¹ والآية خطاب للمؤمنين
بأنهم يخطئون إذا والوا أهل الكتاب؛ إذا أحببهم ولم يحببهم، ويؤمنون بالكتب المنزلة كلها ومع
ذلك يبغضونهم، ومن خبثهم يظهرون أمامهم الإيمان نفاقاً، وإذا خلت مجالسهم منهم عضوا
أطراف أصابعهم من شدة الحنق والغضب؛ لما يرونهم عليه من الائتلاف، وهذا من شدة الغيظ،
وهنا تصوير الغيظ في صورة حسية مجسمة أمام القارئ².

الأنف:

هو عضو الشم البارز في وجه الإنسان، جمع آنف وآنف وأنوف، واشتق اللفظ من "أنف
الطعام: كرهه، وأنف كل شيء: أوله ومستأنفه، وأنف الجبل: مقدمه. وفعلت الشيء أنفاً: في
أول وقت، والأنف للإنسان وغيره"³. وبين الزبيدي أن الأنف "اسم لمجموع المنخرين والحاجز
والقصبه، وهي ما صلب من الأنف. والأنف: السيد"⁴. و"الأنف من اللحية: مقدمها وجانبها،
والأنف من المطر: أول ما أنبت. ومن المجاز قولهم: جعل أنفه في قفاه: أعرض عن الحق
وأقبل على الباطل"⁵.

وقد ذكر الأنف في القرآن الكريم في موضع واحد هو في آية القصاص في قوله تعالى:
"وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْأَنفِ وَالْأَنفَ بِالْأَنفِ"⁶، فالأنف
يُجَدَع إذا قُطِع ظلماً، والجروح قصاص أي يقتص من جانبها بأن يُفعل به مثل ما فعله بالمجني
عليه.

¹ آل عمران: 119.

² ينظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي: 85/2.

³ ابن منظور: لسان العرب. مادة (أنف): 12/9.

⁴ الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس: مادة (أنف): 38/23.

⁵ الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس: مادة (أنف): 39/23.

⁶ المائدة: 45.

وتقول العرب للأنف "مِعْطَسٌ وَخُرْطُومٌ، وَمَخْطَمٌ، وَمَرَسِينٌ، وَعِرْنِينٌ"¹. لقد شبّه الله أنف الإنسان بالخرطوم الذي يكون للفقيل والخنزير. وجاء في قوله تعالى: "سَنَسِمُهُرُ عَلَيَّ الْخُرْطُومِ"² وهو غاية في الإهانة والإذلال، لأنّ الوجه أكرم موضع في الجسد، والأنف أكرم موضع في الوجه؛ لارتفاعه عليه، لذلك جعل مكان العزّ والحميّة، واشتقوا منه الأنفة، وقالوا في الذليل: رُغِمَ أَنْفُهُ³.

اللّسان:

جارحة الكلام وعضو البيان والإفصاح اللفظي في جسم الإنسان، وهو عضلة تمتدّ من أقصى تجويف الفمّ إلى مقدّمه، يستعمله الإنسان في الكلام وبلع الطّعام وتذوّقه والجمع ألسنة، واللسن⁴ (بذكر ويؤنث)⁵، ويقال: رجل ملسون: حسن الكلام، ولسنتك: أخذتك بلسانها، ويصفها بالسلاطة وكثرة الكلام. وقد يكنّى به عن الكلمة أو الرّسالة أو المقالة، وحين يُكنّى باللسان يؤنث، كما في قول أعشى باهلة⁶:

إِنِّي أَتَنَّتِي لِسَانٌ لَا أَسْرَبُ بِهَا مِنْ عَلْوٍ لَا عَجَبٌ مِنْهَا وَلَا سَاخِرٌ
وجاء اللسان في القرآن الكريم مفرداً في خمسة عشر موضعاً، ومجموعاً (ألسنة) في تسعة مواضع، فقد ورد بمعنى العضو المعروف في الفمّ في قوله تعالى: "أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُرُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ" ⁷ أي ألم نجعل للإنسان عينين يبصر بهما المرئيات، ولساناً

¹ السيوطي: غاية الإحسان في خلق الإنسان. ص 117.

² القلم: 16.

³ ينظر: الرّازي: التفسير الكبير: 76/30.

⁴ ينظر: ابن منظور: لسان العرب مادة (لسن): 212/13.

⁵ ينظر: ابن سيده: المخصّص: 138/5.

⁶ القرشي، أبو زيد بن أبي الخطّاب: جمهرة أشعار العرب في الجاهليّة والإسلام. حقّقه وعلّق عليه وزاد في شرحه: محمد علي الهاشمي. دمشق: دار القلم. ج.2. ط.3. 1999. ص.714.

⁷ البلد: 8-9.

يترجم به عن ضميره، وشفنتين يطبقهما على ما فيه، ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب والنَّفخ وغير ذلك¹.

قد نزل القرآن الكريم باللسان العربيّ الفصيح الكامل، قال تعالى: "بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ"²، أي باللّغة العربيّة. وقد يأتي هذا العضو شاهداً يوم القيامة على الإنسان، كما قال عزّ وجلّ: "يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ" ³ وهو وعيد للكافرين الذين يرمون المحصنات الغافلات بالعذاب العظيم في الآخرة، وبأنّ ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم تشهد عليهم بما أفكوا⁴.

ذكر الله سبحانه وتعالى أنّ الألسنة قد تصف الكذب وتحكيه؛ هذا حلال وهذا حرام، افتراء على الله، كما في قوله تعالى: "وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ"⁵ في هذه الآية نهي عن التّحريم والتّحليل بأهوائهم، فلا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم من غير دليل، وكأنّ حقيقة الكذب كانت مجهولة وألسنتكم تصفها وتعرفها بكلامكم هذا⁶.

لقد اتّفق العقلاء على تعظيم أمر اللّسان فقال عليّ بن أبي طالب: "ما الإنسان لولا اللّسان إلّا بهيمة مَهْمَلَة، أو صورة ممثّلة، ولو أزلنا الإدراك الذهنيّ، والنطق اللسانيّ، لم يبق من

¹ ينظر: الزّمحشريّ: الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل: 759/4.

² الشعراء: 195. والدلالة في: النحل 103/الأحقاف 112.

³ النور: 24.

⁴ ينظر: الزّمحشريّ: الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل: 228/3.

⁵ النحل: 116.

⁶ ينظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي: 424/3.

الإنسان إلاّ القدر الحاصل في البهائم"، وقالوا: المرء بأصغريه: قلبه ولسانه، وقال صلى الله عليه وسلّم: "المرء مخبوء تحت لسانه"¹.

وقد ذكر الغزالي أنّ اللّسان من نعم الله العظيمة، ولطائف صنعه الغريبة، فإنّه صغير، عظيم جرمه، إذا لا يستبين الكفر والإيمان إلاّ بشهادة اللّسان.²

¹ البستي: أبو حاتم، محمد بن حبان: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. بيروت. دار الكتب العلمية. 1977. ص 42.

² الغزالي: إحياء علوم الدين: 198/8.

المبحث الثالث

ألفاظ أعضاء جسم الإنسان الباطنة

يحوي جسم الإنسان أعضاء لا تبدو ظاهرة للناظر؛ كالسن، والحلق، والخنجرة، والفؤاد، والرّحم، والوريد، والترقوة.

السن:

هي العظمة البيضاء النابتة في الفم، والجمع أسنان، يستعملها الإنسان لقطع الطعام، واللفظ مشتق من قولهم: "سنّ الشيء يسنّه سنّاً: حدّده وصقله، وعبرت العرب به عن عمر الإنسان، فيقول: فلان سنّ فلان: إذا كان في مثل عمره. وأسّن الرجل: كبر وكبرت سنّه فهو مسنّ. وجاءت في حديث عثمان: جاوزت أسنان أهل بيتي: أي أعمارهم"¹. وقد وضع ابن سيده أن السن مؤنثة².

جاء ذكر السن في القرآن الكريم في موضع واحد في آية القصاص في قوله تعالى: "أَنَّ
النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ
بِالسِّنِّ"³.

الحلق:

يطلق على مساع الطعام والشراب في المريء، وقيل هو مخرج النفس من الحلقوم، وموضع الذبح، والجمع حُلُوق وأحلاق. ويفصل الله حالة الاحتضار عند الإنسان بقوله تعالى: "فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ"⁴ أي بلغت الروح الحلق وهذا حين الاحتضار.

¹ ابن منظور: لسان العرب: 220 / 13. مادة (سنن).

² الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس. مادة (سنن): 223 / 35.

³ المائدة: 45.

⁴ الواقعة: 83.

الْحَنَجْرَةُ:

هي طَبَقَانِ مِنَ أَطْبَاقِ الْحُلُقُومِ مِمَّا يَلِي الْعُلْصَمَةَ¹، وقيل: الْحَنَجْرَةُ رَأْسُ الْعُلْصَمَةِ، وَالْجَمْعُ حَنَاجِرٌ². يَصَوِّرُ اللَّهُ شِدَّةَ خَوْفِ الْمُؤْمِنِينَ فِي غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ بِأَنَّ قُلُوبَهُمْ قَدْ بَلَغَتْ الْحَنَاجِرَ، جَمْعُ حَنَجْرَةٍ، لِأَنَّ الرِّئَةَ تَنْتَفِخُ مِنْ شِدَّةِ الرُّوعِ؛ فَيَرْتَفِعُ الْقَلْبُ بِارْتِفَاعِهَا إِلَى رَأْسِ الْحَنَجْرَةِ، وَقَدْ يَسُدُّ مَجْرَى النَّفْسِ فَلَا يَقْدِرُ الْمَرْءُ أَنْ يَنْتَفِسَ فَيَمُوتُ مِنَ الْخَوْفِ، وَهَذَا كُنَايَةٌ عَنِ شِدَّةِ الْخَوْفِ وَالْفَزَعِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "إِذْ جَاءَ وَكُفُّوا مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا"³ وَهُوَ كُنَايَةٌ عَنِ شِدَّةِ الْخَوْفِ وَالْفَزَعِ. وَأَمَّا يَوْمُ الْقِيَامَةِ، فَقُلُوبُ الظَّالِمِينَ تَضْغُطُ عَلَى الْحَنَاجِرِ فَلَا تَخْرُجُ فَيَمُوتُونَ وَلَا تَرْجِعُ مَوَاضِعَهَا فَيَتَنَفَسُونَ وَيَتَرَوِّحُونَ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "وَأَنْذَرْتَهُمْ يَوْمَ الْأَرْزَاقِ إِذْ أَلْقَيْتُ الْقُلُوبَ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ⁴ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ"⁴ وَهَذَا عَلَى سَبِيلِ الْمَجَازِ. مِنَ الْمَلَاظِمِ مَصَاحِبَةُ كَلِمَةِ (بَلَغَتْ) مَعَ الْحُلُقُومِ وَالتَّرَاقِي وَالْحَنَاجِرِ، وَتَعْنِي الْإِنْتِهَاءَ إِلَى أَقْصَى الْمُنْتَهَى وَالْمَقْصِدِ وَهِيَ الرُّوحُ أَوْ النَّفْسُ أَوْ الْحَيَاةُ⁵.

التَّرْفُوتَةُ:

هُمَا الْعِظْمَانِ الْمُشْرِفَانِ فِي أَعْلَى الصَّدْرِ مِنْ رَأْسِ الْمُنْكَبِينَ إِلَى طَرَفِ ثَغْرَةِ النَّحْرِ، وَبِاطْنِ التَّرْفُوتَيْنِ الْهَوَاءُ الَّذِي فِي الْجَوْفِ⁶. لَقَدْ جَاءَتْ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ فِي آيَاتِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ

¹ ينظر، ابن منظور: لسان العرب مادة(حنجر): 4 / 216. والغصمة هي العجزة التي على ملتصق اللهاة.

² ينظر: السيوطي: غاية الإحسان في خلق الإنسان: ص142.

³ الأحزاب: 10.

⁴ غافر: 18.

⁵ ينظر: الرّازي: التفسير الكبير. 29 \ 173.

⁶ ينظر: ابن سيده: المخصّص: 1/154.

في قوله تعالى: "كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ"¹ حيث يخبر الله عن الاحتضار وما عنده من الأهوال؛ إذ ينتزع الله روح الإنسان من جسده، وتبلغ تراقيه².

الْقَلْبُ:

يُؤَصِّلُ ابن منظور دلالة الجذر (ق ل ب) بقوله: "الْقَلْبُ تحويل الشيء عن وجهه، قَلْبَهُ يَقْلِبُهُ قَلْبًا، وَقَلَبَ الشَّيْءَ: حَوَّلَهُ ظَهْرًا لِبَطْنٍ، وَجَعَلَ قَلْبَهُ فِي ظَاهِرِهِ، أَي قَلْبَهُ. وَالْقَلْبُ: مُضْغَةٌ مِنَ الْفُؤَادِ مُعَلَّقَةٌ بِالنِّيَاطِ، ابن سيده: القلب والفؤاد مذكّر، والجمع أَقْلِبُ وَقُلُوبٌ، وَسُمِّيَ الْقَلْبُ قَلْبًا لِشِدَّةِ تَقَلُّبِهِ"³. ولم تفرّق العرب بين القلب والفؤاد، لكنّ القلب هو العَلَقَةُ السُّودَاءُ في جوفه، وقيل الفؤاد: وعاء القلب، وقيل: داخله. وقيل: غشاؤه⁴. والفؤاد القلب: لتفؤده وتوقده، والجمع أفئدة⁵.

لقد عرّف الإمام الغزاليّ القلب وقال: "هو اللَّحْمُ الصُّنُوبَرِيُّ الشَّكْلُ، الْمُودَعُ فِي الْجَانِبِ الْأَيْسَرِ مِنَ الصَّدْرِ، وَهُوَ لَحْمٌ مَخْصُوصٌ وَفِي بَاطِنِهِ تَجْوِيفٌ، فِيهِ دَمٌ أَسْوَدٌ وَهُوَ مَنبَعُ الرُّوحِ وَمَعْدَنُهُ، وَهُوَ لَطِيفَةٌ رَبَّانِيَّةٌ رُوحَانِيَّةٌ، لَهَا بِهِذَا الْقَلْبِ الْجِسْمَانِيّ تَعَلُّقٌ"⁶.

ورد القلب في القرآن الكريم في مئة واثنين وعشرين آية من آياته، في سياقات مختلفة، منها أنّ محلّ الإيمان هو القلب، فأنكر الله على الأعراب لما ادّعوا الإيمان في أوّل إسلامهم، وبيّن لهم أنّ الإيمان ما دخل في القلب مع الطاعة لله ولرسوله كما في قوله تعالى: "قَالَتِ

¹ القيامة: 26.

² ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 4/ 452.

³ ابن منظور: لسان العرب: 1/ 687-688. مادة (قلب).

⁴ ينظر: الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس. مادة (قلب): 4/ 70. والسيوطي: غايّة الإحسان في خلق الإنسان: ص 179.

⁵ ينظر: الأندلسي، أبو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده: المحكم والمحيط الأعظم. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. ط 1. بيروت: دار الكتب العلمية. 2000. 9/ 381.

⁶ الغزالي: إحياء علوم الدين: 3/3.

الْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۗ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ¹.

كما أن القلوب تطمئن في عدة أمور منها: ذَكَرَ اللهُ كما في قوله تعالى: "الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ"². وبالنصر والنبات كما في قوله تعالى: "وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ"³ وغيرها من الأمور. وجعل الله التقوى في القلب، فهي وقاية النفس مما يُخاف، وحفظها مما يؤثم بترك المحذور، والمؤمنون المتقون يعظمون شعائر الله، كما في قوله تعالى: "ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ"⁴.

ويتعبّد المسلم لله بالقلب عن طريق العواطف الربّانية والمشاعر الروحية، فهذا القلب أحوال كالخشوع، في قوله تعالى: "أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ"⁵. وهناك عاطفة الوجّل وهي الخوف من الله، في قوله تعالى: "الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ"⁶.

إنّ الرّأفة والرّحمة عواطف إنسانية سامية، يهبها الله لقلوب عباده المؤمنين، قال تعالى: "وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً"⁷ وهم أتباع عيسى، حيث جعل

¹ الحجرات:14 والدلالة نفسها في: المجادلة:22، والتغابن:11، المائدة:41.

² الرّعد: 28.

³ الأنفال:11، والدلالة نفسها للدلالة نفسها في: هود:120، الكهف: 14، الفرقان: 32، القصص: 10، الفتح:4، الفتح: 18.

⁴ الحج: 32، والدلالة نفسها في: الحجرات 3.

⁵ الحديد: 16.

⁶ الحج: 35، والدلالة نفسها في: آل عمران: 151، الأنفال: 2، الأنفال: 12، المؤمنون: 60، القصص: 10،

الأحزاب:10، الأحزاب: 26، غافر 10، الحشر 13.

⁷ الحديد: 27، والدلالة نفسها في آل عمران: 159.

الله بينهم رحمة ورأفة. ومن صفات المؤمن الذي امتلأ قلبه بالإيمان الاتعاض والعبرة قال تعالى: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ" ¹ حيث كنى بالقلب هنا عن العقل واللب، ولم يقصد به القلب الحقيقي.

لقد أنزل الله القرآن الكريم عن طريق الروح الأمين (جبريل) على قلب النبي صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى: "فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَدُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ" ². ووصف الله القلب في القرآن الكريم بالسليم في قوله تعالى: "إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ" ³ وهو قلب المؤمن ووصفه أيضاً بالمنيب في قوله تعالى: "مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ" ⁴.

وتربط القلب بالعقل علاقة وثيقة، كما تربطهما بالحواس الإنسانية أيضاً علاقة قوية، قال تعالى: "أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ" ⁵ والآية تدل أن العقل هو العلم وأن محلّه القلب، فكنى عن العقل بالقلب، ويسمى الجهل بالعمى. فالقلب يرتبط بالإيمان والتقوى والوجل والخشية.

وقد يصاب القلب بأمراض عدّة منها: اللّهُ كما في قوله تعالى: "لَا هِيَ قُلُوبُهُمْ" ⁶ وأسروا النجوى الذين ظلموا هلّ هداً إلا بشرٌ مثلكم ⁷ أفئاتون السحر وأنتم تبصرون ⁸. كما قد يصاب بالغفلة كما في قوله تعالى: "وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنِ"

¹ ق: 37.

² البقرة: 97، والدلالة نفسها في الشعراء: 193-195.

³ الشعراء: 89، والدلالة نفسها في الصافات: 84.

⁴ ق: 33.

⁵ الحج: 46.

⁶ الأنبياء: 3.

ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا"¹، أما الغلّ الذي ينزعه الله من قلوب عباده المؤمنين، فقد ورد في قوله عزّ وجلّ: "وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ" ^ط وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ"². والكبر في قوله تعالى: "كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُّتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ"³. والنفاق كما في قوله تعالى: "يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ"⁴. والطبع في قوله عزّ وجلّ: "أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ" ^ط وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ"⁵، والأفقال كما في قوله تعالى: "أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرَّانَ" ^ط أَمْرٌ عَلَى قُلُوبِ أَفْقَالِهِا"⁶، فالقلب المقفل بليد لا يشعر ولا تنيره آيات الحق. والأكنة وهي الغطاء والغلاف، وقد يحصل أن تصيب القلب كما في قوله عز وجل: "وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ" ^ط بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ"⁷. والرّين وهو الذنب على الذنب يسوّد القلب، كما في قوله تعالى: "كَلَّا" ^ط بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ"⁸.

والغفلة من موانع الإيمان، لأنها سهو يعتري الإنسان، كما في قوله تعالى: "وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ" ^ط وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا" ^ط وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوْنَهُ

¹ الكهف: 28

² الأعراف: 43.

³ غافر: 35.

⁴ آل عمران: 167، والدلالة نفسها في: البقرة 8-10، المائدة: 41، التوبة: 8، التوبة: 75، الفتح: 11.

⁵ النحل: 108، والدلالة نفسها في النساء: 155، الأنعام: 46، الأعراف: 10، التوبة: 87، الشورى 24، وغيرها.

⁶ محمد: 24.

⁷ البقرة: 88، والدلالة نفسها في: الإسراء 45-46، فصلت: 5.

⁸ المطففين: 14.

وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا¹. كما أنّ القسوة من أمراض القلوب، قال تعالى: "وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ"².

وهكذا، فإنّ حديث القرآن الكريم عن القلب بصفته جارحة إنسانية، حيث جعله مصدراً للصّلاح أو الفساد في الإنسان. وقد استخدمت كلمة (القلب) استخداماً مجازياً وليس بالمعنى الحقيقي.

الوتين:

يطلق على العرق اللاصق بالصُّلب، المُعلَّق بالقلب الوتين، وإذا انقطع مات صاحبه³، وذكر في موضع واحد في آيات القرآن الكريم في قوله تعالى: "ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ"⁴ فلو اختلق محمدٌ صلّى الله عليه وسلّم على الله بعض الأقوال، ونسب إليه ما لم يقله لانتقم منه بقوته وقدرته، ولقطع نياط قلبه⁵.

حبل الوريد:

هما وريدان في العنق تحت الوتجين مكتنفان لصفحتي العنق، في مقدمتهما متصلان بالوتين، ينبضان أبداً من الإنسان، وهو ما جرى فيه النفس ولم يجر فيه الدم⁶، وذكر لفظ (حبل الوريد) في الآية من قوله تعالى: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلْمُ مَا تُوسَّوسُ بِهِ نَفْسُهُ⁷ وَخُنُّ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ"⁷ الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وهو أعلم بما تحدثه نفسه، فهو كحبل الوريد في القرب.

¹ الكهف: 28.

² الحديد: 16، والدلالة نفسها في: البقرة: 74، المائدة: 13، الأنعام: 43، الحج: 53، الزمر: 22.

³ ينظر: ابن منظور: لسان العرب: مادة (وتن): 441/13.

⁴ الحاقة: 46.

⁵ ينظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي: 384/5.

⁶ ينظر: الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس: مادة (ورد): 291/9.

⁷ ق: 16.

الأمعاء:

مفردها مَعَى ومِعَاء، وهي من أعفاج البطن والعَفَج: المعِي، وما يُلصق بها الشَّحْم، وكانت تدلّ على ما لانَ من الأرض وانخفض¹. وجاء في الحديث: "المؤمن يأكل في معيٍّ واحد، والكافر يأكل في سبعة أمعاء"² وهو مثل ضرب للمؤمن وزهده في الدنيا وقناعته، وما أوتي من الكفاية، وللكافر واتّساع رغبته في الدنّيا وحرصه على جميع حطامها.

وردت في الذكر الحكيم في قوله تعالى: "مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّم يَتَغَيَّر طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّن خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّن عَسَلٍ مُّصَفًّى وَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَن هُوَ خَلِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ"³ فمَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي فِيهَا الثَّمَارُ وَالْأَنْهَارُ كَمَثَلِ النَّارِ الَّتِي فِيهَا الْحَمِيمُ وَالزَّقُومُ، ومثل أهل الجنة في النّعيم المقيم، كمثل أهل النار في العذاب المقيم، وسقوا ماءً حميماً شديداً الغليان فإذا شربوا منه قطع أمعاءهم وأخرجها من دبورهم.

الرَّحْم:

هو وعاء الوالد ومنبته البطن، وجمعه أرْحَام⁴، ويدلّ الأصل اللغوي (ر ح م) على "الرقة" "الرقة والعطف والرأفة"⁵، والرَّحْمَنُ والرَّحِيمُ اسمان مشتقان من الرَّحْمَةِ، من أسماء الله الحسنى. الحسنى.

جاءت الرَّحْمُ في القرآن الكريم مجموعة على (الأرحام) في آيات عديدة منها قوله تعالى: "وَلَا تَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمَنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ"¹ فلا يحلّ للمطلقة أن تخفي ما

¹ ينظر: ابن منظور: لسان العرب: مادة (معي): 287/15.

² الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر: 344/2.

³ محمد: 15

⁴ ينظر: السيوطي: غاية الإحسان في خلق الإحسان. ص 180.

⁵ ابن فارس: مقاييس اللغة: 498/2. مادة (رحم).

رزقها الله في بطنها من حبل أو حيض، فقد يكون هذا المولود سبباً في عودتها إلى عش الزوجية².

إن الله هو المقرّ في الأرحام والمصور لجميع الخلائق بصفات متنوّعة، قال تعالى: "هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۚ لَآ إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ"³ وقوله تعالى: "اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ^ط وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ"⁴ في هذه الآية إخبار عن تمام علم الله؛ إذ لا يخفى عليه أنثى وما شيء فهو محيط بما تحمله الحوامل من جنس جميع الحيوانات.

¹ البقرة: 228.

² ينظر: الرّازي: التفسير الكبير: 6/79.

³ آل عمران:6، والدلالة نفسها في: الحج: 5، لقمان: 34.

⁴ الرّعد: 8.

المبحث الرابع

أَلْفَاظُ أَعْضَاءِ جِسْمِ الْإِنْسَانِ الظَّاهِرَةِ

إنَّ أكثرَ أعضاءِ جسمِ الإنسانِ وروداً في القرآنِ الكريمِ هي الأعضاءُ الظَّاهِرَةُ؛ كالرَّأسِ والوَجْهِ والخَدِّ والصَّدْرِ والظَّهْرِ والرَّجْلِ وغيرها، إذ بلغ عددها ما يقارب ثلاثين عضواً. فيما يلي تفصيلها:

الرَّأْسُ:

يدلُّ الجذر (ر أ س) على "تجمُّع وارتفاع، فالرَّأسُ رأسُ الإنسانِ وغيره، أو الجماعة الضَّخمة"¹ قال ابن كلثوم²:
(البحر الوافر)

رَأْسٌ مِنْ بَنِي جِشْمِ بْنِ بَكْرٍ نَدُّقٌ بِهِ السَّهْوَةُ وَالْحَزُونَا

فالرَّأسُ يجمع العديد من الأعضاء كالعينين والأذنين والأنف والفم، وهكذا الجماعة فكلاهما يدلُّ على الجمع. والرَّأسُ ثابت وهو أعلى الرَّجْلِ رأسه، والجمع أَرُوسٌ ورُؤُوسٌ، ويدلُّ الرَّأسُ أيضاً على المواشي يقال: أربعون رأساً من الغنم، كما يستعمل للشرف: أنت رأس أمرئ؛ لأنَّ الرَّأسُ هو الحامل للعقل³.

وردت لفظة (الرَّأس) في القرآن الكريم في سياقات متعدِّدة؛ فذكر الرَّأسُ في بيان فرائض الوضوء في قوله تعالى: "وَأَمْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ"⁴؛ واختلف في هذه الباء هل هي للإصاق أو للتبعيض، فالأحاديث تدلُّ أنَّ الرِّسُولَ مسح رأسه مرَّةً واحدة، واقتصر على الناحية أو بعض رأسه⁵.

¹ ابن فارس: مقاييس اللُّغة: 471/2. مادة (رأس).

² عمرو بن كلثوم: ديوانه. جمعه وحققه: اميل بديع يعقوب ط1. بيروت: دار الكتاب العربي. 1991. ص78.

³ ينظر: ابن سيده: المخصَّص: 71/1.

⁴ المائدة: 6، والدلالة نفسها في: الفتح 27.

⁵ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 26 / 2.

ولما اشتد غضب موسى عليه السلام عندما سمع نبأ اتخاذ قومه عجلًا يعبدونه من دون الله، جرَّ أخاه هارون من شعر رأسه؛ توهماً أنه قصر في كفهم عن فعلتهم، وكان هارون يكبره بثلاث سنين، فهذا سياق تعنيف¹ جاء في قوله تعالى: "وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاخَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ"².

وأما في قوله تعالى: "فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ"³ فجاء حلق الرأس هنا للتحلل من الإحرام.

وقد يدل تنكيس الرأس على الحياء والذل والحزن، في قوله تعالى: "وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ"⁴ يخبر الله عن حال المشركين الذين أنكروا البعث، حين عاينوا البعث وقاموا بين يدي الله حقيرين، ذليلين ناكسي رؤوسهم⁵، هذا عن الكافرين والمنكرين للبعث. أما حال الناس يوم القيامة، فيكونون رافعي رؤوسهم، وأبصارهم شاخصة يديمون النظر، ولا يظرفون لحظة؛ لكثرة من ما هم فيه من الهول والخافة، كما في قوله تعالى: "مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ"⁶.

نَاصِيَةٌ:

هي من منبت الشعر في مقدم الرأس، وسُمِّي الشعر ناصية لنباته من ذلك الموضع⁷. وردت الناصية في القرآن الكريم في أربعة مواضع، وجُلِّها جاءت في سياق الأخذ بالنواصي،

¹ ينظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي: 6 / 13.

² الأعراف: 150.

³ البقرة: 196.

⁴ السجدة: 12. والدلالة نفسها في: الإسراء: 51.

⁵ ينظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي: 4 / 356.

⁶ إبراهيم: 43.

⁷ ينظر: الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس: 40 / 90-93.

في قوله تعالى: "مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ"¹ فكانت العرب إذا وصفوا إنساناً بالذلة والخضوع قالوا: ما ناصية فلان إلا بيد فلان، أي أنه مطيع له، لأن كل ما أخذت ناصيته فقد قهرته، وكانوا إذا أسروا الأسير فأردوا إطلاقه والمن عليه، جزوا ناصيته ليكون علامة لقهره، فخطبوا في القرآن الكريم بما يعرفون، فما من حيوان إلا وهو تحت قهره وقدرته، ومنقاد لقضائه وقدره². ووردت في قوله تعالى: "نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ"³ حيث كشفت الأبحاث التي جرت مؤخراً أن منطقة الأمام (جبهة الناصية) المسؤولة عن إدارة وظائف معينة في الدماغ، تقع في الجبهة من الجمجمة. فتحديد الدوافع والتفكير في عواقب الأمور والتخطيط للمضي في أمر ما، والأعمال الصالحة أو الخاطئة تحدث في فصوص القسم الأمامي من الجبهة، وهذه الحقيقة ذكرها القرآن الكريم منذ سنوات بعيدة، لم يستطع العلماء اكتشافها إلا قبل ستين عاماً⁴.

الجبهة:

الجبهة من الإنسان هي موضع السجود، والجمع جباه، وقيل هي ما بين الحاجبين إلى الناصية⁵، والجبهة من الناس الجماعة، وهي اسم لصنم كان يعبد في الجاهلية⁶، وقد ورد في الحديث: "إن الله أراحكم من الجبهة والسجة والبجة"⁷ الجبهة هي المذلة، والسجة: المذيق من اللبن، أراحكم منه ونقلكم الى السعة، والبجة: الفصيد الذي كانت العرب تشربه من الدم. وقد تعني الجبهة خطوط المواجهة في القتال بين الجيشين.

¹ هود: 56، والدلالة نفسها في: الرحمن: 41، العلق: 15-16.

² ينظر: الرازي: التفسير الكبير: 12/18.

³ العلق: 16.

⁴ ينظر: يحيى، هارون وأورخان محمد علي: المعجزات القرآنية. استانبول. 2003. ص11.

⁵ ابن سيده: المخصص: 1: 76.

⁶ ينظر: ابن منظور: لسان العرب: مادة (جبه) 483/13.

⁷ الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر: 1/ 136.

وقد وردت في موضع واحد في آيات الذكر الحكيم، في قوله تعالى: "يَوْمَ نَحْمِي عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ¹ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ" ¹ والآية جاءت في وعيد مانعي الزكاة، حيث يحمي عليهم نار جهنم حتى تكوى جباههم وجنوبهم وظهرهم.

الجبين:

عَظْمَانِ مُكَتَّفَا الْجَبْهَةِ مِنْ جَانِبَيْهَا، فيما بين الحاجبين، والجمع أَجْبِنَةٌ وَجُبْنٌ²، ووردت الجبين بمعنى الجبهة لعلاقة المجاورة في قول عنتره³:

يقيني بالجبين ومنكبيه وأنصره بمطرد الكعوب

وردت الجبين في القرآن الكريم في موضع واحد، في قوله تعالى: "فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ⁴

لِلْجَبِينِ"⁴ فعندما استسلم إسماعيل وإبراهيم وانقادا وأسلما أمرهما الله، وصرع إبراهيم إسماعيل على شقه فوق جبينه على الأرض، وهو أحد جانبي الجبهة، وللجبهة جبينان عن يمينها وعن شمالها، وقيل أكتبه على وجهه لئلا يرى فيه تغييراً يرق له فلا يذبحه⁵.

وجه:

هو الجزء العلوي من جسم الإنسان وما يواجهك من الرأس، وبه العينان والأذنان والفم والأنف، ويُعرف به وأول ما يراه الآخرون منه، والجمع وجوه، وأوجه، واشتقت منه الوجهة والجهة، وقالوا وجه إليه كذا: أرسله، ووجه القوم شريفهم وسيدهم، ووجه: له جاه في الناس،

¹ التوبة: 35.

² ينظر: ابن سيده: المخصص: 76 / 1.

³ ابن شداد، عنتره: ديوانه. شرح: الخطيب التبريزي. قدم له وضع هوامشه وفهارسه: مجيد طراد. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي. 1999. ص32.

⁴ الصافات: 103.

⁵ ينظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي: 22/5.

وفلان ذو وَجْهَيْنِ؛ منافق والوجه مستقبل كل شيء وقيل: "كان لعلي وَجْهٌ من الناس حياة فاطمة" أي جاه¹. وقد يعني الوجه الصَّحَّة، كالقول: ليس لكلامه وجه. ووجوه القرآن: معانيه.

لقد ذُكِرَ الوجهُ في القرآن الكريم بمعنى العضو في جسم الإنسان ثلاث عشرة مرّة، في سياقات مختلفة؛ إذ جاء الوجهُ في الحديث عن أحكام الطهارة والوضوء في قوله تعالى: "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ² وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَرُوا³ وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ⁴ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ⁵".

إنَّ الرِّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد توقع من ربِّه أن يحوِّله إلى الكعبة؛ لأنها قبلة أبيه إبراهيم، وكان يردُّ وجهه جهة السماء تطلعاً للوحي، فمكَّنه الله من استقبالها، وأمره بصرف وجهه نحو المسجد الحرام، كما في قوله تعالى: "قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ⁶ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا⁷ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ⁸ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ⁹ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ¹⁰ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ¹¹".

كما أُضيف الوجه إلى لفظة (أبيكم) في سياق الحديث عن قصّة سيّدنا يوسف عليه السّلام مع إخوته، عندما وسوس لهم الشيطان قتل يوسف، وأن يطرحوه أرضاً مجهولة حتى

¹ الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس: مادة (وجه). 535/36.

² المائدة: 6.

³ البقرة: 144. والدلالة نفسها في البقرة 144-150.

يصفو لهم وجه أبيهم؛ فيقبل عليهم بمحبته ولا يلتفت لغيرهم كما في قوله تعالى: "أَقْتُلُوا يُوسُفَ أَوْ اطْرَحُوهُ أَرْضًا سَخْلَ لَكُمْ وَجْهَ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ"¹.

ويقال يأتي الوجه للدلالة على الكمال، كما في قوله تعالى: "ذَلِكَ أَذَى أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَى وَجْههَا"². والشهادة هنا هي إسهاد شهيدين على الوصية، فإن خانا فرجلين آخرين من الورثة يقومان مقام الشاهدين الخائنين، هذا أقرب من أن يأتوا بالشهادة على حقيقتها من غير تغيير ولا تبديل.

الفم:

يُبين الزبيدي أن الفاه والفوه بالضم، والفيه بالكسر، والفوهة بالضم والفم سواء، قال أبو الليث: الفوه أصل بناء تأسيس الفم الجمع أفواه، قالوا في التننية: فَمَانَ وَفَمَوَانَ وَفَمَيَانَ³ وقالوا: "رَجُلٌ مُفَوَّهُ إِذَا أَجَادَ الْقَوْلَ، وَمِنَهُ الْأَفُوهُ: لِلْوَاسِعِ الْفَمِ"⁴.

جاء الفم في ثلاثة عشر موضعاً في القرآن الكريم في سياقات متعددة؛ كبيان بغض الكفار وعدائهم للمسلمين في قوله تعالى: "بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمْ الْآيَاتِ^ط إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ"⁵ فقد نهى الله المسلمين أن يتخذوا المنافقين أصدقاء يودونهم ويطلعونهم على أسرارهم، فالكافرون لا يقصرون لكم في الفساد، حيث تمنوا مشقتكم وما يوقعكم في الضرر الشديد. وهذه العلامات للعداوة ظهرت على ألسنتهم، فهم لا يكتفون ببغضكم بقلوبهم حتى يصرحوا ذلك بأفواههم، وما يخفونه لكم من البغضاء أكثر مما يظهرونه، وخص الأفواه بالذكر دون الألسنة إشارة إلى تشدقهم وثرثرتهم في أقوالهم⁶.

¹ يوسف: 9.

² المائدة: 108.

³ الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس. مادة (فاه) 463/36-464.

⁴ ينظر: الاندلسي، ابن سيده: المحكم والمحيط الأعظم. تحقيق: عبد الحميد هنداوي. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 432/4.

⁵ آل عمران: 118.

⁶ ينظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي: 83/2.

لقد اتخذ الكفار موقفاً من الدين والرسل كما في قوله تعالى: "يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتَمَّ نُورُهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ" ¹ حيث يريد الكفار إبطال أمر محمد ونبوته، ويريدون إطفاء نور الإسلام وشرع محمد عليه الصلاة والسلام بأفواههم وجدالهم وافتراءهم، فمثلهم كمثل من يريد أن يطفى شعاع الشمس أو نور القمر بنفخة، ويأبى الله إلا أن يعليه ويرفع شأنه ².

كما يُعدّ الفم من الأعضاء التي يمنعها الله من الكلام يوم القيامة على الإنسان قال عز وجل: "الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ" ³ فلا تتطرق وينطق الله جوارحهم فتشهد عليهم.

قال تعالى: "الْمَ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ" ⁴ وفي هذه الآية بيان لفعل الكافرين واستهزائهم بالرسل، فكلمًا جاءتهم رسلهم بالبينات عضواً أيديهم بوضعها في أفواههم، كناية عن الغيظ.

الشِّفَّةُ:

الشفتان من الإنسان هما طبقا الفم، والجمع شِفَاه، والذَّاهب منها الهاء، وهي لامها، و"يقال شافهته: كلمته مشافهة، ورجل أشفه وشفاهي: عظيم الشفة" ⁵.

¹ التوبة: 32. وردت الدلالة نفسها في: المائدة 41.

² ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 350/2.

³ يس: 65.

⁴ إبراهيم: 9.

⁵ ينظر: ابن سيده: المخصص: 123/1.

وردت الشِّفَّةُ في موضع واحد في القرآن الكريم في قوله تعالى: "أَلَمْ نُجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ

﴿٨﴾ **وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ**"¹ فقد خلق الله للإنسان لساناً يترجم به ضميره وشفَتَيْنِ يستعين بهما

على النطق والأكل والشرب وغيرها.

الخد:

بيّن ابن سيده في المخصّص أنّ الخدَّ من الوجّه: "هو من لذنّ المحجّر إلى اللّحي والجمع خُدود، والمِخْدَة: المصدّعة، مشتقٌّ من ذلك. والخدّان جانبي الوجّه، وهما ما جاوز مؤخر العين إلى منتهى الشّدق"².

ورد الخدّ في القرآن الكريم في النّصائح التي وجّهها لقمان لابنه في قوله تعالى: "وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ"³ حيث ينصحه ألاّ يملّ وجّهه عن الناس تكبُّراً واحتقاراً لهم، وهنا كناية عن صفة التكبّر.

اللّحية:

تطلق اللّحية على العظمين اللّذين فيهما الأسنان السّفلى، الواحدة لحيّ بفتح اللام. وفي اللّحيّين النّكفتان وهما العظمان النّائتان عند شحمة الأذن⁴. والتّحيّ الغلام: نبتت لحيّته، فهو شَعْر الخدّين والدّقن⁵.

¹ البلد: 8-9.

² ابن سيده: المخصّص: 94/1.

³ لقمان: 18.

⁴ ينظر: الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس: 39 / 42. مادة (لحي).

⁵ ينظر: السيوطي: غاية الإحسان في خلق الإنسان. ص138.

وقد جاءت لفظة (اللَّحِيَّة) في القرآن الكريم على لسان هارون عليه السَّلام لأخيه موسى، وكان رجلاً محبوباً على الحدة والخشونة والتصلب، شديد الغضب لله ولدينه، فلم يتمالك حين رأى قومه يعبدون عجلًا من دون الله، فألقى ألواح التوراة لما غلب في ذهنه من الدهشة، وعنف بأخيه، وأقبل عليه إقبال العدو المكاشف الغاضب، قابضاً على شعر رأسه، وكان أقرع، وعلى شعر وجهه يجره إليه¹، وهذا في قوله تعالى: "قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي"².

الدَّقْنُ:

دَقْنُ الإنسان مُجتمع لحيته، وهو مذكَّر وفي المثل: من استعان بدقنه ودقنه، يقال لمن لا يستعين بمن لا دفع عنده، وبمن هو أذلَّ منه، والجمع أدْقَانٌ³. وفي حديث عائشة: "توفي رسول الله بين سحري ونحري، وحاقتي وذافنتي"⁴.

وقد تكررت الأدْقَانُ مجموعة في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع في قوله تعالى: "وَيَحْزَنُونَ لِلْأَدْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا"⁵ فالعلماء الذين قرأوا الكتب السالفة من قبل تنزُّل القرآن، وعرفوا حقيقة الوحي، تمكنوا من تمييز الحق والباطل، فإذا يُتلى عليهم القرآن يسقطون بسرعة على وجوههم، تعظيماً لأمر الله وشكراً لإنجاز ما وعد به في تلك الكتب، فقد ذُكر الدَّقْنُ لأنه أول ما يُلقى الساجد به إلى الأرض⁶، فقد أُريد به أسفل الوجّه.

¹ ينظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: 84/3.

² طه: 94.

³ ينظر: ابن منظور: لسان العرب: 172/13. مادة (دقن).

⁴ ابن فارس: مقاييس اللغة: 357/2. مادة (دقن).

⁵ الإسراء: 109. والدلالة نفسها في: الإسراء 107/يس 8.

⁶ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 69/3.

العُنُق:

يبين ابن منظور دلالة (العُنُق) بقوله: "الرَّقَبَة، والجمع أَعْنَاق، نقول رَجُلٌ أَعْنَقُ وامرأة عَنَقَاء، كما نقول عانقَه، ويُعانقُه مُعانقَه، والمُعانقَة في السلام والاعتناق في القتال"¹. وجاء في الحديث: "المؤذنون أطول أعناقاً يوم القيامة"² وهو من قولهم: لهم عنق في الخير. وعنق الصَّيف والشتاء أولهما³.

تكررت في القرآن الكريم في تسعة مواضع قال تعالى: "إِذْ يُوحَىٰ رُبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأَلِقَىٰ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ"⁴ فالضرب فوق الأعناق (الرؤوس) أبلغ لأن أي شيء يؤذي الدماغ، فقد ثبت الله المؤمنين وبشرهم بالنصر والقتال معهم، فلا تثبت أفضل من ضرب الأعناق وضرب البنان، دلالة على التمكن من أسر المقاتل أو قتله⁵.

إن الله يجعل الأغلال وهي القيود في أعناق الذين كفروا، حيث تجمع أيديهم مع أعناقهم، وهذا جزاء أعمالهم السيئة، قال تعالى: "وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ تُحِزُّونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"⁶ والغل طوق تشدّ به اليد إلى العنق، وقيل الأغلال هي أعمالهم التي هي لازمة لهم، ومجازون عليها بالعذاب⁷، وقد يكون غلّ اليد إلى العنق دلالة على التقدير والبخل في النفقة، كما في قوله

¹ ابن منظور: لسان العرب: 27/10 مادة (عنق).

² الجزري: النهاية في غريب الحديث والأثر: 310/3.

³ ابن منظور: لسان العرب: 28/10. مادة (عنق).

⁴ الأنفال: 12.

⁵ ينظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي: 94/3.

⁶ سبأ: 33. والدلالة نفسها في: الرعد 58/ يس 8/ غافر 71.

⁷ ينظر: الرازي: التفسير الكبير: 8/19.

تعالى: "وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا
مُحْسَرًا"¹.

الجيد:

العُنُق، أو مقلده أو مقدمه، نقول: هو أجيد جيد، وغلب اللفظ المرأة، وقد يُنعت به
الرَّجُل، وامرأة جيداء: إذا كانت طويلة العنق وحسنة². جاء ذكر هذا العضو في القرآن الكريم
في قصة أبي لهب، في قوله تعالى: "فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ"³.

الرقبة:

هي العُنُق، وقيل: "مؤخر أصل العنق، والجمع رَقَبٌ وِرْقَابٌ وِرْقَابٌ وِرْقَابٌ. وفي حديث
ابن سيرين: "لنا رقاب الأرض" أي نَفَس الأرض، وما كان من أرض الخراج فهو للمسلمين،
ليس لأصحابه الذين كانوا فيه قبل الإسلام"⁴.

وتعبر العربية بالرقبة عن ذات الإنسان من قبيل تسمية الكل بأشرف أجزائه؛ فنقول:
أعتق رقبة: أي حرر عبداً أو أمة أو أطلق أسيراً، وقيل هي العظم الغليظ في وسط العُنُق⁵. وقال
وقال تعالى: "فَإِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ"⁶ فيرشد الله المؤمنين إذا لقوا
المشركين في حروبهم أن يحصدوهم بالسيوف.

وقد رسم القرآن الكريم صورة المجادل في الله بغير علم ولا هدى؛ حيث يكون لاوياً
عنقه دلالة على الصدود، استخفافاً وإعراضاً عن الحق كما في قوله تعالى: "ثَانِي عَطْفِهِ"

¹ الإسراء: 29.

² ينظر: ابن منظور: لسان العرب: 139/3. مادة (جيد).

³ المسد: 5.

⁴ ينظر: ابن منظور: لسان العرب مادة (رقب): 427/1.

⁵ ينظر: السيوطي: غاية الإحسان في خلق الإنسان. ص 144.

⁶ محمد: 4.

لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ^ط وَنُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ¹.

المِرْفَقُ:

هو أعلى الذراع، وأسفل العضد، والمِرْفَقُ: "المُتَكَأ، وقد تَرَفَّقْتُ عليه: توكأت"²، وجاء ذكره في القرآن الكريم في آية الطَّهارة، باعتباره من الأعضاء التي يجب غسلها، في قوله تعالى: "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ^ط" وهو غسل المرافق.

الذَّرَاعُ:

يُطلق على ما بين طرف المِرْفَقِ إلى طَرَفِ الأصبع الوسطى، واللفظة أنثى وقد تُذَكَّرُ، وَذَرَعَ الرَّجُلُ: رفع ذراعيه منذراً، والذَّرْعُ: الوُسْعُ والطَّاقَةُ، وفي المَثَلِ: هو لك على حبل الذراع أي أعجله لك نقداً³.

البَطْنُ:

كلُّ شيءٍ خلاف الظَّهر، كبطن الأرض وظهرها، ج أَبْطَنُ وَبُطُونٌ، ومن المجاز: البَطْنُ دون القبيلة، أو دون الفخذ وفوق العمارة، مذكَّرٌ، والبَطْنُ، جوف كلِّ شيءٍ، وتصغيره بُطَيْنٌ⁴.

وقد ورد ذكره في القرآن الكريم في عشرة مواضع، في قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا^ط أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ

¹ الحج: 9.

² ابن سيده: المخصَّص. 137/1.

³ ابن منظور: لسان العرب: 93/8. مادة (ذرع).

⁴ ينظر: الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس: 260/34 مادة (بطن) ويوافقه لسان العرب 52/13.

أَلِيمٌ¹ فالذين يكتمون صفة محمد ونبوته في كتبهم، لئلا تذهب رئاستهم وما كانوا يأخذوه من العرب من هدايا وتحف، يأكلون مقابل كتمان الحق ناراً في بطونهم يوم القيامة، والعقاب نفسه للذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً، في قوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا^٢ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا"² فذكر البطون للدلالة والتأكيد على حقيقة الأكل، فإذا أكلوا أموال اليتامى بلا سبب؛ فإنما يأكلون ناراً تتأجج في بطونهم يوم القيامة، إذا قد يستعمل مجازاً في مثل: أكل فلان أرضي ونحوه، وفي ذكرها تنبيه على جشعهم، وأنهم باعوا آخرتهم بحظهم من الطعام، فسمى ما أكلوه من الرشاء ناراً لأنه يؤدي بهم إلى النار، ولأنهم أكلوا ما يجب النار فكأنهم أكلوا النار³.

وجاءت على لسان أم مريم عليهما السلام، عندما نذرت ما في بطنها محرراً لخدمة بيت المقدس، في قوله تعالى: "إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي^٤ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ"⁴ كناية عن الجنين وهي مريم عليها السلام.

الظُّهْرُ:

الظُّهْرُ من كلِّ شيءٍ خلاف البَطْنِ، ومن الإنسان هو من لُذُنٍ مؤخَّر الكاهل إلى أدنى العَجْزِ عند آخره، مذكَّر، وهو من الأسماء التي وضعت موضع الظُّروف، والجمع أَظْهُرُ وظُهُورٌ وظُهُرَانٌ. وقيل: هو ست فقرات يكتنفها المَتَّانُ⁵.

وقد تكرَّر في آيات القرآن الكريم تسع مرات، في سياقات متعدِّدة؛ منها النَّبْذُ وراء الظهر، وقيل هو كالطَّرْحِ وترك الاعتداد، ونقيضه جعله نصب عينيه⁶، وألقاه بين عينيه، كما

¹ البقرة: 174.

² النساء: 10.

³ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 1 \ 457.

⁴ آل عمران: 35.

⁵ ينظر: ابن منظور: لسان العرب: 4/520. (مادة ظهر).

⁶ ينظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: 1/478.

في قوله تعالى: "وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ" ¹ وهو كناية عن التّرك وعدم العمل به. ² أمّا الحمل على الظهور، فقد وردت في قوله تعالى: "قَدْ حَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَحْسِرْتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أُوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ" ³ فقد أنكر الكافرون البعث والقيامة، فسيأتيهم عملهم على ظهورهم على هيئة رجل أسود منتن الريح، وعند بعثهم يوم القيامة تقول لهم أعمالهم كنت أحملك في الدنيا بالذات والشّهوات، وأنت اليوم تحملني فيركب على ظهره ويسوقه حتى يدخله النار، ⁴ وهنا استعارة تمثيلية، فقد بيّن سوء حالهم وشدة ما يجدونه من المشقة والآلام والعقوبات العظيمة بسبب الذنوب.

وأخذ الله ذريّات بني آدم من ظهورهم، فأخرج من أصلابهم نسلًا، كما في قوله تعالى: "وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ" ⁵. ويكون التعذيب بكّي الظهور بنار جهنم يوم القيامة، كما في قوله تعالى: "يَوْمَ نُحَمِّئُ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فُتُكُومًا بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ" ⁶ حيث يلصق الله الحديد بالعضو بالعضو حتى يحترق الجلد والجباه والجنوب، والكّي في الوجه أشهر، وفي الظهر ألم وأوجع، فذلك خصّها بالذكر من بين سائر الأعضاء. ⁷

¹ البقرة: 101.

² وردت في آل عمران 187/ الأنعام 94/ الأنفاق 10.

³ الأنعام: 31.

⁴ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 2/130.

⁵ الأعراف: 172.

⁶ التوبة: 35.

⁷ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 2/352.

الصدر:

بيّن ابن منظور الدلالة اللغوية للجذر (ص د ر) بقوله: "الصدر أعلى مُقَدَّم كل شيء وأوله، فيقولون صدر النهار والليل، وصدّر الشتاء والصيف"¹ والصدر من جسم الإنسان" ما انطبق عليه الكتفان وجمعه صدور"². فالصدر عضو خارجي في جسم الإنسان، وهو مركز الوعي ومستقرّ الشعور.

ورد الصدر في القرآن الكريم مفرداً ومجموعاً (صدور) في تسعة وعشرين موضعاً، فالله سبحانه وتعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، كما في قوله عزّ وجلّ: "يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ"³ فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فعلمه محيط بالإنسان في سائر أحواله وأزمانه قال تعالى: "قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يُعَلِّمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ"⁴.

كما ورد الصدر في سياقات انشراح الصدر وضيقة؛ فمن أراد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام؛ فيبسطه ويسهله، فقال عزّ وجلّ: " فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ ^ط وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ تَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ^ج كَذَلِكَ تَجْعَلُ اللَّهُ الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ "⁵ فقد بيّن ابن كثير أن النبيّ سئل عن هذا فقالوا: " كيف يشرح صدره يا رسول الله؟ قال: نور يُقذف فيه فينشرح له وينفسح، قالوا: فهل لذلك أمانة يُعرف بها؟ قال: الإنابة إلى دار الخلود والتّجافي عن

¹ ابن منظور: لسان العرب: 4 / 445.

² ابن سيده: المخصّص: 1 / 153.

³ غافر: 19.

⁴ آل عمران: 29. وردت نفس الدلالة في: آل عمران 119، النساء 90، المائدة 7، الأعراف 2، الأعراف 43 وغيرها.

⁵ الأنعام: 125. نفسها في: هود 12 / الحجر 97 / الشعراء 13 / العنكبوت 33.

دار الغرور، والاستعداد قبل لقاء الموت¹. وفي المقابل ورد ذكر ضيق الصدر في الآية السابقة، حيث يجعل الله صدره لا يتسع لشيء من الهدى، ولا ينفذ فيه شيء ينفعه من الإيمان. قيل الحرجة هي شجرة تكون بين الأشجار لا تصل إليها راعية ولا وحشية ولا شيء².

إنّ الله يشفي صدور المؤمنين من ألم الغيظ على الكافرين، حيث كانت قلوبهم مملوءة غضباً وحمية لأجل الدين، وهذا عن طريق تثبيت قلوبهم وتعذيب الكافرين بأيديهم قتلاً وأسراً، كما في قوله تعالى: "قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَتُخْزِيهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ"³. كما يشفي الله الصدور من العقائد الفاسدة؛ بما في القرآن من موعظة وهداية ورحمة من الله، قال تعالى: "يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ"⁴.

الترايب:

عرفها ابن سيده في المخصّص بقوله: "الترايبان الضلعان اللتان تليان الترقوتين، وهي ما بين الثديين والترقوتين، والجمع ترايب وترايب"⁵ وقيل: "الترايب موضع القلادة من الصدر، أو عظام الصدر، أو هي أربعة أضلاع من يمنة الصدر وأربعة من يسرته"⁶. قال امرؤ القيس⁷:

القيس⁷:

(الطويل)

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترايبها مصقولة كالسّجنجل

¹ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 2/175.

² ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 2/76.

³ التوبة: 14.

⁴ يونس: 57.

⁵ ابن سيده: المخصّص: 1/154.

⁶ ابن منظور: لسان العرب: 1/230. مادة (ترب).

⁷ العقد الثمين في دواوين الشعراء الجاهليين. ص150.

ووردت في قوله تعالى: " تَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ " ¹ أي يخرج الماء

المكوّن للولد من بين صُلْب الرِّجُل وترائب المرأة وهي عظام صدرها².

الجَنب:

بيّن ابن منظور دلالة الجذر (ج ن ب) بقوله: "الجَنبُ والجَنبَةُ والجَانِبُ: شقّ الإنسان وغيره، تقول: قعدت إلى جانبه، والجمع جُنُوبٌ وجَوَانِبٌ وجَنَائِبٌ"³. وفي حديث أبي هريرة في الرِّجُل الذي أصابته الفاقة: "خرج في البرية فدعا الرّحى تطحن، والتّور مملوء جنوب الشّواء"⁴ الشّواء⁴ وهي جمع جَنَب، يريد جَنَب الشّاة أي أنه كان في التّور جنوب كثيرة لا جنب واحد.

تكرّرت الجَنب في القرآن الكريم في أربعة مواضع؛ منها قوله تعالى: "الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ"⁵ وصفت الآية الذين يذكرون الله دائماً على الحالات كلّها؛ قائمين وقاعدين ومضطجعين.

وذُكرت في وصف المؤمنين حيث ترتفع وتنتحى جنوبهم عن الفُرش ومواقع النّوم داعين الله، خوفاً من سخطه وطمعاً في رحمته، في قوله تعالى: "تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ"⁶. أمّا عن عذاب الكافرين يوم القيامة في قوله تعالى: "يَوْمَ تُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا

¹ الطّارق: آية 7.

² ينظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي: 476 / 5.

³ ابن منظور: لسان العرب: 1/575 مادة (جنب).

⁴ الجزري: النّهاية في غريب الحديث والأثر: 1/304.

⁵ آل عمران: 191. والدلالة نفسها في: النساء: 103.

⁶ السّجدة: 16.

جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ^ط هَذَا مَا كَفَرْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ
تَكْفُرُونَ¹.

الرَّجُلُ:

هي قَدَمُ الْإِنْسَانِ وَغَيْرِهِ، وَقِيلَ تَمَتَّأَ مِنْ أَصْلِ الْفَخَذِ إِلَى الْقَدَمِ، أُنْثَى، وَأَرْجُلٌ: عَظِيمُ
الرَّجُلِ، وَهُوَ الْعَضْوُ الْمَخْصُوصُ بِأَكْثَرِ الْحَيَوَانَاتِ².

وردت (الرَّجُلُ) مفردة في آي القرآن الكريم، ومثناة ومجموعة (أَرْجُلٌ) في خمسة عشر
موضعاً، قال تعالى: "أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ^ط هَذَا مُغْتَسِلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ"³ والمقصود في الآية
السَّابِقَةُ أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَدْ صَبَرَ عَلَى مَا أَصَابَهُ مِنَ الْبَلَاءِ وَالشَّدَّةِ وَالْمَرَضِ، فَلَمَّا انْقَضَتْ
مَدَّةُ بَلَاتِهِ قِيلَ لَهُ ارْكُضْ وَاضْرِبْ رِجْلَكَ الْأَرْضَ، فَفَعَلَ فَنَبَعَتْ عَيْنُ مَاءٍ، وَأَمْرَهُ اللَّهُ أَنْ يَغْتَسِلَ
مِنْهَا فَفَعَلَ، فَذَهَبَ كُلُّ دَاءٍ كَانَ بِهِ.

وذكر الله الأَرْجُلَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي سِيَاقِ غَسْلِهَا، بِاعْتِبَارِهَا أَعْضَاءً وَاجِبَةً الْغَسْلِ فِي
الْوُضُوءِ وَالِاغْتِسَالِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: "يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا
وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ"⁴. كما
تعدُّ الأَرْجُلُ مِنَ الْأَعْضَاءِ الَّتِي يُشْهَدُهَا اللَّهُ عَلَى الْإِنْسَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَتَنْتَقِ بِمَا كَانَ يَفْعَلُهُ، كَمَا
فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: "يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ"⁵.

ويستتكر الله على الذين يتخذون من دونه آلهة (الأصنام)، ففقدرة المخلوقين تكون
بالجوارح، التي لا تكون للأصنام؛ فالبشر مفضلون على الأصنام بالأرجل الماشية، والأيدي

¹ التوبة: 35.

² ينظر: ابن منظور: لسان العرب: 11 / 368. مادة (رجل).

³ ص: 42.

⁴ المائدة: 6.

⁵ النور: 24.

الباطشة، والأعين الباصرة، والأذان السامعة¹، قال تعالى: «اللَّهُمَّ أَرْجُلُ يَمَشُونَ بِهَا^ط أَمْرَهُمْ
أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا^ط أَمْرَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا^ط أَمْرَهُمْ ءَأَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا²».

وقد أهلك الله الأقسام الكافرة بعذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم، كما في قوله تعالى:
«قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ³»
والعذاب الذي يكون من فوقهم؛ كالمطر الذي سلطه الله على قوم لوط، والحجارة على أصحاب
الفيل، وأرسل الطوفان على قوم نوح، أما العذاب الذي يكون من تحت أرجلهم فهو كإغراق
فرعون، وخسف قارون، وقيل: من فوقكم قصد بها حكّامكم وأكابرکم، ومن تحت أرجلكم؛
عبيدكم وسفلتكم، وقيل: هو حبس المطر والنبات⁴. وجاء ذكر الأيدي والأرجل في سياق تهديد
فرعون للسحرة الذين آمنوا بموسى قبل استئذانهم منه، كما في قوله عزّ وجلّ: «قَالَ فِرْعَوْنُ
ءَأَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ ءَأْذَنَ لَكُمْ^ط إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَّكْرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا
ءَأَهْلَهَا^ط فَسَوْفَ تَعْمُونَ ﴿١٢٢﴾ لَأَقْطِعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ ثُمَّ لَأُضِلَّنَّكُمْ
أَجْمَعِينَ⁵».

إنّ المرأة في الجاهليّة كانت تلبس الزينة برجلها وهي الخلخال، لكنّ الله نهى المؤمنات
عن مثل هذا؛ لأنّ طنينه يسمعه الرّجال، وجاء في قوله عزّ وجلّ: «وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ
لِيُعْلَمَ مَا تُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ⁶».

¹ ينظر: الزّمخشري: الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل: 2/ 178.

² الأعراف: 195.

³ الأنعام: 65.

⁴ ينظر: الزّمخشري: الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل: 33/2.

⁵ الأعراف: 124-125.

⁶ النّور: 31.

الْقَدَمُ:

بيّن الزبيديّ في تاج العروس أنّ "الْقَدَمَ هي الرَّجْلُ، وقال ابن السكيت: الْقَدَمُ من لدن الرُّسْعِ ما يطأ عليه الإنسان، مؤنّثة وجمعها أقدام. وإذا قصد بها الجارحة جاز فيها التأنيث والتذكير، وتصغيرها قُدَيْمَةٌ. والقَدَمُ كلُّ ما قَمَّتْ من خير أو شر"¹.

وردت الْقَدَمُ ومفردة ومجموعة (أقدام) في آي القرآن الكريم في ثمانية مواضع منها قوله تعالى: "أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ² قَالَ الْكٰفِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ"² والقدم هنا كناية عن الأجر الحسن بما قدّموا من الأعمال الصالحة³.

ساق:

السّاق من الإنسان هي ما بين الرُّكْبَةِ والقَدَمِ، وهي مؤنّث، وتصغيرها سَوَيْقَةٌ⁴. ورد ذكر السّاق في القرآن الكريم مفردة ومثناة ومجموعة، منها قوله تعالى: "قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ⁵ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا⁶ قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ⁷ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"⁵ فلما أراد سليمان عليه السّلام أن يختبر بلقيس وثباتها عند رؤية عرشها؛ قام بتغيير بعض الأشياء فيه، فقد أجرى من تحته الماء وألقى فيه حيوانات البحر ووضع سريره في صدره، فجلس عليه، ولما أبصرته ظنّته ماءً راكداً فكشفت عن ساقها⁶.

¹ الزبيديّ: تاج العروس من جواهر القاموس: 33/ 236. مادة (قدم).

² يونس: 2.

³ ينظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم. 2 \ 407.

⁴ ينظر: ابن منظور: لسان العرب: 3/ 345. مادة (سوق).

⁵ النمل: 44.

⁶ ينظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي: 4/ 270.

الكعب:

يطلق الكعب على العظمين الناشزين فوق ظهر القدم، أو هما العظام المرتفعان عند ملتقى الساق بالقدم¹. ويدلّ الأصل اللغوي (ك ع ب) على "نتوء وارتفاع الشيء، منه كعب الإنسان، والكعبة بيت الله، ويقال سُمي لنتوءه وتربيعة، وذو الكعبات: بيت لربيعه وكانوا يطوفون به، والمرأة الكاعب أو الكعاب: إذا نتأ ثديها، والكعب من السمن قطعة منه، وكعوب الرّماح². ويدلّ الكعب على الشرف والمجد، كقولهم: أعلى الله كعبكم: رفع شأنكم، ورجل عالي الكعب: يوصف بالشرف والظرف، ونقيضها ذهب كعبكم: ذهب شرفكم. والكعب كعب الرّمح، وهو ما بين كلّ عقدتين³. وورد في شعر عنتره⁴:

فطعنت بالرمح الأصمّ كعوبه ليس الكريم على القنا بمحرّم
ورد الكعب في القرآن الكريم في آية الطهارة في قوله تعالى: "فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ
وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ"⁵.

وهكذا مضت الباحثة في بيان وتفصيل للألفاظ الدالة على الإنسان بكليّاته وجزئياته في آيات القرآن الكريم، وستعرض في الفصل الرابع القضايا اللغويّة التي تنتظم الألفاظ السابقة جميعها.

¹ ينظر: ابن سيده: المخصّص: 176 / 1.

² ابن فارس: مقاييس اللّغة: 186 / 5. مادة (كعب).

³ ينظر: الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس: 151 / 4. مادة (كعب).

⁴ عنتره: ديوانه. ص 174.

⁵ المائدة: 6.

الفصل الرَّابِع

قضايا لغويّة

أولاً: الاشتراك اللفظي

ثانياً: الاشتراك المعنوي

ثالثاً: الألفاظ التي لم ترد إلاّ مجموعة

رابعاً: اشتقاق الأفعال من أعضاء جسم الإنسان

خامساً: الألفاظ الدالة على الإنسان بكليّاته وجزئياته بين العربيّة والسّاميّة

الفصل الرابع

قضايا لغوية

حظيت الدراسات اللغوية عند الباحثين العرب القدماء والمحدثين بنصيب وافر من الاهتمام والبحث، مما أوجد مضماراً واسعاً لجدل اللفظ والمعنى، وما يكتنف استعمال اللغة من متغيرات كتنوع السياق وغيرها، وقد أفضى بها إلى ظواهر من الترادف والمشارك والأضداد مما أسموه علاقة دلالية بين المفردات ضمن الحقل الدلالي المعين، حيث تنتظم الألفاظ الدالة على الإنسان بكيّاته وجزئياته في القرآن الكريم قضايا لغوية واضحة؛ كالاشتراك اللفظي من أضداد وتضاد، والاشتراك المعنوي (الترادف)، واشتقاق الأفعال من أعضاء جسم الإنسان والألفاظ التي لم ترد إلاّ جمعا، ومقارنة بين ورود هذه الألفاظ في العربية والسامية.

أولاً: المشترك اللفظي

عرّفه السيوطي بقوله: "المشترك هو اللفظ الواحد الدالّ على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل اللغة"¹. كما عرّفه ابن فارس في الصحابي بقوله: "هو أن تسمي الأشياء بالاسم الواحد، نحو: عين الماء، وعين المال، وعين السحاب"².

بيّن إبراهيم أنيس أنّ المشترك اللفظي هو: "أن يدلّ اللفظ الواحد على أمرين مختلفين اختلافاً بيناً، أمّا إذا اتّضح أحد المعنيين هو الأصل والآخر مجاز له؛ فلا يصحّ أن يعدّ هذا من المشترك اللفظي في حقيقة أمره"³. فالمشترك هو "الكلمة التي تشير لدلالات مختلفة"⁴.

لقد اهتمّ العلماء المشتغلون بعلم القرآن الكريم بالمشترك اللفظي وعلاقته بالقرآن الكريم والإعجاز وتفسير كتاب الله عزّ وجلّ؛ حيث تحدّثوا عنه باتّصاله في بعض جوانبه مع ما جاء

¹ السيوطي، عبد الرحمن جلال الدين: المزهري في علوم اللغة وأنواعها. شرحه: محمد أحمد جاد المولى بيك وزملاؤه. صيدا: منشورات المكتبة العصرية، 1992. 369/1.

² ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: الصحابي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها. تحقيق: عمر فاروق الطباع. ط1. بيروت: مكتبة المعارف، 1993. ص52.

³ أنيس، إبراهيم: دلالة الألفاظ. ص212-213.

⁴ بالمر، ف.ر: مدخل إلى علم الدلالة. ص123.

في كتب أصول الفقه؛ إذ عرفوه وبيّنوا مكانته في القرآن الكريم، وعلاقته ببعض فنون البلاغة، وعده بعضهم من وجوه إعجاز القرآن الكريم¹.

ورد في الألفاظ الدالة على الإنسان بكليّاته وجزئياته مشتركاً لفظياً في كلمات متعدّدة:

1- الأُمَّة:

وردت الأُمَّة في آيات القرآن الكريم بمعانٍ مختلفة، حيث جاءت بمعنى الإمام الصّالح الذي يؤتمّ به، ويكون علماً في الخير، كما في قوله تعالى: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا"²، كما وردت بمعنى الجماعة في قوله تعالى: "وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ"³. أمّا في قوله تعالى: "وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنْتَبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ"⁴ فقد جاءت بمعنى الحين والمدة من الزمن. وذكرت الأُمَّة بمعنى الدين كما في قوله تعالى: "كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ"⁵ فقد كان الناس على دين واحد كفاراً، فبعث الله النبيين فاختلّفوا عليهم.

وتأتى الأُمم بمعنى المخلوقات مثل قوله تعالى: "وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ"⁶ فالطير أمة والإنس أمة والجنّ أمة، وهي طوائف وأمم

¹ المنجد، محمد نور الدّين: الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق. ط1. دمشق: دار الفكر. 1999. ص82-83.

² النحل: 120.

³ القصص: 23. وردت الدلالة نفسها في البقرة: 134.

⁴ يوسف: 45.

⁵ البقرة: 213. وردت الدلالة نفسها في: الزخرف: 23.

⁶ الأنعام: 38.

قبل الإنسان في الخلق والبعث والموت والاحتياج إلى مدبر أمرها، وهي محفوظة أحوالها، ومقدرة أرزاقها وآجالها¹.

2- الأم:

وردت كلمة (الأم) في الكتاب الحكيم بمعنيين، الأول: الوالدة التي ولدت، كما في قوله تعالى: "خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ² تَخْلُقْكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ³"، والأم بمعنى المسكن كما في قوله تعالى: "وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ⁴" وأم الشيء ذاته، فذاته هاوية في جهنم، وهذا جزء من نقصت حسناته عن سيئاته، فمسكنه ومصيره نار جهنم يهوي في قعرها، وسماها الله الأم لأن الأم مأوى الولد ومفرغه، ونار جهنم تؤوي هؤلاء المجرمين، كما يأوي الأولاد إلى أمهم، وتضمهم إليها كما تضم الأم الأولاد⁴.

الزَّوْج:

يطلق الزوج على الزوجة أو زوج المرأة كما في قوله تعالى: "أَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ⁵". وتأتي الزوج بمعنى الصنف سواء أكان من الحيوان كما في قوله تعالى: "فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا⁶" أي أن الله أوجد لكم النساء فالذكر مكمل للأنثى، والأنثى مكملة للذكر. وخلق لكم كذلك من الإبل والبقر والضأن والمعز أصنافاً ذكوراً وإناثاً. أو الصنف من النبات كما في قوله

¹ ينظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: 12/2.

² الزمر: 6.

³ القارعة: 8-9.

⁴ انظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي: 522/5.

⁵ الزخرف: 70.

⁶ الشورى: 11.

وتدلّ على الثبات والقوّة والنصر كما في قوله تعالى: **أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ** ¹ وهم الذين يوالون أولياء الله ويعادون أعداءه، فقد أثبت الله الإيمان في قلوبهم، ووفّقهم وشرح صدورهم وأيدّهم بلطف منه سبحانه². وجاءت الرّوح بمعنى جبريل عليه عليه السّلام، وهو أيضاً روح القدس، كما في قوله تعالى: **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ** ﴿١٥٢﴾ **عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ** ³، ودلّت الرّوح على عيسى عليه السّلام في قوله تعالى: **إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ** ⁴ فالذي نفخه الله في آدم وفينا لم يعطِ علمه احداً من عباده، وهو جارٍ في جميع الجسد بعد خلق الإنسان وتصويره على ما ينبغي، وأضافه إلى نفسه تشريفاً له وإشعاراً بأنّه خلق عجيب.

العَيْن:

يقال العَيْن: " ذات الشيء"⁵، قال ابن الجوزي: "العَيْن من الأسماء المشتركة والأصل فيها العين الباصرة، ثم هي بالوضع العُرْفِي منقولة إلى مواضع". تعدّدت دلالات كلمة (العَيْن) في القرآن الكريم، حيث أراد الله بها العَيْن الباصرة في قوله تعالى: **أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ** ⁶. ودلّت على عين الماء في قوله تعالى: **إِنَّ الْمَتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ** ⁷. وقصد بها القلب القلب في قوله تعالى: **الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ**

¹ المجادلة: 22.

² ينظر: الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: 4/496.

³ الشعراء: 193.

⁴ النساء: 171.

⁵ ابن الجوزي، جمال الدّين أبو الفرج عبد الرحمن: نزهة الأعيان النّواظر في علم الوجوه والنظائر. تحقيق: محمد عبدالكريم كاظم الرّاضي. ط1. بيروت: مؤسسة الرّسالة. 1984. ص443.

⁶ البلد: 8.

⁷ الحجر: 45.

سَمْعًا¹ لبيان شدة انصرافهم عن قبول الحق، فأعين قلوبهم كانت في غفلة عن ذكر الله وتوحيده والإيمان به.

الأب:

تنوّعت دلالات كلمة (الأب) في القرآن الكريم؛ فقد دلّت على الأب الأدنى في قوله تعالى: "وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ ءَأَزَرَ أَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءِإِلَهَةً ۗ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ مَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ"²، وجاءت بمعنى الجدّ في قوله تعالى: "وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ"³، دلّت على العمّ في قوله تعالى: "أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ ءَابَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ"⁴، فاسماعيل عمّ يعقوب، وأراد الله بالأب الخال في قوله تعالى: "وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا"⁵.

الساق:

وردت الساق في القرآن الكريم بمعنى العضو المعروف في قوله تعالى: "رُدُّوهَا عَلَىٰ" ^ط فطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ"⁶ وهي هنا جمع ساق. وكنى بها عن الشدّة في قوله تعالى: "وَالْتَفَتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ"⁷، أي والتوت ساقه بساقه، فلا يقدر على تحريكها، أو اختلط

¹ الكهف: 101.

² الأنعام: 74.

³ يوسف: 38.

⁴ البقرة: 133.

⁵ يوسف: 100.

⁶ ص: 33.

⁷ القيامة: 29.

اختلط فراق الدنيا بشدة خوف الآخرة، فدلّت الساق هنا على الشدة وليس على العضو المعروف¹.

الآل:

ذكر أهل التفسير أنّ كلمة (الآل) جاءت في القرآن الكريم على أربعة أوجه²، إذ أراد الله بها أهل بيت الرّجل المتكفين بنسبه، كما في قوله تعالى: "وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ³" أي من أمتة وحيه ومن يدانيه في النسب، أمّا في قوله تعالى: "إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ⁴" فقصدها ذرية الرّجل، وفي قوله تعالى: "وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ⁵" جاءت آل بمعنى أهل دين الرّجل. وتعني صلة في الكلام كما في قوله تعالى: "وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ⁶" أي مما ترك موسى وهارون.

القلب:

جاء القلب في القرآن الكريم على أوجه متعدّدة؛ حيث ورد القلب بمعنى محلّ النفس كما في قوله عزّ وجلّ: "أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ

¹ ينظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي. 424/5.

² ينظر: ابن الجوزي: نزهة الأعيان النواظر في علم الوجوه والنظائر. ص122.

³ غافر: 28.

⁴ آل عمران: 33.

⁵ البقرة: 50.

⁶ البقرة: 248.

يَسْمَعُونَ بِهَا ^ط فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ¹.
 وبمعنى الرأي في قوله تعالى: "لَا يُقْتَلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قَرْىٍ مُحْصَنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ
 جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ" ^ج تَحَسُّبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ^ح ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا
 يَعْقِلُونَ ², وبمعنى العقل في قوله تعالى: "إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ
 أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ" ³. فالقلب هو الوسط من كل شيء.

الْقَدَمُ:

للقدم في القرآن الكريم معانٍ مختلفة، فهي القدمُ العضو المعروف مفصل الكعب تحت
 الساق إلى الأظفار، كما في قوله تعالى: "إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ
 السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ
 وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ" ⁴. ودلت على سابقة الاختيار في قوله عز وجل: "أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا
 أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صِدْقٍ
 عِنْدَ رَبِّهِمْ" ^ط قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ⁵, أما في قوله تعالى: "وَلَمَّا
 بَرَزُوا لِحَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى
 الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ" ⁶. فقد دلت على القلب، لأنَّ القدمُ يثبت بثبات القلب، وقد تزلَّ النفس عن
 عن الطاعة كما في قوله تعالى: "وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ

¹ الحج: 46.

² الحشر: 14.

³ ق: 37.

⁴ الأنفال: 11.

⁵ يونس: 2.

⁶ البقرة: 250.

ثُبُوتِهَا وَتَذَوُّقُوا السُّوَاءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ^ط وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ¹ كُنَى بِالْقَدَمِ
هنا عن نقض البيعة. والقدم حديثاً وحدة قياس، وقد تعني التقدّم والسبق، فيقال: له قدم في العلم.

الْوَجْه:

بيّن ابن الجوزي أنّ الوَجْهَ في القرآن الكريم جاء على ستّة أوجه²: فهو الوَجْهَ المعروف
في الحيوان، ومنه قوله تعالى: "يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ"³ والوَجْهَ الدّين كما في قوله
تعالى: "وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى"⁴. وقصد
وقصد بها الذات كما في قوله تعالى: "وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ
وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ^ط وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا"⁵, وتعني
أول النهار: "وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا
وَجَهِ النَّهَارِ وَكَفَرُوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ"⁶, وبمعنى الحقيقة في قوله تعالى: "ذَلِكَ
أَدْنَىٰ أَن يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهَيْهَا أَوْ يخَافُونَ أَن تَرَدُّ أَسْمَانُ بَعْدَ أَيْمَانِهِمْ ^ط وَأَتَّقُوا اللَّهَ
وَأَسْمَعُوا ^ط وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ"⁷, أي على حقيقتها، أمّا قوله تعالى: "وَاللَّهُ
الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ^ج إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ"⁸ فقصد بها علمه.

الرَّحْم:

¹ النحل: 94.

² ابن الجوزي: نزهة الأعين والنواظر في علم الوجوه والنظائر. ص617.

³ آل عمران: 106.

⁴ لقمان: 22.

⁵ الكهف: 28.

⁶ آل عمران: 72.

⁷ المائدة: 108.

⁸ البقرة: 115.

دلّت الأرحام على القرابة كما في قوله تعالى: "الْنَبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ^ط وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ^ط وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا^ج كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا¹" فأولو القربابات بعضهم أولى ببعض في التوارث. وجاءت بمعنى النساء في قوله تعالى: "يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً^ج وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ^ج إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا²" أي اتقوا الله الذي يسأل بعضكم بعضاً، فنقول أسألك بالله، والأرحام أيضاً مما يُتَّقَى أو يُسأل به، وقد نبّه سبحانه وتعالى إذ قرن الأرحام باسمه الكريم على أنّ صلّتها بمكان منه، فهي معلقة بالعرش تقول: ألا من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعته الله.³

اللسان:

من تعدّد دلالات اللسان مجيئه بمعنى العضو المعروف في الفم كما في قوله تعالى: "لَا تُحْرِكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ⁴"، وهذه الآية فيها تعليم من الله عزّ وجلّ لرسوله في كيفية تلقّيه الوحي من الملك، فإنّه كان يبادر إلى أخذه ويسابق الملك في قراءته، فأمره الله عزّ وجلّ إذا جاءه الملك أن يستمع له، وتكفّل الله أن يجمعه في صدره، فلا تحرك لسانك يا محمد بالقرآن من قبل أن يُفَضَى إليك وحيه⁵.

¹ الأحزاب: 6، والدلالة نفسها في الأنفال: 75، محمد: 22، الممتحنة: 3.

² النساء: 1.

³ ينظر: البيضاوي: تفسير البيضاوي: 140/2.

⁴ القيامة: 16.

⁵ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 4504.

كما أراد الله باللسان اللّغة في قوله تعالى: "وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ"

لِيُبَيِّنَ لَهُمْ¹ فما أرسل من رسول إلا بلغة قومه، الذي هو منهم وبعث فيهم، ليبيّن لهم ما أمروا به فيفقهوه ببسر وسهولة.

وقصد الله باللسان الدّعاء في سياق لعنة داوود وعيسى عليهما السّلام لكفار بني اسرائيل، في قوله تعالى: "لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ² ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾" فقد لعن الله الكافرين من بني اسرائيل في دعاء داوود وعيسى بسبب عصيانهم لله واعتدائهم على خلقه³. وجاء اللّسان في القرآن الكريم بمعنى الثّناء، كما في قوله تعالى على لسان إبراهيم الخليل: "وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ"⁴.

وبعد استعراض ظاهرة المشترك اللفظي في طائفة من الكلمات للدلالة على الإنسان بكلّياته وجزئياته في القرآن الكريم، يتبيّن لنا ما لهذه الظاهرة من عظيم الأثر في تحقيق نوع من الموسيقى الداخليّة، والملاءمة اللفظيّة والأداء اللّغوي الرقيق الناتج عن ورود اللفظ بمعنيين في آية واحدة، أو في آيتين متجاورتين⁵.

الأضداد:

نوع من أنواع المشترك اللفظي وهو كلّ لفظ يؤدّي معنيين متضادّين أو متقابلين، ككلمة (الجَوْن) للأبيض والأسود وكلمة (الجَلَل) للعظيم والحقير، وهناك من أبطل الأضداد وأنكرها إنكاراً تاماً، وأشهر من فعل هذا ابن دُرستويه، فقد ألف كتاباً أسماه (إبطال الأضداد)، ومنهم من

¹ إبراهيم: 04 وردت الدلالة نفسها في مريم: 50/مريم: 97/القصص: 34/الدخان: 58.

² المائدة: 78.

³ انظر: ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 83/2.

⁴ الشعراء: 84. وجاءت الدلالة نفسها في مريم: 50.

⁵ عمر، أحمد مختار: الاشتراك والتضاد في القرآن الكريم. القاهرة: عالم الكتاب. 1997. ص113.

أقرّ بوجودها وعدّها منقّصة للعرب¹. واشترط السيوطي للأضداد أن يكون استعمال اللفظ في المعنيين في لغة واحدة².

فالأضداد نوع من الدلالة يقوم على الألفاظ التي تدلّ على المعنى وضده، وقد يطلق عليه التّضاد، ولم يفرّق بعض العلماء بينهما، فاعتبروا الأضداد عين التّضاد، فالتّضاد في اصطلاح القدامى يعني: "أن يتفق اللفظ ويختلف المعنى، فيكون اللفظ الواحد على معنيين فصاعداً"³، لكن الاختلاف بينهما أنّ الأضداد يكون بين دلالتى لفظ واحد، حيث يتحد اللفظ ويختلف المعنى، بينما التّضاد يكون بين دلالتى لفظين مختلفين، ومن أمثلة الأضداد التي وردت في الألفاظ الدالة على الإنسان في القرآن الكريم بكلّياته وجزئياته:

1- الذّقن:

ورد في كتاب (الأضداد في كلام العرب) أنّ "الذّقن: مُجتمع اللّحيين من طرف الفكّ، ثمّ قالوا: أخذ من ذقنه، أي من أطراف لحيته، لأنّ اللّحية في الذّقن"⁴، ويلاحظ أنّه ورد في القرآن بمعنى واحد وهو مُلتقى اللّحيين كما قال المفسّرون في قوله تعالى: "قُلْ ءَامِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا⁵ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا"⁶ قال ابن كثير: "الأذقان جمع ذقن وهو أسفل الوجه"⁷، وقال صاحب الكشاف: "الذّقن مُجتمع اللّحيين"⁸.

الزّوج:

¹ اللّغوي، أبو الطيّب عبد الواحد بن علي: كتاب الأضداد في كلام العرب، ط2، تحقيق: عزة حسن، دمشق: المجمع العلمي العربي، ج1، 1996، ص17.

² انظر: السيوطي: المزهري في علوم اللّغة: 1/396.

³ المرجع السّابق: ص452.

⁴ الإسراء: 107.

⁵ ابن كثير: تفسير القرآن العظيم: 3/69.

⁶ الزّمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل: 2/654.

الزَّوْج تعني الفرد، والزَّوْج الزَّوْج أيضاً، قال عبد الواحد: "الزَّوْج كل واحد مفترق إلى نظيره، نحو: الذَّكَر والأنثى، فالذَّكَر زوج والأنثى زوج، ويقال: عندي زَوْجَان من حمام للذَّكَر والأنثى، وزَوْجَان من خفاف، أي خُفَّان"¹.

جاءت في القرآن الكريم في قوله تعالى: "حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ"² أي من كل ذَكَر وأنثى، حيث يُقال للرجل: زَوْج المرأة، وللمرأة: زَوْج الرجل، قال تعالى: "وَيَتَّعَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ"³ فقصدها هنا المرأة. وفي قوله تعالى: "يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً"⁴ يعني آدم وحواء. ويقال للمرأة زَوْج وزَوْجَة، فهي زَوْجَة والجمع أَزْوَاج، أَزْوَاج، وهي زَوْجَة والجمع زَوْجَات.

2- الثَّلَّة:

بيّن قطرب في كتاب (الأضداد في كلام العرب) "أنَّ الثَّلَّة الجماعة الكثيرة من الغنم وأصوافها، نحو الحَيْلَة، والقَوَظ، والثَّلَّة أيضاً القليل من الغنم"⁵. لكنّها لم ترد في القرآن الكريم إلاّ إلاّ بمعنى الجماعة من الناس.

3- الشَّعْب:

¹ ابن الأثيري: الأضداد في كلام العرب. 209-224.

² هود: 40.

³ الأعراف: 19.

⁴ النساء: 1.

⁵ ابن الأثيري: الأضداد في كلام العرب. ص106.

عدّ بعض علماء اللّغة الشّعْب من الأضداد حيث نقول: شَعَبْتُ الشيء إذا فرّقته، وشَقَقْتَهُ أَشْعَبُهُ شَعْبًا، والشُّعُوبُ المنيّة لأنها تفرّق. وشعبتُ الشيء أَشْعَبُهُ شَعْبًا: إذا أصلحته، نحو القِدْر والقَدْح¹. وقيل إنّ الفعل "شَعَبَ" يقع على معنيين متضادّين، وهما (فرق) و (جمع)، فالمعنى الأوّل يصدر عن الحرفين (شع) المراد به الانتشار والتفرّق. والحرف الزائد فيه هو الباء². لكنّ السيوطي في كتابه (المزهر في علوم اللّغة) بيّن أنّ الشّعْب إنّما هي لغة لقوم³.

وهذه الكلمة وردت في القرآن الكريم بمعنى الافتراق والتشعب، فقد وردت مرة واحدة في آيات القرآن الكريم سبقت الإشارة لها في الفصل الثّاني.

4- الأُمّة⁴:

تعني الأُمّة الواحد الصّالح الذي يؤتم به، كما في قوله تعالى: "إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ"⁵. وتعني الجماعة، كما في قوله تعالى: وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ"⁶، حيث أراد الله بها جماعة العلماء.

5- النّاس:

ورد في (ثلاثة كتب في الأضداد) أنّ النّاس قد تكون من الإنس وقد تكون من الجن⁷، لكنّها لم ترد في القرآن إلّا بمعنى الإنس.

6- الظُّهُر:

¹ المرجع السابق: ص256.

² عرار، مهدي أسعد: جدل اللفظ والمعنى دراسة في دلالة الكلمة العربية. ص 130.

³ انظر: السيوطي: المزهر في علوم اللّغة: 1 \ 396.

⁴ الأصمعي والسجستاني وابن السكيت: ثلاثة كتب في الأضداد. بيروت: دار الكتب العلمية. ص223.

⁵ النحل: 120.

⁶ آل عمران: 104.

⁷ الأصمعي والسجستاني وابن السكيت: ثلاثة كتب في الأضداد. 246.

الظَّهْر من الإنسان وغيره العضو المعروف وهو خلاف الوَجْه، والظَّهْر أيضاً: الوَجْه، ومنه قولان: ظَهَرَ السَّمَاءَ لوجهها، وظَهَرَ السَّقِينَةَ مما يلي الماء منها، وهو وجهها وبطنها¹. وردت في القرآن الكريم بمعنى العضو المعروف وفي قوله تعالى: "لِتَسْتَوْرَأَ عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ"² أي وجه البحر.

7- النُّطْفَةُ:

يُقَالُ إِنَّ النُّطْفَةَ الماء وتقع على القليل والكثير منه. لكن السيوطي بيّن أنها ليست بصد³.

التَّضَاد:

التَّضَاد نوع من المشترك اللفظي، حيث يدلّ اللفظ على معنيين متقابلين على التساوي⁴، وهناك علاقة وثيقة بين التَّضَاد والتَّعَابُل، فالتَّضَاد (المقابلة) بمعنى تعاكس الدلالة، فالكلمات ذات الدلالات المتعاكسة تسمى (متضادات)⁵، والتَّعَابُل مصطلح دلالي يعني اختلاف دلالة لفظين أو أكثر اختلافاً عكسياً تضادياً متناقضاً⁶، وهذا هو الطَّبَاق، فألفاظ القرابة مهمّة في مناقشة التَّضَاد، فقد تتضمّن كثير منها باختلاف جنس الشَّخص المعني، كما تتضمّن اختلاف العلاقة نفسها⁷، ومن أمثلتها:

1- أب - أم.

من الألفاظ ذات الدلالة على القرابة المتقابلة (أب وأم) باختلاف الجنس.

¹ ينظر: ابن الأنباري: الأضداد في كلام العرب. ص300.

² الزَّخْرَف: 13.

³ انظر: السيوطي: المزهرة في علوم اللغة. 139 ص.

⁴ عمران، حمدي نجيب: علم الدلالة النظرية والتطبيق. ط1. القاهرة: الأكاديمية الحديثة. 2007. ص98.

⁵ بالمر، اف: مدخل إلى علم الدلالة. ص113.

⁶ نهر، هادي: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي. ص538.

⁷ بالمر، ف.ر: مدخل إلى علم الدلالة. ص114.

2- ابن - ابنة.

3- عمّ - عمّة.

4- خال - خالة.

5- والد - والدة.

6- ذكر - أنثى.

7- زَوْج - زَوْجَة.

8- أخ - أخت.

9- رجال - نساء.

10- فَنَى - شَيَّخ.

وهناك ألفاظ متضادّة تربط الألفاظ الدالّة على أعضاء جسم الإنسان مثل: البطن - الظَّهْر.

ثانياً: المُشْتَرَكُ المَعْنَوِي

الاشتراك المعنوي هو أن يعبر عن المعنى بألفاظ مختلفة وقد يسمّى بالترادف¹, والترادف باصطلاح القدامى هو "الألفاظ المفردة والدالّة على شيء واحد باعتبار واحد"², وفي اصطلاح المحدثين: "هو كلمات مفردة تدلّ على معنى واحد باعتبار واحد، في بيئة لغويّة

¹ الزيّادي، حاكم مالك: التّرادف في اللّغة العربيّة. العراق: منشورات وزارة الثقافة والاعلام. 1998. ص31.

² السيوطي: المزهر في علوم اللّغة وأنواعها. 402/1.

واحدة¹. ومن الأمثلة على المشترك المعنوي (الترادف) في الألفاظ الدالة على الإنسان في القرآن الكريم بكلياته وجزئياته:

1- الابن والولد:

الابن يطلق على الذكر، والولد يقع على الذكر والأنثى².

2- الجبهة والجبينان:

الجبهة تعني مسجد الرَّجُل الذي يصيبه نذب السجود، أو مستوى ما بين الحاجبين. أمّا الجبينان فهما حرفان مكتنفا الجبهة من جانبيها، فهي بين الحاجبين مصعداً إلى قصاص الشعر، أو ما بين الصدعين متصلة بحذاء الناصية³.

3- الذَّقْن واللِّحَى:

من الكلمات التي وقع فيها اشتراك في المعنى (ذَقْن - لِحَى) ، إلا أنّ هناك فرقاً بسيطاً، فالذَّقْن مُجْتَمَع اللِّحِيِّين، واستعماله بمعنى اللِّحِيَّة من كلام المولدين، واللِّحَى أعظمُ الحنك وهو الذي عليه الأسنان ومُنْبِت اللِّحِيَّة، فاللِّحِيَّة شعر الخدين والذَّقْن⁴.

4- الفؤاد والقلب:

من الكلمات التي وقع فيها الترادف ودلت على أعضاء جسم الإنسان: الفؤاد: القلب، وقيل: باطن القلب، وقيل: هو غشاء القلب أو ما يتعلق بالمرء من كبد ورئة وقلب، وقال بعضهم: الأفئدة توصف بالرقّة، والقلب باللين. فيقال: ألين قلوباً وأرقّ أفئدة، ولم يفرق أهل اللغة

¹ انظر: المنجد: محمد نور الدين: الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق. ط1. دمشق: دار الفكر. 1997. ص35.

² ينظر: اليسوعي: فرائد اللغة في الفروق. بيروت: المطبعة الكاثوليكية. 1889. 4/1.

³ ينظر: المرجع السابق: 53/1.

⁴ ينظر: المرجع السابق: 95/1.

بينهما، وقلب كل شيء خالصه، وسميت المضغة الصنوبرية قلبًا لكونها أشرف الأعضاء؛ لما فيها من سرعة الخواطر والتلون في الأحوال¹.

¹ ينظر: المرجع السابق: 263/1.

5- القَدَم والرَّجُل:

القَدَم من الرَّجُل ما يطأ عليه الإنسان من لَدُن الرِّسغ إلى ما دون ذلك، والرَّجُل من أصل الفخذ إلى القَدَم، وسميت به لأنها تحمل البدن وتقوى على الحركة¹.

6- نَفَر - رَهْط:

النَّفَر يأتي بمعنى الواحد وبمعنى الجماعة، وقيل يقع على الثلاثة من الرِّجَال إلى العشرة، ولم يُسمع عند العرب استعمال النَّفَر في فيما جاوز العشرة، أمَّا الرَّهْط فهي بمعنى النَّفَر، وتكون بمعنى الواحد او بمعنى الجماعة².

7- عُنُق - رَقَبَة - جِيد:

قيل العُنُق الرَّقَبَة، فهو العُنُق والجِيد والتَّهَادِي والتَّلِيل والرَّقَبَة³.

8- بَعْل - عَشِير - زَوْج:

البَعْل هو زَوْج المرأة، ومن نلزمك نفقته لأنه سيدها ومالكها⁴. والعشير تطلق على زَوْج المرأة لأنها تعاشره ويعاشرها⁵. والزَّوْج هو زوج المرأة وهي زَوْجُه.

9- أُمّ - والدَة:

قال ابن منظور: "الأُمّ: الوالدَة⁶، أمَّا الوالدَة: فهي المرأة التي تتجب الطَّفل، ومحلّ البرِّ والإكرام، والأُمّ هي رمز التضحية والفداء والحبّ والحنان. وتعدّ الأُمّ أمًّا برعايتها لأبنائها

¹ ينظر: اليسوعي: فرائد اللغة في الفروق: 273/1.

² ينظر: المرجع السابق: 420/1.

³ ينظر: السيوطي: غاية الإحسان في خلق الإنسان. ص142.

⁴ ينظر: ابن منظور: لسان العرب. 574/4. مادة(عشر).

⁵ ينظر: الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس. 96/28. مادة (بعل).

⁶ ينظر: ابن منظور: لسان العرب: 28 \ 12. مادة (أم).

وتربيتها لهم وقيامها بواجباتهم. جاءت كلمة (والدة) في قوله تعالى: " لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بِوَالِدِهِ " ¹.

ثالثا: الألفاظ التي لم ترد إلا مجموعة

من الألفاظ الدالة على الإنسان في القرآن الكريم بكلياته وجزئياته، التي لم ترد إلا مجموعة:

العمّات - الخالات:

لقد حرّم الله العمّات والخالات فقد جاء في قوله عزّ وجلّ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضْعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ يَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَن تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝²

وذكرت مسبوقة ببيوت (أخوالكم) و(خالاتكم) في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ أَيْمَانُهُمْ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۗ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن

¹ البقرة: 233.

² النساء: آية 23.

تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا^٦ فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ
اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ^٧ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ^١

سبق شرحها.

أما (خالاتكم) فقد جاء ذكرها في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ
وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي
أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبِّبَاتِكُمُ اللَّاتِي فِي
حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ
الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ^٢ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا^٣.

النساء:

وردت النساء في آيات كثيرة منها حقوق النساء من حيث الحرية في الزواج فقد ورد
في قوله تعالى: ﴿وَدَسَّتُوكَ فِي النِّسَاءِ^٤ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي
الْكِتَابِ فِي يَتِمَى النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ
وَالْمُسْتَضَعْفِينَ مِنَ الْوَالِدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلْيَتَامَىٰ بِالْقِسْطِ^٥ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ
فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا^٦﴾. وأعطاهما حقها في المهر، وجعله واجباً على الزوج في قوله

^١ النور: آية 61.

^٢ النساء: آية 23.

^٣ النساء: آية 127. ووردت بنفس الدلالة في: النساء 19.

تعالى: ﴿وَأَتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا﴾¹.

رابعاً: اشتقاق الأفعال من أعضاء جسم الإنسان

إنّ المعاني تنتقل من الماديّ المحسوس إلى المعنوي العامّ، وألفاظ أعضاء جسم الإنسان لصيقة به، فأعضاؤه محسوسة، وتتّصف بالثبات، وتقوم على علاقة المشابهة، لكنها تتفاوت في حضورها في حياة الإنسان، وتختلف صفاتها وأدواتها، فقد أخذ الإنسان يطور اللّغة ويشتقّ منها ما يفيد في تطوّر حياته، ومن أهمّ هذه الأعضاء²:

- 1- السّاعِد: اشتقت منه المُساعدة.
- 2- القُبْل: أخذ منه التّقبيل والمقابلة؛ لأنّ كلّ منها لا يتمّ إلّا من القُبْل، بحيث يكون كلّ منهم وجهًا لوجه سواء في التّقبيل أو المقابلة.
- 3- الرّأْس: منه الرّئاسة، وفيها العلوّ والعظّمة، فالرّأس يقع في أعلى الجسم.
- 4- اليَد: منها التأييد الذي يكون برفع اليَد إعلاناً عن الموافقة على قرار معيّن.
- 5- الكَتِف: أخذ منه التّكاتف، الذي يعدّ رمزاً للتّعاون.
- 6- العَضُد: اشتقّ منه المُعاضدة؛ للدلالة على المشاركة لإنجاز عمل ما، وهي أقوى من المُساعدة؛ لأنّ العَضُد أقرب إلى القلب من السّاعِد.
- 7- الكَفّ: منه الكَفّ الزّجر، فرفع اليَد علامة زجر ومنع التّمادي، كما في إشارات المرور.
- 8- الشّعْر: منه الشّعور، لأنّ شعر الجسم يضطرب عندما تحتدم العواطف.

¹ النّساء: آية 4. ووردت نفس الدلالة في: النّساء 24- 25 النّساء 127.

² كتاب البيان فيما اشتمل عليه خلق الإنسان. - رسالة ماجستير. جامعة النّجاح الوطنيّة. محمد أمين يوسف عبدالله. إشراف: يحيى جبر. نابلس. 1999. ص26.

- 9- الأنف: منه الأنفَة، رمز الشَّمِّم والشَّمُوخ، لمكانة الأنف في أعلى الجسم.
- 10- الصِّدر: من الصِّدَارَة والتَّصَدَّر، يدلّان على التَّقَدُّم لأنَّ الصِّدر في مقدِّمة جسم الإنسان.
- 11- العُنُق: منه المُعَانِقَة والعِنَاق، حيث العُنُق على العُنُق.
- 12- الوَجْه: منه المُوَاجِهَة والاتِّجَاه والجهَة، لأنك إذا استقبلت شيئاً وجَّهت وجهك شطره. والمواجهة وجهاً لوجه.
- 13- الجِبْهَة: أُخذت منها المُجَابِهَة، وهي التَّقَاء الجبِهَة بالجبِهَة.
- 14- القَدَم: منه التَّقَدُّم، حيث القَدَم مستعملة في القُدوم، والتَّقَدُّم.

خامساً: الألفاظ الدالة على الإنسان بكلياته وجزئياته بين العربية والسامية

تتشترك اللغات السامية في استعمال كلمات لدلالة واحدة، مع اتّحاد النطق أو اختلافه اختلافاً يسيراً، ومن هذه الكلمات التي تشترك فيها العربية واللغات السامية: ذَكَر - أنثى - أب - أم - ابن - ابنة - أخ - بعل - ولد - عم¹.

ومن أعضاء جسم الإنسان المشتركة بين السامية والعربية: رأس - عين - أُذُن - أنف - لسان - شعر - يد - كتف - أسنان - شفة - رِجْل - إصبع - ظُفر².

ومن خلال الدِّراسة نلاحظ تتعدّد الأساليب اللغوية التي تكشف عن العلاقة الكامنة بين الألفاظ التي على الإنسان بكلياته وجزئياته في القرآن الكريم، وتتوّعت هذه العلاقة من الاشتراك اللَّفظي، والاشتراك المعنوي، والألفاظ التي لم ترد إلاّ مجموعة، واشتقاق الأفعال من أعضاء جسم الإنسان لتدلّ على ما دلّت عليه، ومقارنة هذه الألفاظ في العربية مع السامية.

¹ ينظر: ظاظا، حسن: اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة ط.2. دمشق: دار القلم.1990. ص 150.

² ينظر: خليل، حلمي: مقدّمة لدراسة فقه اللغة. القاهرة: دار المعرفة.1999. ص142. و جبر، يحيى: نحو دراسات وأبعاد لغوية جديدة. ص82.

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة الألفاظ الدالة على الإنسان بكلياته وجزئياته في القرآن الكريم، من وجهة نظر دلالية، وباتباع المنهج التكاملي. فعرضت لألفاظ أطوار الإنسان قبل الولادة وبعدها، والألفاظ الجامعة للإنسان. ثم بحثت في الألفاظ الدالة على أعضاء جسم الإنسان. ثم درست العلاقات بين هذه الألفاظ.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة:

- استخدم القرآن الكريم ألفاظاً للدلالة على أطوار خلق الإنسان قبل الولادة وبعدها، من باب التذكير والإخبار من قبل اكتشاف المخابر الحديثة، حيث ذكر الله كيف خلق الإنسان من نطفة وهذا درس في المخابر مؤخراً.
- توزعت الألفاظ الجامعة للإنسان في القرآن الكريم في حقلين دلاليين منفصلين: حقل الألفاظ الضامنة للجنس البشري، وحقل الألفاظ الدالة على الإنسان وأفراده وعلاقاته (ألفاظ القرابة).
- اهتمام القرآن بالحديث عن الجماعات الإنسانية مع عدم إهمال الفرد، وهذا يعود لاهتمامه بالبعد الاجتماعي.
- خلوّ القرآن الكريم من بعض الألفاظ الضامنة للجنس البشري كالفخذ والبطن والأسرة والحاشية وغيرها.
- كانت دراسة الإنسان بكلياته بدراسة ألفاظ أطوار الإنسان قبل الولادة وبعد الولادة، وبدراسة الألفاظ الجامعة له في القرآن الكريم.
- شملت دراسة الإنسان بجزئياته دراسة ألفاظ أعضاء جسمه وأجزائه في القرآن الكريم.
- اتضح جلياً أثر السياق في تحديد دلالة الألفاظ الدالة على الإنسان بكلياته وجزئياته.

- تناول القرآن الكريم ألفاظاً كثيرة للدلالة على أعضائه، ومنها ما استعمله مجازياً لتوسيع إطار الدلالة.

- تشترك اللغة العربية واللغة السامية في الألفاظ الدالة على أفراد الإنسان كابن وابنة وعم وولد وبعل وغيرها، كما تشترك في ألفاظ أعضاء الإنسان كالرأس والعين والأنف وغيرها.

- تتجسد في دلالة ألفاظ على الإنسان بكتلياته وجزئياته في قضايا لغوية كثيرة، فنجد فيها المشترك اللفظي والمعنوي، والألفاظ التي لم ترد إلا جمعا، ومقارنة هذه الألفاظ بين السامية والعربية.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا جميعاً من الذين ينتفعون وينفعوا العلم، والذين تفقهوا في دينهم وكان العلم حجة لهم لا عليهم. وأسأله أن يتقبل هذا العمل، وأن يتجاوز عمّا أكونُ أخطأت فيه؛ لأنّ الكمال لله تعالى.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

الأغرّ، كريم نجيب: إعجاز القرآن في ما تخفيه الأرحام وما جاء في علم الوراثة والرّضاعة
وبدء الخلق. بيروت: دار المعرفة.

الأصفهاني، الرّاعب أبو القاسم: المفردات في غريب القرآن، ط1. الرّياض: مكتبة نزار الباز.
1997.

الأصمعي والسجستاني وابن السكيت: ثلاثة كتب في الأضداد. بيروت: دار الكتب العلميّة ج1.
1996.

الأصمعي، أبو سعيد عبد الملك بن قريب: الكنز اللّغوي في اللّسن العربي. بيروت: المطبعة
الكاثوليكية.

أمين محمد: الألفاظ المشتركة في العربية. ط1. القاهرة: مطبعة حسّان. 1983.

الأنباري، أبو بكر محمد بن قاسم: الزّاهر في معاني كلمات النّاس. تحقيق: حاتم صالح
الضّامن. ج2. ط1. بيروت: مؤسسة الرّسالة. 1992.

الأندلسي، أبو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده: المحكم والمحيط الأعظم. تحقيق: عبد الحميد
هنداوي. ط1. بيروت: دار الكتب العلميّة. 2000.

الأندلسي، أبو الحسن علي بن اسماعيل بن سيده: المخصّص. تحقيق: خليل إبراهيم جفال. ط1. م
5. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1996م.

الأندلسي، أحمد بن عبد ربه: العقد الفريد. ط3. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1999.

أنيس، إبراهيم: دلالة الألفاظ. ط7. مصر: مكتبة الأنجلو المصريّة. 1993.

الأودي، الأفوه: ديوانه. شرح وتحقيق: محمد التونجي. ط1. بيروت: دار صادر. 1998.

البار، محمد علي: **خلق الإنسان بين الطبّ والقرآن**. الرياض: الدار السعودية للنشر والتوزيع. 1984.

البخاري، أبو عبد الله محمد بن اسماعيل بن إبراهيم: **الجامع الصحيح المختصر**. ط1. بيروت: دار الفكر. 2001. م8.

البستي: أبو حاتم، محمد بن حبان: **روضة العقلاء ونزهة الفضلاء**. تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد. بيروت. دار الكتب العلمية. 1977.

البيضاوي: **تفسير البيضاوي**. بيروت: دار الفكر.

تأبّط شراً: **ديوانه**. اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي. ط1. بيروت: دار المعرفة. 2003.

التستري، سعيد بن إبراهيم: **المذكر والمؤنث**.

التّعالبي، أبو منصور: **فقه اللغة وسرّ العربية**. مصر: المكتبة التجارية الكبرى.

ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن: **كشف المشكل من حديث الصحّاحين**. تحقيق: علي حسين البواب. الرياض: دار الوطن. 1997. ج1.

الجاعوني، تاج الدين محمود: **الإنسان هذا الكائن العجيب؛ أطوار خلقه وتصويره في الطبّ والقرآن**. ط1. عمّان: دار عمّار. ج1. 1993.

جبر، يحيى: **اللغة والحواس**. نابلس: مطبعة حجاوي. 1999.

جبر، يحيى: **نحو دراسات وأبعاد لغوية جديدة**. ط1. نابلس: سلسلة أسفار العربية 6.

الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد: **النهاية في غريب الحديث والأثر**. تحقيق: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي. ج3. بيروت: المكتبة العلمية. 1979.

ابن الجوزي، جمال الدّين أبو الفرج عبد الرّحمن: **نزهة الأعين النّواظر في علم الوجوه والنظائر**. تحقيق: محمد عبدالكريم كاظم الرّاضي. ط1. بيروت: مؤسسة الرّسالة. 1984.

- حجازي، محمد عبد الواحد: *الأسرة في الأدب العربي*. ط1. الاسكندرية: دار الوفاء. 2006.
- حسام الدين، كريم زكي: *التحليل الدلالي لإجراءاته ومناهجه*.
- حسام الدين، كريم زكي: *التعبير الاصطلاحي: دراسة في تأصيل المصطلح ومفهومه ومجالاته الدلالية وأنماطه التركيبية*. ط1. مصر: مكتبة الأنجلو. 1985.
- الخطيب، ديوانه. *اعتنى به وشرحه: حمدو طمّاس*. ط2. بيروت: دار المعرفة. 2005.
- حلمي خليل: *الكلمة دراسة لغوية معجمية*. ط2. الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية. 1992.
- الخطيب، عبد الكريم: *الإنسان في القرآن الكريم من البداية إلى النهاية*. القاهرة: دار الفكر العربي. 1979.
- الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة: *المعاني الكبير*.
- دفع، بسّام: *الكون والإنسان بين العلم والقرآن*. ط1. بيروت: دار اليمامة.
- الدينوري، ابن قتيبة أبي محمد عبد الله بن مسلم: *الشعر والشعراء*. حققه وضبطه: مفيد قميحة ونعيم دروزة. ط2. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الرازوي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي: *التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب*. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 2000م.
- الربيعي، عيسى بن إبراهيم بن محمد: *نظام الغريب في اللغة*. ط2. القاهرة: مؤسسة الكتب الثقافية. 1987. ابن ربيعة: *ليبد: ديوانه*. شرح الطوسي. قدّمه ووضع هوامشه وفهارسه: حنا نصر الحتم. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي. 1993.
- ابن ربيعة، ليبد: *ديوانه*. شرح: الخطيب التبريزي. قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طراد. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي. 1999.

الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني: تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق: مجموعة من المحققين. دار الهداية.

الزّمخشري، محمود بن عمر: الفائق في غريب الحديث. لبنان: دار المعرفة. ط. تحقيق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم.

الزّمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر: الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل. تحقيق: عبد الرزاق المهدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي.

الزّين، سميح عاطف: تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم. ط2. بيروت: دار الكتاب اللبناني 1984.

الزيّادي، حاكم مالك: التّرادف في اللّغة العربيّة. العراق: منشورات وزارة الثقافة والاعلام. 1998

السّجستاني، سليمان بن الأشعث بن داود: سنن أبي داود. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد بيروت: دار الفكر.

السّعيد، عاشور: الإنسان في القرآن الكريم علمي، طبي، تربوي، ديني. القاهرة: دار غريب. 2002

ابن السكّيت، أبو يوسف يعقوب بن اسحاق: كنز الحفاظ في تهذيب الألفاظ. بيروت: المطبعة الكاثوليكية. 1985.

ابن أبي سلمى، زهير: ديوانه. اعتنى به وشرحه: حمدو طمّاس. ط2. بيروت: دار المعرفة. 2005.

السّيوطي، عبد الرّحمن جلال الدين: المزهرة في علوم اللّغة وأنواعها. شرحه: محمد أحمد جاد المولى بيك وزملاؤه. صيدا: منشورات المكتبة العصرية. 1992. ج2.

السّيوطي، عبد الرّحمن جلال الدين: غاية الإحسان في خلق الإنسان. تحقيق مرزوق علي إبراهيم. القاهرة: دار الفضيلة.

السّيوطي، عبد الرّحمن جلال الدّين: جامع الأحاديث.

ابن شدّاد، عنتره: ديوانه. شرح: الخطيب التبريزي. قدّم له ووضع هوامشه وفهارسه: مجيد طراد. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي. 1999.

الشنّقيطي، محمد الأمين بن محمد بن مختار. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن. تحقيق: مكتب البحوث والدراسات. بيروت: دار الفكر. 1995م.

الصّبّاغ، محمد لطفي: الإنسان في القرآن الكريم. المكتب الإسلامي للطباعة و النشر. 1992.

الصعدي، عبد الفتاح، وحسين موسى: الإفصاح في فقه اللغة. ط2. ج2. القاهرة: دار الفكر العربي. 196.

طبيشات، محمد الشيخ عايد: الإنسان في القرآن الكريم: طبيعته ومنزلته في الكون وصلاته الوجودية وقيّمته ومصيره. ط3. 1998.

طرفة بن العبد: شرح ديوان طرفة بن العبد. تحقيق و شرح: رحاب عكاوي. ط1. بيروت: دار الفكر العربي. 1993.

أبو طالب: ديوانه. جمعه وشرحه: محمّد التونجي. ط1. 1994. بيروت: دار الكتاب العربي.

ظاظا، حسن: اللّسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللّغة. ط2. دمشق: دار القلم. 1990.

عابدين، سامي: أصل الإنسان في القرآن الكريم. ط1. بيروت: دار الحرف العربي. 2005.

عبد الباقي، محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. ط2. بيروت: دار الفكر. 1981.

عبد الرحمن، عائشة: القرآن و قضايا الإنسان. ط4. بيروت: دار العلم للملايين. 1981

عرار، مهدي: **جدل اللفظ والمعنى - دراسة في دلالة الكلمة العربية**. ط1. عمّان: دار وائل. 2002. ص44.

العسكري: **الفروق اللغوية**. ضبطه وحقّقه: حسام الدّين القدسي. بيروت: دار الكتب العلميّة. 1981.

العسكري، أبو هلال: **جمهرة الأمثال**. بيروت: دار الفكر. 1988.

العقاد، عبّاس: **الإنسان في القرآن الكريم**. بيروت: دار الكتاب العربيّ. 1969.

عمر، أحمد مختار: **علم الدلالة**. ط5. القاهرة: عالم الكتاب. 1998.

عمر، أحمد مختار: **الاشتراك والتضادّ في القرآن الكريم**. القاهرة: عالم الكتاب. 1997.

عمران، حمدي نجيب: **علم الدلالة النظرية والتطبيق**. ط1. القاهرة: الأكاديمية الحديثة. 2007.

عمرو بن كلثوم: **ديوانه**. جمعه وحقّقه: اميل بديع يعقوب. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي. 1991.

عمرو بن كلثوم: **ديوانه**. جمعه وحقّقه: اميل بديع يعقوب. ط1. بيروت: دار الكتاب العربي. 1991.

عيسى، علي عيسى: **الإنسان عند الغزالي**. تعريب: خيرى حماد. مصر: مكتبة الأنجلو المصرية. 1964.

الغزالي: أبو حامد محمد بن محمد: **إحياء علوم الدين**. ج3. القاهرة: المطبعة العثمانية المصرية. 1933.

ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا: **الصّاحبي في فقه اللّغة العربيّة ومسانئها وسنن العرب في كلامها**. تحقيق: عمر فاروق الطباع. ط1. بيروت: مكتبة المعارف. 1993.

ابن فارس، أبو الحسن أحمد: **معجم مقاييس اللغة**. ج6. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط2. بيروت: دار الجيل. 1999م.

أبو الفداء، اسماعيل بن عمر: **تفسير القرآن العظيم**. ج4. قدّم له: يوسف مرعشلي. بيروت: دار المعرفة. 1988.

فهيم، محمد عبد الباقي: **اليد في ضوء القرآن والسنة والضمير الإنساني (عجائب وأسرار)**. ط1. دمشق: دار صفحات للدراسات والنشر. 2007.

القرشي، أبو زيد بن أبي الخطاب: **جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام**. حققه وعلّق عليه وزاد في شرحه: محمد علي الهاشمي. دمشق: دار القلم. ج2. ط3. 1999.

قطب، سيّد: **في ظلال القرآن**. ط7. بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1971.

القيرواني، أبو عبد الله محمد بن جعفر التميمي: **العشرات في اللغة**. تحقيق: يحيى عبد الرؤوف جبر. سلسلة أسفار العربية "2". 1984.

ابن قيس، ميمون: **ديوان الأعشى الكبير**. شرح وتعليق: محمد محمد حسين. بيروت: المكتب الشرقي.

الكفوي، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني: **الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**. تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1998.

اللّغوي، أبو الطيّب عبد الواحد بن علي: **كتاب الأضداد في كلام العرب**. ط2. تحقيق: عزة حسن. دمشق: المجمع العلمي العربي.

لوشن، نور الهدى: **علم الدلالة دراسة وتطبيق**. بنغازي: منشورات جامعة قارون. 1995. ص120.

مدلول، محمد طالب: **الحواس الإنسانية الكريم في القرآن**. ط1، بيروت: دار الكتب العلمية. 2007.

- مسكويه: تهذيب الأخلاق. تحقيق: قسطنطين زريق. بيروت. 1966
- مصطفى، أحمد: الموسوعة الذهبية في إعجاز القرآن الكريم والسنة النبوية. ط1. القاهرة: دار ابن الجوزي. 2005.
- المطّ، محمد فايز: الجسم البشري: ج2. ط1. بيروت: مؤسسة الرسالة. 1989.
- المنجد، محمد نور الدين: الاشتراك اللفظي في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق. ط1. دمشق: دار الفكر. 1999.
- المنجد: محمد نور الدين: الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق. ط1. دمشق: دار الفكر. 1997.
- ابن منظور، محمد بن مكرم: لسان العرب. ط1. ج15. بيروت: دار صادر. 1975.
- مهنا، عبد: معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام. ط1. بيروت: دار الكتب العلمية. 1990.
- ابن ميمون، محمد بن المبارك: منتهى الطلب من أشعار العرب. تحقيق وشرح: محمد نبيل طريقي. بيروت: دار صادر. 8 ج.
- النابغة الذبياني: ديوانه. اعتنى به: حمدو طمّاس. بيروت: دار المعرفة. ط2. 2005.
- نهر، هادي: علم الدلالة التطبيقي في التراث العربي. تقديم: علي الحمد. ط1. الأردن: دار الأمل. 2007.
- النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب. تحقيق: مفيد قمحية. بيروت: دار الكتب العلمية. 2004.
- اليازجي، إبراهيم: نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد. وقف على طبعه وضبطه: نديم آل ناصر الدين. ط2. بيروت: مكتبة لبنان.

يحيى، هارون وأورخان محمد علي: المعجزات القرآنية. استانبول. 2003.

اليسوعي، هزيكوس: فرائد اللّغة في الفروق. بيروت: المطبعة الكاثولوكية. 1889. ج2.

الرّسائل الجامعيّة:

كتاب البيان فيما اشتمل عليه خلق الإنسان: محمد أمين يوسف عبدالله. رسالة ماجستير. جامعة النّجاح الوطنيّة. إشراف: يحيى جبر. نابلس. 1999.

ألفاظ العقل الجوارح في القرآن الكريم: دراسة إحصائية دلالية: سهام محمد أحمد الأسمر. رسالة ماجستير. جامعة النّجاح الوطنيّة. إشراف: يحيى جبر. جامعة النّجاح الوطنيّة. نابلس. 2007.

كلنتن، هيفاء عبد الحميد: نظرية الحقول الدلالية دراسة تطبيقية في المخصّص - لابن سيده). رسالة ماجستير غير منشورة. (جامعة أم القرى مكة المكرمة. المملكة العربية السعودية.

2001

سليمان ضيف الله ضيف الله: خلق الإنسان كما تعرضه آيات القرآن الكريم: رسالة ماجستير. الجامعة الأردنيّة. إشراف: عبد الجليل عبد الرحيم. 1986.

الدوريات:

محمد تايه. مطابقة علم الأجنّة لما ورد في القرآن و السنّة. مجلة الرّسالة. المعهد الأكاديمي لإعداد المعلمين العرب كلية بيت بيرل. المحرر لطفي منصور. ص 445.

النص، إحسان: من وسائل التنمية اللغوية: الترجمة ووضع معاجم للمعاني ومعاجم متخصصة. مجلة مجمع اللغة العربية. ع 102. 2004/ص177.

**Al-najah National University
Faculty of Graduate Studies**

**Man: Wholes and parts in the Holy Quran
(A Semantic Study)**

**By
Salam Muhammad Yaseen Al-Hihi**

**Supervised by
Prof. Yahya Jaber**

**Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the
Degree of master of Arabic language Faculty of Graduate Studies,
An-najah National University, nablus, Palestine.**

2011

**Man: Wholes and parts in the Holy Quran
(A Semantic Study)**

By

Salam Muhammad Yaseen Al-Hihi

Supervised by

Prof. Yahya Jaber

Abstract

This study examines the terms and words that refer and describe man in whole and particularity in the Holy Quran. The study was divided into four chapters and began with an introduction and a preface in which the researcher described how the Holy Quran focused on the human being and how it talked about the different aspects of his life in details starting with the first stages of his creation and his journey in life.

In the first chapter the researcher discussed the words and terminology that are used to refer to the human being's creation phases such as: the sperm (Nutfa), the Alaqa, the embryo (Mudgha), the bones, the meat, settlement and the puffing of the soul. After birth comes the next stages which include childhood, youth, adulthood, adolescence, old age and their linguistic origination.

The second chapter contained the words that refer to a human being in general which the researcher divided into two parts. The first one included words that refer to the whole human race and consisted of four categories. First category contained: Family / clan / tribe and offspring. Second are: People / nation. Third are: Humans / people. Fourth are: Faction / group / Nafar (group of a family) / Raht / folk / sect / party. In the second part, the researcher included terms that describe the human being and his relationships (kinship terms) which include: First: Direct kinship such as father / mother / brother / sister / son / and daughter. Second:

Indirect kinship terms such as uncle / aunt / uncle from the mother's side, Khal / aunt from the mother's side, Khala / niece / grandfather / grandson / cousin / uncle's daughter from the mother's side / aunt's daughter from the mother's side / aunt's daughter from the father's side / uncle's daughter from the father's side. Third: kinship by custom such as: husband / wife / companion.

The third chapter included terms that refer to organs and parts of the human being which the researcher discussed in four sections. In the first one, the researcher spoke about the elements that make up the human body such as blood, meat, bone and soul. The second one included terms that refer to body organs used for senses such as the eye, the ear, the nose, the hand and the skin. In the third section the researcher described the terms used to refer to internal body organs such as the heart, teeth, the uterus, the throat, the aorta and the vein. In the fourth section the researcher spoke about the terms that refer to external body organs such as the face, the head, the cheek, the leg and others.

The fourth chapter was dedicated to discuss linguistic issues in which the semantic development of the studied terms was examined through the relationships that govern those terms such as Homonymy (Al-Mushtarak Al-lafthi) and Synonymy (Al-Mushtarak Al-Ma'nawi), metaphor, terms that come in plural form, verbs that were derived from the human being's body organs, terms that refer to the human being in whole and in particularity between Arabic and the Semitic Language, as well as implication.

The researcher finally concluded the study with the most important results that the study has reached.